

المولعُ عِزُّ المَلِكِ السُّلْطَانِ

ابن الجوزي
قُدَّسَ اللهُ سِرُّهُ
آمين . آمين

حققه وعلق عليه
محمد إبراهيم سنبل

بَارِكْ الصَّابِرِينَ لِلَّهِ ابْنِ بَطْنِطَا

الموعظ والمجاهدين

ابن الجوزي
قدس الله سره
آمين . آمين

حققه وعلق عليه
محمد إبراهيم سنبل

دار الصحابة للنشر والتوزيع

كِتَابُ قَدْ حَوَى دُرَرًا بِعَيْنِ الْحُسْنِ مَلْحُوظَةً
لِهَذَا قُلْتُ تَنْبِيهًا
حُقوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الأولى
١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م

بِكَارِ الصَّحَابَةِ لِلشَّيْخِ أَبِي بَطْنَانَ

للنشر - والتحقيق - والتوزيع
شارع المديرية - أمام محطة بنزين التعاون
ت: ٣٢١٥٨٧ ص: ب ٤٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر :

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ . وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا . وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ . إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾

[النساء : ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ . وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ . وَمَنْ يَطْعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب : ٧٠-٧١]

ثم أما بعد : —

فإن أصدق الحديث كتاب الله عز وجل وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة .

وبعد

أخي المسلم .. أخي المسلمة :

كثيراً ما تقسو القلوب وتغفل فتحتاج إلى ما يزيل هذه القسوة وتلك الغفلة التي إن تركها الإنسان لران قلبه ... لذلك فقد قمنا بنشر هذا الكتاب بما فيه من مواعظ مؤثرة وآثار طيبة حتى يتذكر بها الغافلون ويتعلم منها الجاهلون . ويتنبه لما فيها العاصون فيتوبون إلى رب العالمين قبل يوم العرض والحساب أمام أحكم الحاكمين .

الناشر
أبو حذيفة
إبراهيم بن محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

« ترجمة المصنف »

١ - نسبه ومولده :

هو عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبدالله بن حماد بن أحمد ابن محمد بن جعفر الجوزي - نسبة إلى فرضة نهر البصرة - ابن عبدالله بن القاسم ابن النضر بن القاسم بن محمد بن عبدالرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه .

الشيخ الحافظ الواعظ جمال الدين أبو الفرج المشهور بابن الجوزي القرشي التميمي البغدادي الحنبلي ، ولد سنة عشر وخمسمائة ، ومات أبوه وعمره ثلاث سنين وكان أهله تجاراً في النجاس .

٢ - مكانته العلمية :

كان علامة عصره وإمام وقته برز في علوم كثيرة وانفرد بها عن غيره وجمع المصنفات الكبار والصغار نحواً من ثلاثمائة مصنف وكتب بيده نحواً من مائتي مجلدة وتفرد بفن الوعظ الذي لم يسبق إليه ولا يلحق شأوه فيه وفي طريقته وشكله وفي فصاحته وبلاغته وعذوبته وحلاوة ترصيعه ونفوذ وعظه وغوصه على المعاني البديعة وتقريبه الأشياء الغريبة فيما يشاهد من الأمور الحسية بعبارة وجيزة سريعة الفهم والإدراك بحيث يجمع المعاني الكثيرة في الكلمة اليسيرة .

٣ - مؤلفاته :

وله في العلوم كلها اليد الطولى والمشاركات في سائر أنواعها من التفسير ، والحديث والتاريخ ، والحساب ، والنظر في النجوم ، والطب ، والفقه وغير ذلك من اللغة والنحو وله مؤلفات متعددة منها على سبيل المثال :

- ١ - « زاد المسير في علم التفسير » .
 - ٢ - « جامع المسانيد » استوعب به غالب مسند أحمد وصحيح البخاري ومسلم وجامع الترمذي .
 - ٣ - « المنتظم في تاريخ الأمم من العرب والعجم » في عشرين مجلداً .
 - ٤ - « العلل المتناهية في الأحاديث الواهية » .
 - ٥ - « لقط الجمان في كان وكان » .
 - ٦ - « تلبيس إبليس » .
 - ٧ - « المدهش » .
 - ٨ - « الحقائق لأهل الحقائق » .
 - ٩ - « لقط المنافع » في الطب .
 - ١٠ - « فنون الأفنان في علوم القرآن » .
 - ١١ - « المنهل العذب أو الموارد العذاب » في الوعظ .
 - ١٢ - « أسماء الضعفاء والواضعين » .
 - ١٣ - « الوفا في فضائل المصطفى » الخ .
- وله من المصنفات الكثير والكثير مما يضيق هذا المكان عن تعدادها وحصر أفرادها .

٤ - شيوخه :

ابن الحصين ، والقاضي أبوبكر الأنصاري ، وأبوبكر المرزوقي وأبو القاسم الحريري ، وعلى بن عبد الواحد الدينوري ، وأبو السعادات المتوكلي ، وأبو غالب ابن البنا ، وأخوه يحيى ، وأبو عبد الله البار ، وأبو الحسن علي ابن أحمد الموحد ، وأبو غالب الماوردي ، وأبو الحسن بن الزاغواني ، وأبو منصور بن خيرون ، وأبو القاسم السمرقندي وعبد الوهاب الإنمطي ، وعبد الملك الكروخي ، وأبو القاسم عبد الله بن محمد الأصهباني ، وأبو سعد البغدادي ، ويحيى بن الطراح

وإسماعيل ابن أبي صالح المؤذن ، وأبو القاسم علي بن معلى العلوى المروى الواعظ ،
أبو منصور القزاز ، وعبد الجبار بن إبراهيم بن عبد الوهاب بن مندة ، وتفرد بالرواية
على طائفة منهم ، كالمتوكل والدينورى .

٥ - تلاميذه :

(طلحة - أبو عبد الله بن تيمية خطيب حران - ولده محبى الدين - وسبطه
أبو المظفر الواعظ - والشيخ موفق الدين ، والحافظ عبد الغنى - وابن الديبى ،
وابن القطيعى ، وابن النجار ، وابن خليل ، وابن عبد الدائم ، والنجيب عبد اللطيف
الحرانى وكثيرون غيرهم .

٦ - وفاته :

قال سبطه أبو المظفر : جلس جدى يوم السبت سابع عشر رمضان - يعنى
سنة سبع وتسعين وخمسمائة - تحت تربة أم الخليفة المجاورة لمعروف الكرخى ،
وكنت حاضراً ، فأنشد أبياتاً قطع عليها المجلس ،
إلى أن قال : ثم نزل عن المنبر فمرض خمسة أيام ، وتوفى ليلة الجمعة بين
العشائين فى داره يقتطفنا .

وكانت جنازته يوماً مشهوداً ضاق المكان بالناس حتى قيل إنهم لم
يستطيعوا أن يصلوا إلى حفرته عند قبر الإمام أحمد إلا بعد وقت طويل وحزن
الناس عليه حزناً شديداً وبكوا عليه بكاءً كثيراً ، وباتوا عند قبره طوال شهر
رمضان يحتمون الختمات بالقناديل والشموع والجماعات .

٧ - ولزيد من التفصيل عن ترجمة الشيخ فعليك بالرجوع إلى المصادر والمراجع الآتية :

١ - « ذيل طبقات الخنابلة (١/٣٩٩-٤٣٣) » رقم ٢٠٥ .

٢ - « وفيات الأعيان (٣/١٤٠-١٤٢) » رقم ٣٧٠ .

- ٣ - « شذرات الذهب (٣٢٩/٤-٣٣١) .
- ٤ - « الأعلام » للزركلى (٣١٦/٣ ، ٣١٧) .
- ٥ - « البداية والنهاية » لابن كثير (٣٠-٢٨/١٣) .

« عملى فى الكتاب »

- ١ - قمت بتخريج الآيات القرآنية وعزوها إلى سورها وموضعها فى المصحف .
- ٢ - خرجت الأحاديث النبوية الموجودة بالكتاب قدر الطاقة .
- ٣ - علقت على بعض النصوص التى تحتاج إلى تعليق .
- ٤ - ترجمت للأعلام المذكورين بالكتاب مع عدم الترجمة لمن اشتهر منهم كالصحابى مثلاً .
- ٥ - أصلحت ما استطعت من الأخطاء التى ربما يكون قد وقع فيها الناسخ .
- ٦ - علقت على بعض الآثار التى تخالف الشرع فى مبدأ من مبادئه .
- ٧ - شرحت بعض الألفاظ الغريبة أو الغامضة التى قد تحتاج إلى تعليق .
- ٨ - وضعت بعض العناوين التوضيحية لبعض الفقرات لتيسر للقارىء مهمته فى الكتاب ووضعت هذه العناوين بين معكوفتين .
- ٩ - تداركت ما قد سقط من خلال مقابلة نصوص الكتاب بكتب المؤلف الأخرى كالمدهش والتبصرة وصيد الخاطر وغيرها مما استدركناه نحن حتى يتضح المعنى ولا يختل ، ووضعت كل ذلك بين معكوفتين وأوضحت المصدر الذى رجعت إليه فى استدراك السقط .

بين يدي الكتاب

نعم .. « إن من البيان لسحراً » كلمة قالها من لا ينطق عن الهوى ﷺ .
فصدقت أيما صدق في مواعظ إمامنا ابن الجوزي في هذا الكتاب القيم
الذي حوى درراً من الفصاحة والبيان ما يعجز كثير من الفصحاء عن قوله .
أقول - بحق - إن هذا الكتاب القيم - وكل كتب ابن الجوزي - لا يستغنى عنه
أى عامل في مجال الدعوة والوعظ والخطابة فهو غزير في مادته العلمية الضخمة في
أسلوب بديع يدل على تمكن من أساليب البلاغة فتجده يستخدم العبارة الرائقة
والإشارة الفائقة والمعاني الدقيقة والاستعارة الرشيقة والكلمات المسجعة ، والمعاني
الوادعة في الألفاظ الشائعة .

أحياناً يقتبس بعض التعبيرات القرآنية في أساليبه مما يعطى لكلامه نوراً
وتأثيراً في القلوب والعقول قل أن تجده في غيره .
أحياناً أخرى يستخدم بعض الجمل من الأحاديث النبوية في أسلوبه
مما يحمل العبارة الواحدة من عباراته المعنى الكثير والكثير ويدل ذلك أيضاً على امتلاكه
لثروة حديثة فائقة .

يستخدم السجع البديع غير المتكلف الذى يكاد يخلع القلوب من صدورها
وتأثيراً في القلوب والعقول قل أن تجده في غيره .
يستخدم الكلمة الواحدة بعدة معاني في الأسلوب الواحد وأحياناً في
العبارة الواحدة - وهو ما يعرف في علم العربية بالجناس - مما يثير انتباه القارئ
أو السامع لمواعظه .

وقد برع أيما براعة أيضاً في استخدامه للاستفهام البلاغى فيستخدم
الاستفهام وغرضه التوبيخ ويستخدمه وغرضه التحذير وأحياناً التنبيه وأحياناً
التقرير مما يشد انتباه سامعه فيظل مشدوداً إلى كلامه بعقله ولبه معاً ...

إننا لو حاولنا أن نستقصى أسلوب ابن الجوزي وندرسه لأخرجنا من العبارة الواحدة الكثير من آيات الفصاحة والبلاغة لذلك كان تأثيره عظيماً في معاصريه حتى قيل إن أقل عدد حضر له في مجالسه عشرة آلاف وزادت مجالسه أحياناً على المائة ألف نفس ، وقيل أيضاً إنه يوم مجلسه كانت شوارع بغداد تملو من المارة وقيل الكثير والكثير في تأثير مواعظه على معاصريه ...

وقد قسم إمامنا ابن الجوزي هذا الكتاب إلى ثلاثة وثلاثين فصلاً كل فصل يحتوي على عدة مواعظ كل موعظة مؤيدة إما بحديث لرسول الله ﷺ أو بأثر لصحابي أو لأحد التابعين ثم بعد ذلك يتبعها بيت أو عدة أبيات شعرية حتى تكون أقرب إلى نفوس السامعين لأن النفس غالباً ما تميل إلى الكلام الموزون وتكون أشد تأثراً به - ثم بعد ذلك يتبعها بحكاية لأحد الصالحين سواء كان من الصحابة أو التابعين أو غيرهم من العباد والزهاد على مر التاريخ مما يجعل الموعظة أشد وقعاً في النفس واستقراراً في القلب الذي يؤثر بدوره على جوارح الإنسان فيتوب إلى ربه ويسير وفق منهجه ويتعد عن كل ما يغضب ربه من البدع والضلالات والمنكرات .

ملاحظة هامة :

هناك بعض الأمور - التي ذكرت في ثنايا بعض القصص - نتحفظ عليها ولا نسلم بكل ما جاء فيها وخاصة ما يتعارض مع العقل أو النقل مما نص عليه الشارع الكريم مثل ادعاء علم الغيب الذي لا ينبغي إلا لله وحده ولا يجب إسناده لأي مخلوق ، ومثل بعض الأمور التي تعتمد على زيف بعض المتصوفة وخيالاتهم التي تخالف منهج السلف الصالح - رضوان الله عليهم أجمعين .

وأخيراً أرجو من الله تبارك وتعالى أن تكون هذه المواعظ تبصرة لمن قرأها من الأخوة الأحباب وتعليماً للأخوة الذين يعملون في مجال الدعوة والوعظ لتكون لهم نبراساً يسرون في ضوئه ومنهلاً يتعلمون منه في سبيل خدمة الدعوة إلى الله في كل زمان ومكان .

المحقق

محمد إبراهيم سنبل

کتاب المواعظ والمجالس

وصف المخطوطة :

عثرنا بفضل الله على مخطوطة هذا الكتاب الطيب في دار الكتب المصرية
تحت رقم ٩٧٦ تصوف وأخلاق .

واسم الكتاب واضح كما هو بالصفحة الأولى ووسمه « هذا الكتاب المواعظ
والمحاليس ، للعالم العلامة ابن الجوزي قدس الله سره آمين » .

والكتاب حجمه كبير نسبياً وفي كل ورقة (١٧) سطراً تقريباً ، كل سطر
يحتوي على حوالي (٩) كلمات والخط مكتوب بخط نسخي واضح جداً .

وتم نسخها على يد الواثق بالله الغنى أبى العينين الزينى المالكى الأحمدي
وهذا واضح في آخر صفحة بالخطوط .

[illegible][illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل لثوبه وحفظه لنا ولد الإعانة وتغذرت
بالقفا فأعبروا يا أولي الألباس واستبدوا بالآله إلا
الله وحده لا شريك له استمد بفتوحه واستمر به
سيدنا وبينا محمد صلي الله عليه وسلم عليه ورسوله
وجبريله وخليفته هذا حب مني من الله
وبسبب عليه ما قد فادى مني وتغذرت وتغذرت
أرباب التفتت والاستبصار وبعد فهدى سبيل
تفتت بانكسر وتغذرت وتغذرت
تصل الكافل وتوصل الكافل من أخص من الخلال وتغذرت
العلماء من بها عدا من سطوات الخلال وتغذرت
القول في ساحة رحاب الجلال فتغذرت
فالها نافتا من الكافل من الخلال وتغذرت
العلماء من بها عدا من سطوات الخلال وتغذرت
القول في ساحة رحاب الجلال فتغذرت
فالها نافتا من الكافل من الخلال وتغذرت

تصميم المكتبة
والتأليف
الكتاب
الكتاب

مكتبة
مكتبة



مكتبة
مكتبة

بسم الله الرحمن الرحيم

[مقدمة المصنف]

الحمد لله الذى جعل الموت واعظاً لذوى الاعتبار ، وتفرد بالبقاء فاعتبروا
يا أولى الأبصار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الواحد القهار ،
وأشهد أن سيدنا ونبينا محمد ﷺ عبده ورسوله وحبيبه وخليله صاحب الفيض
المدرار ، ﷺ ما تعاقب الليل والنهار ، وعلى آله وصحبه أرباب التفكير
والاستبصار .

وبعد . فهذه مسائل تتعلق بالتفكير والتدبر فيما إليه يؤول الحال ، تُبَصِّرُ
الغافل وتوصل الكامل إلى أحسن الخلال ، وتنجي العاملين بها غداً من سطوات
الجلال وتضويهم^(١) النزول في ساحة رحاب الجمال ، فتنبه للعمل بها فإنها نافعة ،
ولمقامك من الحضيض الأوحى إلى أرج^(٢) المعالي رافعة .

الفصل الأول

[إعراض ملك عن الدنيا]

حكى أن ملكاً تفكر فيما هو فيه من أمر لا يتيقن فعله أن ما هو فيه منقطع
وأن آخره الموت فانساب من قصره ليلاً حتى أتى ساحل البحر فجعل يضرب

(١) تضويهم : أى تلجئهم وتأويهم . [لسان العرب (٤٩٠/١٤) مادة ضوا]
ط دار صادر .

(٢) أرج : الأرج هو الطيب وربما هنا تصحيف فالصواب (أوج) ويكون المعنى على
ذلك : قمة أى أنها ترفع مقامك من الحضيض الى قمة المعالي . [اللسان
(٢٠٧/٢-أرج) ط دار صادر .

اللبين^(٣) ويقتات^(٤) بيمينه ويعبد الله عز وجل فبلغ ذلك ملكا كان بالقرب منه فبعث إليه رسولا ليستدعيه فأبى أن يأتيه فبعث إليه ثانية فأبى أن يأتيه فخرج الملك قاصدا إليه فلما رآه الملك العابد فر منه فتبعه الملك وهو يقول : يا عبدالله لا بأس عليك فلم يلتفت إليه فجعل يؤانسه ويلطفه حتى سكن إليه فقال له : ما حملك على اختيار هذه الأرض ؟ قال : وجدت قلبي في مفارقة بنى آدم قال : فكيف تصبر على الوحدة ؟ قال : مَنْ أُنِسَ بالله استوحش مِنْ سواه قال : فما سبب خروجك من ملكك ؟ قال : ذكرت عاقبة ما أنا فيه ، فرأيتها تؤول إلى الزوال ، فأعرضت عن مايفنى ، وأقبلت على طلب ما يبقى ، وفررت من ذنبي إلى ربي ، فقال الملك : ما أنت أحق مني بالخوف من الله عز وجل ، ثم نخلى الملك الثاني سبيل دولته وتبعه ، فكانا يعبدان الله عز وجل وسألا الله تعالى أن يميتهما في وقت واحد ، فكان كذلك ودُفنا جميعا .

قال عبدُ الله بن مسعود^(٥) : فلو كنت بمصر لأريتكم قبريهما بالنعث الذي نعت لى رسولُ الله ﷺ .

(٣) اللبني : طوب يضرب لغرض البناء ويضرب من الطين [لسان العرب (٣٧٥/١٣) مادة : لبن] ط . دار صادر .

(٤) يقتات : أى يأكل أو يرتزق . [لسان العرب (٧٤/٢-قوت)] ذ دار صادر .

(٥) عبدالله بن مسعود : هو عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي ، أبو عبد الرحمن ، من السابقين الأولين ، ومن كبار العلماء ، من الصحابة ، مناقبه جمّة وأمره عمر على الكوفة ومات سنة ٣٢هـ أو في التي بعدها بالمدينة . [تقريب التهذيب (٤٥٠/١) برقم ٦٣٠] .

شعر

[المهيار]^(٦)

حموا راحة النوم أجفائهم وأكفوا^(٧) على الزفرات^(٨) الضلوعا
وأحيوا فؤادا^(٩) ولكنهم على ملة الحب^(١٠) ماتوا جميعا

[صاحب أهل الدين وصافهم]

يا هذا^(١١) صاحب أهل الدين وصافهم ، واستفد من أخلاقهم
وأوصافهم ، واسكن معهم بالتأدب في دارهم ، وإن عاتبوك فاصبر ودارهم ، إن
لم يكن لك مكنة البذر ولم تُطَق مراعاة الزرع فقف على رفقة ، ﴿ وإذا حضر
القسمة أولو القربى ﴾^(١٢) أنت وقت الغنائم نائم ، وقلبك في شهوات البهائم
هائم ، إن صدقت فانهض وبادر ، ولا تستصعب طريقهم فالمعين قادر ، تعرض
لمن أعطاهم ، وسل فمولاك مولاهم . رَبُّ كثر وقع به فقير ، ورب فضل فاز به
صغير ، عَلِمَ الخِضْرُ ما خفى عن موسى وكشف لسليمان ما غطى عن داود ،
لا تحقر نفسك فالتائب حبيب الله . والمنكسر مستقيم ، إقرارك بالإفلاس غنى
واعترافك بالخطأ إصابة ، وتنكيس رأسك بالندم رفعة .

(٦) نسب صاحب المدهش هذين البيتين للمهيار ، وذكر محققه بالهامش أنها من
قصيدة كتب بها إلى عميد الكفاة سعد بن عبدالرحيم يهنئه بالنوروز ، أنظر ديوان شعره
(٢٢٢/٢-٢٢٦) [المدهش ص ٣٨١] .

(٧) في المدهش (لفوا) (ص ٣٨١) .

(٨) الزفرات : جمع زفرة ، وهى أن يملأ الرجل صدره غماً ثم هو يزفر به [اللسان
(٣٢٤/٤ - زفر)] والمعنى أى : لم ييوحوا بغمهم .

(٩) في المدهش (فرادى) . (المدهش ص ٣٨١) .

(١٠) ذكرت في المدهش (صيحة البين) .

(١١) ذكرت هذه الموعظة في المدهش ص (٤٢٨) من قوله (يا هذا صاحب أهل
الدين وصافهم .. إلى قوله (وتنكيس رأسك بالندم رفعة) .

(١٢) سورة النساء : الآية : ٨ .

[دار التعب والمجاهدة]

نزول^(١٣) آدم إلى دار التعب صعود لا هبوط ، يا آدم لا يغرنك قول ﴿ اهبطوا منها ﴾^(١٤) ففي كل يوم يُنادى ألف ألف مرة ﴿ والله يدعو إلى دار السلام ﴾^(١٥) .

نزل^(١٦) آدم إلى دار المجاهدة فظهر من ثمرته صبرُ الخليل وثبوت الذبيح وجهادُ يوسف وكأل محمد ﷺ ، ثم جاء الأولياء في هذه الأمة فخجلت عند زهدهم الرهينة ، لا بل سبقوا تعبُ الملائكة .

قال بعضهم^(١٧) : ما فاتني ورْدٌ قط فقدرت على إعادته وذلك أن الزمان الذي يقضى فيه ، فيه وظيفة أخرى .

مصاييح القلوب الطاهرة ، في أصل الفطرة منيرة ، قبل الشرائع ﴿ يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار ﴾^(١٨) .

(١٣) وردت في المدهش ٤٩٥ بمعناها فقط ، من قوله (نزول آدم إلى دار التعب ... إلى قول الله تعالى « والله يدعو إلى دار السلام » .

(١٤) سورة البقرة الآية : ٣٨ .

(١٥) سورة يونس الآية : ٢٥ .

(١٦) وردت بالمدهش ٢٠٩ بنصها ، من قوله (نزل آدم إلى دار المجاهدة ... إلى قوله سبقوا تعب الملائكة) .

(١٧) ورد بالمدهش أن الذي قال ذلك هو (سرى) [مدهش ص ٢٠٩] .

(١٨) سورة النور الآية : ٣٥ .

زُهْدُ أَوْلَادِ مَلِكٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ

قال بكر بن عبد الله^(١٩) : بلغنا عن ملك من ملوك بني إسرائيل أنه كان ذا بنين فكان الولد منهم إذا بلغ مبلغ الرجال لبس الشعرَ ولحق بالعباد في الجبال يتعبد حتى يموت فولد له ولد في آخر عمره فدعا بخاصته وكبراء دولته وقال لهم : قد أحببت هذا المولود وأظن أن أجلى قد دنا وأخشى أن يحوى هذا الملك غيرنا إن لحق بإخوته فخذوه من صغره وحببوا له الدنيا وزخرفها فلعله أن يرغب في الملك فيكم^(*) عليكم بعدى قال : فعمدوا إلى فضاء من الأرض فبنوا له حائطاً فرسخ في فرسخ وجعلوا عنده من كل زينة حسنة وجمعوا له أنواع الملاحى والقيان^(٢٠) فلم يزل في ذلك الموضع حتى بلغ ما بلغ إليه إخوته فنظر ذات يوم وقال : أحسب خلف هذا الحائط وجوداً وعالماً آخر أخرجوني حتى أزداد علماً و يقينا فقالوا له : لا شيء إلا ما ترى فأقام حولا ثم ركب وجعل يدور من داخل الحائط ثم قال : أحسب خلف هذا الحائط وجوداً وعالماً آخر أخرجوني حتى أزداد علماً و يقينا فقالوا له : مثل ذلك فقال : لا بد من الخروج فأخبروا أباه فقال : أخرجوه فإننا نريد ويأبى الله إلا ما يريد .

شعر

جذب الهوى بعنايه فأطاعه وعصى وأفضى لائماً ومفنداً
وحلا الغرام له وعوده الهوى حمل الضنا فجرى على ماعوداً

(١٩) بكر بن عبد الله : المزني ، أبو عبد الله البصري ، ثقة ثبت جليل ، من الثالثة ، مات سنة ست ومائة .

[حلية الأولياء (٢٢٥/٢) برقم ١٨١] .

[تقريب التهذيب (١٠٦/١) برقم ١١٧] .

(٢٠) القيان : جمع قينة : وهى الأمة صانعة أو غير صانعة وغلب على المغنية .

[المعجم الوسيط ٧٧١/٢] ولعل المراد هنا المغنيات .

(*) أظن هذه الكلمة حشو بالسياق .

قال : ففتحوا له الباب فخرج ومعه خواص الملك فيينا هو يسير إذ مرَّ
برجل مبتلى فقال : ما هذا قالوا : رجل مبتلى قال : أيصيب هذا البلاء كلَّ الناس
أم ناساً دون ناس قالوا : بل يصيب أقواماً قُدَّرَ الله عليهم قال : فيعلمه أولئك
فيعتدوا^(٢١) له أم كل له خائف ؟ قالوا : بل كل له خائف قال : وأنا فيما أنا فيه
من سلطاني قالوا : نعم قال : إن عيشكم هذا عيش كدر ليس بصفاف .

ثم سار وإذا هو برجل قد أصابه الكبر وأعجزه الهرم^(٢٢) ولعابه يسيل على
صدره فقال : ما هذا ؟ قالوا : رجل عمر فهرم ، قال : أيصيب هذا ناساً دون
ناس أم كل له خائف إن هو عمر أن يصيبه مثل ذلك ؟ قالوا : بل كل له خائف
إن هو عمَّر أن يصيبه مثل ذلك قال : إن لعيشكم هذا عيش كدر ليس بصفاف ثم
سار فإذا هو بسرير تحمله الرجال فقال : ما هذا قالوا : رجل مات قال : أجلسوه
قالوا : لا يجلس قال : كلموه قالوا : لا يتكلم قال : أيصيب هذا ناساً دون ناس أم
كل له خائف قالوا : هذا مصير الكل خافوا أم لم يخافوا قال : أفمن هذا كنتم
تخبؤوني قالوا : هذا لا ينجو منه بفرار ولا يغلبه ذو قدرة باقتدار فقال : كاد هذا
يأتيني بغتة وأنا لا أشعر لاسبيل لكم على بعد هذا اليوم .

شعر

خَلِيلِي لَا وَاللَّهِ مَا أَنَا مِنْكُمْ إِذَا عَلِمَ مِنْ آلِ لَيْلَى بَدَالِيَا^(٢٣)

ثم إنه هم بالفرار فأحاطوا به وقالوا : لاندعك حتى تصل إلى إبيك قال :
فلما دخلوا على أبيه وأخبروه بالقصة قال لهم : ألم نقل لكم إنا نريد ويأبى الله
إلا ما يريد خلوا سبيله فلا طمع لكم فيه .

(٢١) والمراد : يتهأأوا ويستعدوا .

(٢٢) الهرم : الضعف والشيخوخة [المعجم الوسيط (٩٨٣/٢)] .

(٢٣) ورد هذا البيت في المدهش ص ٢١٤ .

شعر

دَعُوهُ لَا تَلُومُوهُ دَعُوهُ فَقَدْ عَلِمَ الَّذِي لَمْ تَعْلَمُوهُ
رَأَى عَلِمَ الْهَدَى فَسَمَى إِلَيْهِ وَفَازَ بِمَطْلَبٍ لَمْ تَطْلُبُوهُ
لَعَمْرِي ذَاكَ مِنْ فُطْنٍ لَيْبٍ تَذُوقُ مَطْعَمًا لَمْ تَطْعَمُوهُ

[الاستقامة]

لاحت للقوم^(٢٤) جادة السلوك فقالوا : ﴿ رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾^(٢٥)
فركبوا سفنَ العزم ، وهبت لهم رياح العون ، فقطعوا بالعلم لجج^(٢٦) الجهل ،
فوصلوا إلى إقليم القرب^(٢٧) ، وأرسوا^(٢٨) على ساحل بلد الوصل .

شعر

صافحوا^(٢٩) النجم على بُعْدِ المنازل واستظلوا^(٣٠) الفياء من بردِ الظلال
واستدلوا الوعر من أخطارها إنما الأخطار أثمانُ المعالي
ركبوا الصبر^(٣١) إليها ربما صحت الأجساد يوماً بالهزال

(٢٤) وردت هذه الموعظة بالمدحش ص ١٧٩ ، من قوله (لاحت للقوم جادة السلوك ... إلى قوله على ساحل بلد الوصل) .

(٢٥) سورة فصلت الآية : ٣٠ .

(٢٦) لجج : اللجة هنا بمعنى البحر [اللسان (٣٥٤/٢) لجج] ط . دار

صادر

والمعنى أن علمهم قضى على شدة جهلهم أو على بحور جهلهم .

(٢٧) وردت بالمدحش (أرض الفهم) والصواب ما ذكره المدحش ص ١٨٠ .

(٢٨) وردت بالمدحش (أرسلوا) المدحش (ص ١٨٠) .

(٢٩) وردت هذه الأبيات في المدحش (ص ٣٧٠) .

(٣٠) وردت بالمدحش (واستطابوا القيظ) والصواب ما ذكره المدحش .

(٣١) كذا بالأصل وردت بالمدحش (الضر) والصواب ما ورد بالأصل .

وجروا سيفاً^(٣٢) إلى غاياتها بالصفاح^(٣٣) البيض والسمير^(٣٤) الطوال
إذا^(٣٥) وقعت عزيمة الإنابة في قلب مَنْ سبقت له منا السعادة قلعت قواعد
الهدى^(٣٦) من أساس^(٣٧) الأمل .

تنبيه لابن أدهم

ركب^(٣٨) إبراهيم بن أدهم^(٣٩) يوماً للصيد وقد نصب له فخ ﴿يهدىهم﴾^(٤٠) حوله حب (يحبهم)^(٤١) فصيد قبل أن يصيد سمع هاتفا يقول :
يا إبراهيم ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فيا له من صوت^(٤٢) ألقاه عن قرب

-
- (٣٢) كذا بالأصل ووردت بالمدحش (يوماً) والصواب ما ذكره المدحش .
(٣٣) كذا بالأصل وورد بالمدحش (بالعوالى) والصواب ما ورد بالأصل .
(٣٤) كذا بالأصل وورد بالمدحش (والقب) والأفضل ما أثبت في الأصل .
(٣٥) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ١٩٩) من قوله (إذا وقعت عزيمة
الإنابة ... إلى قوله (من أساس الأمل) .
(٣٦) كذا بالأصل ووردت بالمدحش (الهوى) .
(٣٧) كذا بالأصل ووردت بالمدحش (مسناة) .
(٣٨) ووردت هذه الحكاية بالمدحش (ص ١٩٩ ، ٢٠٠) ، من قوله (ركب
إبراهيم ... إلى قوله (من كسب الفقر) .
(٣٩) إبراهيم بن أدهم : إبراهيم بن أدهم بن منصور ، التميمي ، البلخي ،
أبو إسحاق : زاهد مشهور . كان أبوه من أهل الغنى في بلخ فتفقه ورحل إلى بغداد وجال في
العراق والشام والحجاز اشتهر بالزهد والورع والسخاء الوافر . مات ودفن في سوفن
(حصن من بلاد الروم) سنة ١٦١ هـ .
[الأعلام (٣١/١)] .
و [حلية الأولياء (٣٦٨/٧)] .
و [تهذيب التهذيب (١٠٢/١)] .
(٤٠) سورة يونس الآية : ٩ .
(٤١) سورة المائدة الآية : ٥٤ .
(٤٢) في المدحش (سهم) .

بؤس^(٤٣) بؤسه كان رافد إلفهم في ليل الغفلة مشغولا بأحلام المنا فصيح به قمر
فقام ، وقيل له سر فاستقام ، لاح له جمال الآخرة ، فنبت في النظر عين اليقين ،
فتمكن الحب من حب^(٤٤) القلب فقام [يسعى]^(٤٥) في [جمع] المهر من
كسب الفقر .

كان^(٤٧) إبراهيم الأسكندري^(*) كبير الهمة فاحتقر قصر بلخ في جنب ما أمل
فاجتنب سوابق العزم ، في جبد الحزم وسار في بيداء الجد ، في قطع ظلمات
الطمع ، فانفرد من جند جوارحه خضر القلب ، فوقع بمعين الحياة في السر فعاش
بالتوفيق أبد الدهر .

شعر

أما^(٤٩) تقومون كذا أو فاقعدوا ما كل من رام^(٥٠) السماء يصعد
لو شرف الإنسان وهو وادع لقطع الصمصام^(٥١) وهو مغمد

(٤٣) في المدهش (قربوسه) بدل (قرب بؤسه) والصواب ما ورد بالمدهش
ومعنى قربوس : حنو السرج أى اعوجاجه [المعجم الوسيط ٧٢٣/أط ، ٢٠٤/١] .

(٤٤) كذا بالأصل وبالمدهش (حبة) .

(٤٥) ما بين المعكوفتين سقط استدركناه من المدهش .

(٤٦) سقطت كلمة (جمع) واستدركناها من المدهش .

(٤٧) وردت هذه الحكاية بالمدهش (ص ٢٠١) ، من قوله . (كان إبراهيم
إسكندري ... إلى قوله (أبد الدهر) .

(*) بالمدهش (إسكندري الهمة) وهى الأقرب للصواب نسبة إلى الإسكندر
الأكبر أعظم قادة الرومان الذين غزوا بلاد المشرق كلها وصار ملكاً عليها .

(٤٨) كذا بالأصل ووردت في المدهش (فانتخب) .

(٤٩) ورد هذان البيتان في المدهش (ص ٢٠١) .

(٥٠) رام : قصد أو طلب أو أراد . [اللسان (٢٥٨/١٢ - روم)] دار صادر .

(٥١) الصمصام : السيف الصارم الذى لا ينثنى [اللسان (٣٤٧/١٢ - صمم)] دار

صادر .

الفصل الثاني

من طلب واجتهد وَجَدَ

يا هذا^(٥٢) من طَلَبَ وَجَدَ وَجَدَ ، وليس من سهر كمن رقد والفضائل تحتاج إلى وثبة أسد ، فيا غائبا عنا وهو حاضر ، أمالك ناظر ناظر ! أما دموع الوجد قد ملأت المهاجر ! ، إن^(٥٣) لبدوى لا يطربه ذكر حاجر^(٥٤) ، لما دارت كؤوس النوم على أفواه العيون ، سكرت بالشراب الألباب ، فطرحت الأجساد على فراش ﴿ يتوفى الأنفس ﴾^(٥٥) صاحت فصاحة الحب بالمحب ، « كل مسكر حرام »^(٥٦) ، فلما نفخ في صور الأيقاظ ﴿ ويوسل الأخرى ﴾^(٥٧) قام أموات النوم وقد رحل سفر الوصال ، فلم يروا إلا آثارا في مناخ ركائب الأحباب ، ستر القوم قيامهم بالليل فستروا بهم أن يطلع عليهم الغير ، ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ﴾^(٥٨) لو عاينتهم وقد دارت كؤوس المناجاة بين من أقر^(٥٩)

-
- (٥٢) هذه الموعظة وردت بكتاب المدهش (ص ٣٠٤ ، ٣٠٩ ، ٤٣١) وردت متفرقة ، من قوله (يا هذا من طلب وجد .. إلى قوله تعالى (تعرفهم بسيماهم) .
- (٥٣) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (أ ف) .
- (٥٤) حاجر : من مسایل المياه ومنابت العشب . [اللسان (٤/١٦٩ حجر) ط. دار صادر
- والمعنى : كيف يمكن لبدوى أن يرى العشب والماء ثم لا يطرب .
- (٥٥) سورة الزمر - الآية : ٤٢ .
- (٥٦) رواه البخارى (٢٠٥/٥) ، (٣٦/٨) ، ومسلم (١٥٨٦/٣) ، ١٥٨٧ ، (١٥٨٨) ، (٧٠ ، ٧٣ ، ٧٤) من باب الأشربة .
- (٥٧) سورة الزمر - الآية : ٤٢ .
- (٥٨) سورة السجدة - الآية : ١٧ .
- (٥٩) (من أقر) كذا بالأصل وورد بالمدهش (مزاخر) .

التلاوة فأسكرت قلب الواجد ، ورقمت في صائف^(٦٠) الوجنات ﴿ تعرفهم
بسيماهم ﴾^(٦١) .

شعر

احذر إليك في كل قلب في أماليه ساهِ وعن كل دمع في مآقيه
ما واجد القلب في المعنى كفاقدِه وجامدُ الدمع في البلوى كجارِيه

حكاية عن شعوانة العابدة

يروى عن جعفر الصادق^(٦٢) - رضى الله تعالى عنه - أنه قال ، دخلت
يوما على شعوانة^(٦٣) - رضى الله تعالى عنها - فرأيتها على حالة كرهت أن أشغلها
عنها ، فأمسكت أكلها فنظرت تجاه القبلة طويلا ثم قالت : إلى متى ؟ ثم
تنفست الصعداء وقالت :

أتحرقني بالنار يا غاية المني فأين رجائي فيك أين محبتي
ثم أقبلت على ورددت نظرها إليّ وقالت : يا ابن بنت رسول الله ﷺ :
متى دخلت عليّ ؟ فقلت : منذ زمان وكنت مشغولة فكرهت أن أشغلك

(٦٠) كذا بالأصل ووردت بالمدحش (صحائف) .

(٦١) سورة البقرة - الآية : ٢٧٣ .

(٦٢) جعفر الصادق : هو جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين
السبط الهاشمي سادس الأئمة الاثنى عشر عند الإمامية ، كان من أجلاء التابعين ، وله منزلة
رفيعة في العلم ، لم يعرف عنه الكذب قط لذلك لقب بالصادق ، مولده ووفاته بالمدينة
(٨٠ هـ - ١٤٨ هـ) [الأعلام (١٢٦/٢)] .

(٦٣) شعوانة : هي من عابدات أهله الأئمة ، وكانت كثيرة البكاء حتى انقلبت
حدقتها من شدة البكاء ، (واعتقد) أنها فارسية فقد ذكر صاحب صفة الصفوة في آخر
الكلام عنها أنها كانت تناجي ربها بالفارسية عندما زارت هي زوجها مكة .

[صفة الصفوة (٣٠٥/٤)]

عما كنت فيه فصرخت صرخة عظيمة وخرقت مرقعة^(٣٨) كانت عليها وقالت :
واشوقاه إلى مشاهدة ذلك الجمال ومحاضرة ذلك الكمال ، ثم شهقت شهقة
أخرى فارقت فيها روحها .

شعر

لا^(٦٤)أذاق الله عينًا أبصرت غيركم يا قوى نفسى^(٦٥) وسنا
لو ولا كانت قلوب سكنت عند ذكراكم ولا نالت منى

عودة الإنسان إلى الحق

من^(٦٦) رأى الحقائق رأى العين غض طرفه عن الدارين ، لو حضرتم
حظيرة^(٦٧) القدس لعبقتم^(٦٨) بنشر الأنس .

يا هذا^(٦٩) إن لم تقدر على كثرة العمل ، قف على باب الصُلب ، وتعرض
لجذبة من جذبات الحق ، ففي لحظة أفلح السحرة .

(٦٤) ورد هذان البيتان المدهش (ص ٤٥٠) .

(٦٥) (يا قوى نفسى) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (يا قوت روحى) .

(٦٦) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٤٧٥) من قوله (من رأى الحقائق ... إلى
قوله (بنشر الأنس) .

(٦٧) كذا بالأصل وبالمدهش (حضرة) .

(٦٨) كذا بالأصل وبالمدهش (لعقبتم) والصواب ما ورد بالأصل .

(٦٩) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٤٧٦) ، من قوله (يا هذا إن لم تقدر ...
إلى قوله (ففي لحظة أفلح السحرة) .

إسلام عيسى الكرخي وأمه وأهله

قال عيسى أخو معروف الكرخي^(٧٠) كنت أنا وأخي في المكتب حين كنا نصارى فكان المعلم يعلمنا فيقول : بسم الأب والإبن وروح القدس . فيقول معروف : أحد أحد فيضربه المعلم ضرباً شديداً فلما طال ذلك عليه هام على وجهه فكانت أمه تقول : لئن رد الله على ولدي لأتبعنه على أي دين كان عليه فبعد سنين قدم علينا معروف فقالت له أمه : على أي دين أنت يا ولدي ؟ قال : على دين الإسلام فأسلمت أمه ثم أسلمنا كلنا .

استغاثة

وحكى عن بعض العارفين أنه ذات يوم ناجى ربّه عز وجل فجعل يقول : : يارب أنت شئت ، أنت قضيت ، أنت حكمت أنت أردت ، لا أعلم ربّاً سواك ، ولا مقدراً إلا إياك ، فنودي : هذا أدب التوحيد ، فأين أدب العبيد ؟ فقال : يارب أنا عصيت ، وأنا جنييت ، وأنا خالفت ، وأنا أخطأت فسمع هاتفا يقول : وأنا سترت ، وأنا صفحت ، وأنا غفرت وأنا عفو .

فائدة الطاعة

يا هذا^(٧١) اعرف قدر لطفنا بك ، وحفظنا لك ، إنمنا نهيناك عن المعاصي صيانة لك لا لحاجتنا إلى امتناعك ، فاجعل مراقبتك لمن لاتغيب عنه ، وشكرك

(٧٠) معروف الكرخي : معروف بن فحروز الكرخي ، أبو محفوظ ، أحد أعلام الزهاد والمتصوفين ، كان من موالى الإمام على الرضى بن موسى الكاظم ولد في كرخ ببغداد ونشأ وتوفي ببغداد ، اشتهر بالصلاح وقصده الناس للتبرك به (... - ٢٠٠ هـ) .

[الأعلام (٢٦٩/٧)]

(٧١) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٤٧٥) ، من قوله (يا هذا اعرف قدر لطفنا بك ... إلى قوله (وما تشعر) .

لمن لاتصيبك نعمة إلا منه، وطاعتك لمن لا ترى خيراً قط إلا منه ، وبكاؤك على إعراضك عنه ، فارفع إليه يد الذل في طلب حوائج القلب ، تأتى وما تشعر .

كشف من ولى

قال جعفر الخلدى^(٧٢) : كنت يوماً بيت المقدس فرأيت رجلاً ملفوفاً في عباءة فجلستُ عنده طويلاً وهو على تلك الحالة لم يتكلم ثم أخرج رأسه من عباءته ونام فقلت : هذا أحد رجلين إما مجنون أو ولى لله عز وجل فبينما أنا متفكر في أمره إذ أقبل رجلٌ ومعه زنبيل^(٧٣) وجعل ينظر يمينا وشمالاً وجاء حتى جلس بين يديه وأخرج من الزنبيل فطيرة وحلاوة حارة فجلس الفقير وأكل حتى شبع ثم قال للرجل : رد الباقي إلى صغارك فقام الرجل من عنده فقمت وتبعته وقلت له : سألتك بالله هل بينك وبين هذا الفقير معاملة أو معرفة قبل هذا اليوم ؟ فقال : لا والله مارأيتُه قبل ساعتى هذه قط فقلت له : فكيف قصتك فقال : اشتها^(٧٤) صغارى بالأمس فطيرة وحلاوة فقلت والله ما أقدر على ما طلبتم ولكن إن فتح الله علىّ بشيء صنعتُه لكم فلما كان هذا اليوم فتح الله علىّ بشيء فصنعت لهم ما طلبوه ووضعته بين أيديهم واضطجعت أستريح فغلبتنى عينى فنمت فأتاني آتٍ فى منامى وقال لى : قم وأحمل الفطيرة والحلاوة إلى بيت المقدس واجعله بين يدى الفقير الملفوف فى العباءة ، فإننا هيأناه له على يدك وما بقى منه فهو لصغارك فانتبهت وقد قدموا ليأكلوه فرفعته من بين أيديهم وجئت به إليه ، فقلت : والله هذه الهمم يا من يستهول أحوال القوم تنقل فى المراقى تغل .

(٧٢) جعفر الخلدى : جعفر بن محمد بن نصر ، أبو محمد الخلدى ، شيخ الصوفية فى أيامه ببغداد ، وأعلمهم بالحديث ، وكان خواصاً ، حج ٥٦ حجة مولده ووفاته ببغداد (٢٥٣هـ - ٣٤٨هـ) .

[الأعلام (١٢٨/٢)]

(٧٣) زنبيل : الوعاء أو الجراب . [اللسان (٣٠٠/١١) - زبل] ط. دار صادر .

(٧٤) كذا بالأصل وهى على لغة شاذة والأفضل (اشتهى) .

شعر

[ابن هندو] (٧٥)

لا يؤيسنك من مجد تباعده فإن للمجد تدريجاً وترتيباً
إن القناة التي شاهدت رفعتها تنمى وتنبت أنبوباً فأنبوباً

يا هذا (٧٦) قد سمعت أخبار القوم (٧٧) فسر في سربهم ، وقد عرفت شرابهم
فاشرب كشربهم ، فمتى سلكت طريقهم كنت رفيقهم ، أطار خوف النار
نومهم ، وأطال ذكر العطش الأكبر صومهم ، يحسبهم الناظر مرضى الأبدان ،
ولأنما هو سقام الأحران .

شعر

لم (٧٨) تُبقي فيهم حرارة الهوى وجوال أسواق (٧٩) غير خيالات وأشباح
تكاد تُنكرهم عين الخبير بهم لولا تردد أنفاس وأرواح

الاشتغال بحب الله

لله (٨٠) در أقوام شغلهم حب مولا هم عن لذات دنياهم ، اسمع حديثهم إن
كنت ما تراهم ، خوفهم قد أزعج وأقلق ، وحذرهم قد أتلّف وأحرق ، وحادي

-
- (٧٥) نسب صاحب المدهش هذين البيتين (لابن هندو) [المدهش (ص ٤٤٥)] .
(٧٦) هذه الموعظة بالمدهش (ص ٤٤٥) من قوله (يا هذا قد سمعت أخبارهم ...
إلى قوله (سقام الأحران) .
(٧٧) كذا بالأصل وبالمدهش (المتقين) وكلاهما صواب .
(٧٨) ورد هذان البيتان بالمدهش (ص ١٨٠) .
(٧٩) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (وجوى الأحران) والصواب ما ورد
بالمدهش .
(٨٠) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٤٦١) من قوله (لله در أقوام ... إلى قوله
(إلى لقائهم أشوق) .

مجدهم مُجِدُّ لا يترفق ، دموعهم في أنهار الخدود تجري وتدفق ، يشتاقون إلى الحبيب والحبيب إلى لقائهم أشوق .

قال أبويزيد^(٨١) : مازلت أُشَوِّقُ نفسي إلى الله وهي تبكي حتى حملتني وهي تضحك^(*) ، ياطويل^(٨٢) النوم فانتك رفقة^(٨٣) أقوام « تتجافى جنوبهم »^(٨٤) ، وحرمت منحة ﴿ والمستغفرين بالأسحار ﴾^(٨٥) ولست من أهل عتاب « فإذا جنه الليل نام عيني » ليس في ليل الهجر مَنَام ، ومتى رأيت محباً ينام ؟

(٨١) أبويزيد : هو طيفور بن عيسى البسطامي ، زاهد مشهور له أخبار كثيرة ، نسبته إلى بسطام (بين خراسان والعراق) أصله منها ووفاته فيها ، وقيل أنه كان يقول بوحدة الوجود ، ويعرف أتباعه بالطيفورية أو البسطامية (١٨٨هـ - ٢٦١هـ) .
[الأعلام (٢٣٥/٣)]

(*) وقد ورد هذا الأثر بالمدحش (ص ٤٦٣) من قوله (قال أبويزيد ... إلى قوله (حملتني وهي تضحك) .

(٨٢) هذه الموعظة بالمدحش (ص ٤٣٢) من قوله (يا طويل الثوم ... إلى قوله (ومتى رأيت محباً ينام) .

(٨٣) كذا بالأصل وبالمدحش (مدحة) .

(٨٤) سورة السجدة - الآية : ١٦ .

(٨٥) سورة آل عمران - الآية : ١٧ .

(٨٦) جَنَّهُ : أي دخل عليه الليل أو ستره الليل . [المعجم الوسيط (١٤٠/١)] .

شعر

[للمتنبى] (٨٧)

وإن نهاري ليلة مُدْلِهْمَةٌ (٨٨) على مقلةٍ مِنْ فَقْدِكُمْ فِي غِيَابِ (٨٩)
بعيدةٍ ما بين الجفونِ كأنما عقدتُم أعالي كلِّ هذبٍ (٩٠) بِحَاجِبِ
البكاءِ (٩١) موكل بعيون الخائفين ، كلما همتْ بفتح طَرْفٍ لتنظر إلى طرف
من طرف الدنيا طرفه دمه .

قال عليه الصلاة والسلام :

« عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ أَبَدًا عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ
تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » (٩٢) .

وقال الحسن : (٩٣) إذا بكى العبدُ من خشية الله رَحِمَ مَنْ حَوْلَهُ وَلَوْ كَانُوا
عَشْرِينَ أَلْفًا .

(٨٧) نسب صاحب المدهش هذين البيتين (للمتنبى) [المدهش (ص ٤٣٢)] .
(٨٨) مُدْلِهْمَةٌ : أى شديدة الظلمة ، وليلة مدلهمة أى مظلمة . [اللسان (١٢/٢٠٦ -
- دهم) ط . دار صادر .

(٨٩) غياهب : أى ظلمات شديدة [اللسان (١/٦٥٤ - غهب) ط . دار
صادر .

(٩٠) هذب : شعر أشفار العين . [اللسان (١/٧٨٠ - هذب) ط . دار
صادر .

(٩١) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٤٣٦) ، من قوله (البكاء موكل بالعيون)
إلى قوله (من طرق الدنيا طرفته دمه) .

(٩٢) صحيح سنن الترمذى للألبانى (١٣٣٨ - ١٧٠٦) ج ٢/١٢٦ ، مشكاة
المصابيح (١١٢٥/٢) رقم (٣٨٢٩-٤٢) المكتب الإسلامى ، وقال عنه الألبانى صحيح
لشواهد .

(٩٣) هذا الأثر ورد بالمدهش (ص ٤٣٦) من قوله (وقال الحسن ... إلى قوله
(ولو كانوا عشرين ألفاً) .

وقيل لثابت البناني :^(٩٤) تعالج عينك ولا تبكى ؟ فقال : أى خير فى عين لا تبكى ؟! قلب^(٩٥) المحب جمره تحت فحم الليل كلما هب النسيم التهب فإذا اشتد الحال تصعدت غيوم الغموم من أودية القلوب وانبعث، وصعدت إلى سماء الأجفان فتراكمت واتلفت وابتسم برق السر فهطلت مياه العيون وانهملت ورق^(٩٦) ورى^(٩٧) الشوت منابر الشجور^(٩٨) وترغمت^(٩٩) فأطربت وصاحت^(١٠٠) بلابل المحبة بمكنون الضمائر فأغربت^(١٠١) فكلما ناولها الوجد كأساً من الدموع أنشدتهم الحمائم ورجعت .

(٩٤) هذا الأثر ورد بالمدحش (ص ٤٣٦) من قوله (قيل لثابت ... إلى قوله (أى خير فى عين لا تبكى)
ثابت البناني : ثابت بن مسلم البناني ، يكنى أبا محمد ، عرف بكثرة العبادة ، وكثرة قراءة القرآن والصلاة ، وهو من الطبقة الثالثة ، من أهل البصرة وتوفى فى ولاية خالد بن عبد الله على العراق .

[صفة الصفوة (٣/٢٦٠) رقم ٥١٥]

(٩٥) هذه الموعظة بالمدحش (ص ٤٤٦) من قوله (قلب المحب جمره ... إلى قوله (وصاحت بلابل المحبة) .

(٩٦) كذا بالأصل وبالمدحش (فارتقت) والصواب ما ورد بالمدحش .

(٩٧) كذا بالأصل وفى المدحش (ورق) .

(٩٨) كذا بالأصل وبالمدحش (الشدو) وكلاهما صواب .

(٩٩) ترغمت : عضبت أو ذلت . [اللسان (١٢/٢٤٦) - رغم ° ط. دار صادر .

(١٠٠) كذا بالأصل وبالمدحش (صدحت) وكلاهما صواب .

(١٠١) أغربت : كثرت وبالغت . [اللسان (١/٦٤١) - غرب) ط. دار

صادر .

الفصل الثالث

يا مكرماً بحلية الإيمان

اسمع^(١٠٢) يا مكرماً بحلية الإيمان بعد حُلَّةِ الإيجاد وهو مخلقها في مخالفة الخالق إلى متى يخدعك المنى ؟ ويغرك الأمل ؟ عجباً لك !! يتأمل الحيوان البهيمى العواقب وأنت لا ترى الحاضر ، أما تكاد تهتم بمؤنة الصيف حتى يشتد الحر ، ومؤنة الشتاء حتى يقوى البرد ، ومن هذه صفته في أمر دنياه ﴿ فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً ﴾^(١٠٣) .

أتراك ماعملت رجلك إلى القبر فهل لاتعبث بفراش ﴿ فلأنفسهم يمهّدون ﴾^(١٠٤) ، من^(٢٠٥) ركب ظهر التفريط نزل به دار الندامة ، ألم تسمع أن داود كان قد أعطى نعمة حتى كان يقف له الماء والطير فامتدت يد الغفلة فقدت قميص العصمة فأثرت حتى في التلاوة .

حكاية ذنب داود عليه السلام

يروى عن داود عليه السلام أنه لج به البكاء ذات يوم فلما كان في آخر الليل نادى : يارب أما ترحم كثرة بكائى ؟ فأوحى الله عز وجل إليه : يا داود نسيت ذنبك وذكرت بكاءك ، فقال : إلهى وسيدى لم أنس ذنبى ولكنى أرجو منك غفرانه : إلهى وسيدى كنت إذا تلوت الزبور كف الماء الجارى عن جريانه

(١٠٢) هذه الموعظة بالمدحش (ص ١٥١ ، ١٦٠) من قوله (اسمع يا مكرماً بحلية الإيمان ... إلى قول الله تعالى : ﴿ فلأنفسهم يمهّدون ﴾ .

(١٠٣) سورة الإسراء - الآية : ٧٢ .

(١٠٤) سورة الروم - الآية : ٤٢ .

(١٠٥) هذه الموعظة بالمدحش (ص ١٥١) من قوله (من ركب ظهر التفريط ... إلى قوله (فأثرت حتى في التلاوة) .

وتسكن هبوب الرياح وتظلني الطير وتطوف الوحوش بمحراي وقد فقدت ذلك ، أفمن أجل هذا الذنب كل هذه الوحشة ؟ فأوحى الله تعالى إليه : يا داود ، آدم خلقتُه بيدي ، ونفخت فيه من روحي وأسجدت له ملائكتي ، وألبسته ثوب كرامتي ، وتوجته بتاج عنايتي ، وزوجته حين استوحش بحواء أمتي ، وأبخت له ولها جنتي ، فلما عصاني أخرجته من جوارى ، ونزعت عنه تاج وقارى .

يا داود من أطاعنا قربناه ، ومن سألنا أعطيناه ، ومن عصانا أمهلناه ، وإن عاد إلينا على ما كان منه قبلناه .

شعر

تواليت قوما لا وفاء لعهدهم وأعرضت عنا والحفاظ قديم
سأترك ما بيني وبينك واقفاً فإن عذت عذنا والوداد سليم
يا مقيداً^(١٠٦) بقيود الطرد ألقى نفسك في الدجى على باب الذل ، وقل
إلهى كم لك سواى ، وما لى سواك ، فبفقرى إليك وغناك عنى ألا ماعفوت
عنى .

أنجح الوسائل لطلب الحوائج

أنجح الوسائل لطلب الحوائج الذل ، وأبلغ الأسباب فى العفو البكاء ،
وألغى عن ترتيب العذر بلاغة المنكر ، وليس فى المياه ماء يُقْلِعُ آثار الذنوب من
ثوب القلب إلا الدموع ، فإن صب الماء ولم يُزَلْ الأثر فعليك بالاغتراف من بحر
الاعتراف ، احضر نادى المجتهدين ، ونادهم طوبى لكم ، قد وجدتم قلوبكم ،
فارحموا من لم يجد .

(١٠٦) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ١٨٩) من قوله (يا مقيداً بقيود
الطرد ... إلى قوله (فارحموا من لم يجد) .

شعر

إذا^(١٠٧) وصلتم إلى وادى العقيق سلّوا
عن حالٍ منقطعٍ أودى به السفر^(١٠٨)
وفتشوا عن فؤادٍ هائمٍ بكم^(١٠٩)
قد ضاع منى فلا عين ولا أثر
أبلغ^(١١٠) المراهم لجراح الذنوبِ الندم ، وأوطأ فراشِ المُعتذر .

حكاية حميد وزوجته

قيل : كان شاب يختلف إلى رسول الله ﷺ يقال له حميد فسمع ذات يوم قارئاً يقرأ ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾^(١١١) فلم يزل باكياً حتى رجع إلى أهله فلما جئته الليلُ صلى ما كتب الله تعالى له ولم يزل باكياً متضرعاً إلى الله عز وجل حتى أصبح ، وكانت له زوجة عاصية وكان قد شكاهها إلى رسول الله ﷺ قبل ذلك اليوم ، فقالت له : يا حميد ما الذى أسهرك فى ليلتك هذه وأبكاك ؟ قال لها : سمعت قارئاً يقرأ ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾^(١١٢) فألقى الله عز وجل فى قلبها خشيةً فقالت : والله لأنطلقن إلى رسول الله ﷺ لعله يستغفر لى فقال لها حميد : تمضى إلى رسول الله ﷺ وقد شكوتك له بالأمس ؟ قال : فخرجت حتى أوقفت بين يدى رسول الله ﷺ وقالت : يا رسول الله إني أتيتك تائبَةً فاستغفر لى فقال سلمان الفارسى : يا رسول الله هذه زوجة حميد التى شكاهها

(١٠٧) ورد البيتان بالمدحش (ص ١٨٩) .

(١٠٨) كذا بالأصل وبالمدحش (السهر) والأفضل ما ورد بالمدحش .

(١٠٩) كذا بالأصل وبالمدحش (قلق) .

(١١٠) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ١٩٢) ، من قوله (أبلغ المراهم لجراح

الذنوبِ الندم ... إلى قوله (فراشِ المعتذر) .

(١١١) سورة الحجر - الآية : ٤٣ .

(١١٢) سورة الحجر - الآية : ٤٣ .

لك بالأمس ، فأعرض رسول الله ﷺ بوجهه عنها ولم يكلمها فخرجت إلى جبال المدينة وجعلت تبكي وتنادى : إلهي أتيت نبيك تائبَةً فلم يقبلني وأعرض بوجهه عني ولم يكلمني وقد أتيتك يا من وسعت رحمته الأحياء والأموات يا من يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات إلهي أنا العوادة بالذنوب وأنت العواد بالمغفرة ، قال : فهبط الأمين جبريل على رسول الله ﷺ فقال : يا محمد الحق يُقرُّك السلام ويقول لك : أتتكَ أمتي تائبَةً فلم تقبلها وأعرضت بوجهك عنها ، يا محمد قد أتتني فقبلتها فغفرت لها ورضيت عنها فبشرها برضائي عنها فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : أيكم يأتيني بها فقال سلمان : أنا يا رسول الله فخرج سلمان فوجدها بين الجبال تبكي وتتضرع إلى الله عز وجل وتسال فقال لها سلمان : أجيبي رسول الله ﷺ فقالت : يا سلمان كيف آتى رسول الله ﷺ وهو ساخط عليّ والله يسخطُ لسخطه فقال لها سلمان : أبشري فقد أخبره الله عز وجل برضاه عنك فاقبلت فلما رآها رسول الله ﷺ قال لها : مرحباً بمن عاتبنى ربي فيها أبشري فقد تاب الله عليك وغفر لك ورضى عنك ، قال : فخرتُ لله ساجدة وأطالت السجود فقال رسول الله ﷺ لسلمان : ارفع رأسها فذهب ليرفع رأسها فإذا هي قد ماتت (*) - رحمة الله تعالى عليها .

شعر

مرض (١١٣) الحب شفاي في الهوى كلما أكربنى أطربنى
فبقائى فى فنائى فيكم وسرورى منكم فى حزنى
وشرىتم بوصالى مهجتى جئت سعيّاً لاقتضاء (١١٤) الثمن
وإذا البلوى أفادت قربكم فمن النعماء دوام المَحْنِ

من علم (١١٥) أن عندنا حسن المآب آب .

(٥) لم أقف عليه .

(١١٣) ورد هذان البيتان في المدهش (ص ٤٥١) .

(١١٤) هذا الشطر ورد في المدهش كالاتى : (وأنا منتظر للثمن) وكلاهما

صواب .

(١١٥) هذه الموعظة وردت بالمدهش (ص ٢٠٣) من قوله (من علم أن عندنا

حسن المآب ... إلى قوله (من تفكر في مرارة الكاس كاس) .

من خاف الخير^(١١٦) بما في الكتاب تاب ، من حذر أليم العذاب ذاب ،
من سار في طريق الأيحاب انجاب ، من تفكر^(١١٧) فعمل الموت بالأب والجَدَّ جَدَّ ،
من تفكر في مرارة الكاس كاس^(*)

[أين الدموع السواجم قبل المنايا الهواجم]

أين^(١١٨) الدموع السواجم^(١١٩) قبل المنايا الهواجم ، أين القلق الدائم إلى
الذنوب العظام ، أيها القاعد والموت قائم ، أنائم عن حديثنا أم ذا متناوم ؟ بادر
بالتوبة من هفواتك ، قبل فواتك ، والمنايا بالنفوس فواتك .

شعر

ما أسرع الأيام^(١٢١) في طينبا تمضي علينا ثم تمضي بنا
في كل يوم أمل قد نأى مرامه^(١٢٢) عن أجل قد دنا
أنذرنا الدهر وما نرعى^(١٢٣) كائنا الدهر سوانا عنا

-
- (١١٦) كذا بالأصل وفي المدهش (الجزء) والصواب ما ورد بالمدهش .
(١١٧) كذا بالأصل والمدهش (ذكر) وكلاهما صواب .
(*) كاس : من الكياسة وهي الفطنة والذكاء [الوسيط (٢/٨٠٧)] .
(١١٨) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٢٠٧) ، من قوله (أين الدموع
السواجم ... إلى قوله (أم ذا متناوم) .
(١١٩) السواجم : أى السائلة أو المنصبة بكثرة . [اللسان (١٢/٢٨٠ - سجم)]
ط. دار صادر .
(١٢٠) الهواجم : أى التى تأتى بغتة بدون إنذار [اللسان (١٢/٦٠٠ -
هجم)] ط. دار صادر .
(١٢١) نسب صاحب المدهش هذه الأبيات (للشريف الرضى) [المدهش (ص
٢٧٠)] .
(١٢٢) نأى مرامه : أى بُعد نيته . [اللسان (١٢/٢٥٨ - روم)] ط. دار
صادر .
(١٢٣) نرعى : أى نكف ونرتدع وننجزر . [اللسان (١٤/٣٢٨ - رعى)] ط.
دار صادر .

أَيْنَ الْأُولَى قَدْ شِيدُوا بِنَاءَهُمْ تَهْدَمُوا قَبْلَ انْهْدَامِ الْبِنَا
لَا مَعْدَمَ يَحْمِيهِ إِعْدَامُهُ وَلَا يَقِي نَفْسَ الْغَنَى الْغِنَى
لَا تَأْمَنُ الدَّهْرَ عَلَى غُرَةٍ لَا بَدَّ لِلْغَائِبِ أَنْ يُؤْمِنَا (١٢٤)
تَاللَّهِ (١٢٥) لَقَدْ كَشَفْتَ الْعَبْرَ مَا انْسَدَل (١٢٦) ، فَلَمْ تَبْقَ مِنْ أُولَى (١٢٧)
جَدَل ، يَا حَائِرِينَ احْذَرُوا مِمَّنْ إِذَا قَضَى عَدْلٌ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْآخِرَةَ لَيْسَ مِنْهَا
بَدَل .

[المحاسبة قبل الموت]

قال إبراهيم بن أدهم : كنت في المسجد الحرام ذات يوم فغلبتني عيني
فنمت فرأيت حول البيت سواد قات (١٢٨) خضر مكتوب عليها بياض ينبغي لمن
عرف قدرى أن لا يعصى أمرى ، ولمن عرف عدلى فيمن يقف بين يدي ، أن
يحاسب نفسه قبل قدومه على ، ولمن عرف إحسانى لا ينسانى ، ولمن عرف
كرمى ، أن يشكرنى .

(١٢٤) روى الشطر الثاني من هذا البيت بالمدحش هكذا (عزَّ ليث الغاب) وهو
الأفضل .

(١٢٥) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٤٧٨) من قوله تعالى (تَاللَّهِ لَقَدْ كَشَفْتَ
الْعَبْرَ ... إِلَى قَوْلِهِ (لَيْسَ مِنْهَا بَدَل) .

(١٢٦) انسدل : أرخى وأسبل وأرسل . [اللسان (٣٣٣/١١ - سدل)] ط. دار
صادر .

(١٢٧) (من أُولَى) كذا بالأصل وفي المدحش (مرء) وهو الأجود .
(١٢٨) سوادقات : والسودق هو نوع من الطيور . [اللسان (١٥٥/١٠ -
سُدق)] ط. دار صادر .

ويحتمل أن يكون المقصود (سرادقات) بمعنى الخيمة أو الفسطاط .
[اللسان (١٥٦/١٠ - سَرْدَق)] ط. دار صادر .

شعر

إذ (١٢٩) المرء كانت له عِبْرَةٌ (١٣٠) ففى كل شىء له عِبْرَةٌ

قال بعض الحكماء لابنه : يا بنى لا تشغل قلبك من الدنيا إلا بقدر ما تتحققه من عمرك ، ولتكن جرأتك على المعاصى بقدر صبرك على النار ، وإذا أردت أن تعصى الله تعالى فانظر موضعاً لا يراك الله فيه ، وانظر إلى نفسك فإن كانت عزيزة فلا تذللها ، وإن كانت ذليلة فلا تزدها على ذلها ذلاً .

[اعرف قدر نفسك]

ويحك (١٣١) لو عرفت قدر نفسك ما أهنتها بالمعاصى إنما أبعدنا إبليس لأنه لم يسجد لك ، فالعجب كيف صالحته وهجرتنا .

شعر

رعى (١٣٢) الله من نَهَوَى وإن كان مارَعَى
حفظنا له العهد القديم وضِيْعَا
وواصلت قوما لقد (١٣٣) أنهاك عنهم
وحقاً (١٣٤) ما أبقيت للصالح مَوْضِعَا

-
- (١٢٩) ورد هذا البيت بالمدحش (ص ٢٣١) .
(١٣٠) كذا بالأصل ووردت بالمدحش (فكرة) .
(١٣١) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٣٤٠) ، من قوله (ويحك لو عرفت قدر نفسك ... إلى قوله (كيف صالحته وهجرتنا) .
(١٣٢) ورد هذان البيتان بالمدحش (ص ٣٤٠) .
(١٣٣) كذا بالأصل وبالمدحش (كنت) وهى الأصوب .
(١٣٤) كذا بالأصل وبالمدحش (حقك) .

يا مختار القدر^(١٣٥) اعرف قَدْرَكَ ، فإنما خلقت الأكوان كلها لأجلك ،
 باخزانة الودائع ، يا وعاء البدائع ، يا من غذى بلبان البر ، وقلب بأيدي
 الأبادى ، يا زرعاً تَهْمِي^(١٣٦) عليه سحب الألفاف كل الأشياء شجرة ، وأنت
 الثمرة ، وصورة وأنت المعنى ، وصدف وأنت الدر ، كم فى السموات من ملك
 يسبح له مرتبة ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ ﴾^(١٣٧) ، ولا يعرف طَعْمَ طَعَامٍ ﴿ يَجْهَمُ
 وَيَجِبُونَهُ ﴾^(١٣٨) ، ولا حظى بمقام ﴿ اذْكُرُونِى اُذْكُرْكُمْ ﴾^(١٣٩) ، فسبحان من
 اختارك على الكل وجادل عنك قبل وجودك بقوله ﴿ اِنِّى اَعْلَمُ ﴾^(١٤٠) خلق
 سبعة أبحر ، واستقرض منك دمعة ، له ملك السموات والأرض ، واستقرض
 منك حبه .

شعر

الماء^(١٤١) عندك مبدول لشاربيه^(١٤٢) وليس يرويك إلا دمعة^(١٤٣) الباكى

(١٣٥) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٣٤٠) من قوله (يا مختار القدر ... إلى
 قوله (واستقرض منك حبه) .

(١٣٦) تهْمى : تسيل وتسقط . [اللسان (١٥/٣٦٤ - همى)] ط. دار
 صادر .

(١٣٧) سورة السجدة - الآية : ١٦ .

(١٣٨) سورة المائدة - الآية : ٥٤ .

(١٣٩) سورة البقرة - الآية : ١٥٢ .

(١٤٠) سورة البقرة - الآية : ٣٠ ، ٣٣ ، يوسف : ٩٦ .

(١٤١) ورد هذا البيت بالمدحش (ص ٣٤٠) .

(١٤٢) كذا بالأصل وفى المدحش (لوارده) والأفضل ما ورد فى المدحش .

(١٤٣) كذا بالأصل وبالمدحش (مدمع) .

الفصل الرابع

[يا طويل الأمل في قصير الأجل]

يا طويل^(١٤٤) الأمل في قصير الأجل ، يا كثير الخطايا في يسير الأمل^(١٤٥)
تَحَلَّ لَكَ الزَّمانُ وما سَدَدَتْ الخَلَلَ^(١٤٦) ، أَمَا عِنْدَكَ وَجَلٌ^(١٤٧) مِنْ هُجُومِ
الأجل ، أَمَا رَأَيْتَ مُسْلَباً وما كَمُلَ ، أَتَوَخَّرُ الإِنَابَةَ وتَقْدُمُ الزَّلَلَ ؟

شعر

يا مَنْ^(١٤٨) يَعُدُّ غَدًا لِتَوْبَتِهِ أَعْلَى يَقِينٍ مِنْ بُلُوغِ غَدٍ؟
المرءُ في زَكَلٍ^(١٤٩) على أَمَلٍ وَمَنْيَّةُ الْإِنْسَانِ بِالْمَرْصِدِ^(١٥٠)
أَيَّامُ عَمْرِكَ كُلُّهَا عَدَدٌ وَلَعَلَّ يَوْمَكَ آخِرُ الْعَدَدِ

ما هذا^(١٥١) التقصيرُ في العمر القصير ؟ ما هذا الزهو يا من إلى البلاء
يضمير !؟ كم فَرَّقَ الموتُ مَسِيرَةَ^(١٥٢) أمير ؟ كم زاد^(١٥٣) الإلحادُ من وزير ؟

(١٤٤) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٣٤٢ ، ٢٣٢) ، من قوله (يا طويل
الأمل ... إلى قوله (وتقدم الزلل) .

(١٤٥) كذا بالأصل وبالمدحش (العمل) وهو الأصوب .

(١٤٦) الخلل : الفساد أو الضعف أو الفرجة بين شيئين . [اللسان

(١١ / ٢١٣ ، ٢١٤ - خلل) ط - دار صادر .

(١٤٧) وجل : خوف وفزع [اللسان (١١ / ٧٢٢ - وجل) ط - دار صادر .

(١٤٨) وردت هذه الأبيات في المدحش (ص ٢٣٢) .

(١٤٩) زكل : كذا بالأصل ووردت بالمدحش (زلل) وهي الصواب .

(١٥٠) كذا بالأصل وبالمدحش (بالرصد) .

(١٥١) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٢٧١) من قوله (ما هذا التقصير ... إلى

قول الله تعالى ﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ .

(١٥٢) كذا بالأصل وبالمدحش (أميرة) .

(١٥٣) كذا بالأصل وبالمدحش (أزار) .

وسوى في القبور من هجر وزير ، أين الأبطال الذين كان خاطرهم خطير ؟! لقد تبرأ^(١٥٤) كل منكر من منكر وكل نكير من نكير ، فإذا بعثوا^(١٥٥) بنفخة الصور ورؤق لهم شراب الفراق وأدير . ف ﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾^(١٥٦) ، سابقة^(١٥٧) القدر قضت لقوم وعلى قوم ، أعرض عن قوم فلم تنفعهم الحسنات ، ورضى عن قوم فلم تضرهم السيئات .

حكاية عابد صنم

قال عبدالواحد^(١٥٨) بن زيد : ركب البحر فعصفت بنا ريح دفعتنا إلى جزيرة من جزائر البحر فطلعنا إليها وإذا نحن برجل قد عكف على صنم له يعبد فقلنا له : ما معنا في المركب من يعمل مثل هذا ، قال : فأنتم لمن تعبدون ؟ قلنا : نعبد الله عز وجل قال : ومن هو الله ؟ قلنا : الذي في السماء عرشه وفي الأرض سلطانه ، قال : فكيف علمتم ذلك ؟ قلنا : أرسل إلينا رسولا بالمعجزات الظاهرة فأخبرنا بذلك قال : فما فعل برسولكم ؟ قلنا : لما أدى الرسالة قبضه الله إليه ، قال : أفما ترك عندكم علامة ؟ قلنا : ترك فينا كتاب الله سبحانه وتعالى ، قال : أروني إياه فاتيناه بالمصحف ، قال : ما أحسن قراءته ، فقرأنا عليه منه شيئا فبكى ، وقال : ينبغي لمن هذا كلامه أن لا يعصى ، فأسلم وحسن إسلامه ، قال : ثم سألنا أن نحمله معنا في المركب فحملناه وعلمناه سوراً من القرآن فلما جن عليه الليل وأخذنا مضاجعنا لننام ، فقال : يا قوم هذا الذي دلتهموني عليه

(١٥٤) كذا بالأصل وبالمدهش (ورأوا) والأفضل ما ذكر بالأصل .

(١٥٥) كذا بالأصل وبالمدهش (اجتمعوا) .

(١٥٦) سورة الشورى - الآية : ٧ .

(١٥٧) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ١٥٧) من قوله (سابقة القدر قضت -

إلى قوله (فلم تضرهم السيئات) .

(١٥٨) عبدالواحد بن زيد : عابد من عباد البصرة ، وكان كثير البكاء ، وكان

يصلى الغداة بوضوء العشاء أربعين سنة ، أسند عبدالوحد عن الحسن البصرى وأسلم الكوفى .

[صفة الصفوة (٣/٣٢١)]

ينام ، قلنا : هو حى قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، فقال : إن من سوء الأدب نومُ
العبد بين يدي سيده ، ثم وثب قائما فلم يزل قائما باكيا حتى أصبح .

شعر

وحياة^(١٥٩) سقمى فى هواك وإنه قسم الهوى وحق فيض دُموعى
لأوكلنَّ عليك عيني بالبكاء ولأهجرنَّ لك طيبَ هُجُوعى^(١٦٠)

قال : فلما قدمنا عبادان^(١٦١) قلت لأصحابي : هذا رجل غريب حديث
عهد بالإسلام ومن المصلحة أن نجمع له شيئا ففعلوا ومددناه إليه فقال : ما هذا ؟
قلنا له : نفقه ننفقها عليك فقال : سبحان الله دللتمونى على طريق لم تعرفوه أنا
كنت فى جزيرة من جزائر البحر أعبد غيره ولم يضيعنى فكيف يضيعنى وأنا أعبد
وهو الخالق الرازق ثم مضى وتركنا . قال : فلما كان بعد أيام أخبرت أنه بموضع
يعالج سكرات الموت فأتيناه وهو بآخر رمق فسلمتُ عليه وقلت له : ألك
حاجة ؟ فقال لى : قد قضى حاجتى الذى جاء بكم إلى الجزيرة وأنا لا أعرفه ،
قال : فاستندت بإزائه وقصدت مؤانسته ساعة فغلبتنى عيني فنمت فرأيت فى
مقابر عبادان روضة عليها قبة وتحت القبة سريرٌ وعلى السرير جارية لم أر أجمل منها
وهى تقول : بالله عجل فى جهازه فقد طال شوقى إليه ، فانتبهت فوجدته قد مات
فغسلته وكفنته فلما كان الليل نمت فرأيت أنه فى هيئة حسنة والجارية على السرير
تحت القبة وهو إلى جانبها يكرر هذه الآية : ﴿ سلام عليكم بما صبرتم فنعم

(١٥٩) ورد هذان البيتان بالمدحش (ص ٢٣٥) .

(١٦٠) ورد الشطر الثانى من هذا البيت بالمدحش هكذا (ولأعشنك عليك طول

هلوعى) .

(١٦١) عبادان : اسم بلدة على شاطئ الفرات على حدود إيران الآن وتنسب إلى

عباد بن الحصين .

[معجم البلدان (٣٤/٤)]

عقبى الدار ﴿١٦٢﴾ مصابيح القلوب الطاهرة في أصل الفطرة منيرة قبل الشرائع ﴿يكاد زيتا يضيء ولو لم تمسه نار﴾ ﴿١٦٣﴾ .

حكاية راهب

قال مالك بن دينار: ﴿١٦٤﴾ وقفت يوما من الأيام تحت صومعة راهب فسمعتة يقول: يا من لا ذبحرمة الخائفون ورغب فيما عنده الطالبون أسألك الخلاص من القصاص حين: ﴿١٦٥﴾ حين مناص ، وأستغفرك من ذنوبى ، ذهبت لذاتها وبقيت تبعاتها ، ثم بكى ، فعلا بكاءه ، فناديت: يا راهب فأشرف على ، فقلت له لم تخليت عن الدنيا وحبست نفسك ها هنا وحيداً فريداً ؟ قال : تخليت عنها قبل أن تتخلى عني وهربت منها قبل أن تتمكن منى فقلت له : حدثنى بقصتك . قال : كنت على دين النصرانية فاقربت على ذلك مدة من عمرى فلما كان فى بعض الليالى أتانى آت فى منامى ، فقال لى : ويحك إلى كم تعبد غير الله الذى خلقك ؟ أما تخاف أن يأخذك بغتة ؟! وأنت لا تشعر ؟ إن عيسى بن مريم عبداً من عبيد الله فقلت له : من أنت ؟ قال : أنا الأخذ بحُجَزِ ﴿١٦٦﴾ الخلائق وهم يقتحمون جهنم أنا شفيع المذنبين أنا خاتم النبيين أنا الذى بشر بى عيسى وشهد بنبوئى موسى أنا فى التوراة موصوف ، وفى الإنجيل معروف ثم مسح بيده على صدرى وقال : اللهم ألهم عبدك للرشاد ، ووفقه للسداد ، فانتبهت ولا شىء أحب إلئى من الإسلام فاسلمت وبقيت فى صومعتى هذه هارباً من أبناء الدنيا

﴿١٦٢﴾ سورة الرعد - الآية : ٢٤ .

﴿١٦٣﴾ سورة النور - الآية : ٣٥ .

﴿١٦٤﴾ مالك بن دينار : البصرى أبويحى ، من رواة الحديث ، كان ورعاً ، يأكل من كسبه ، ويكتب المصاحف بالأجرة ، توفى بالبصرة (... - ١٣١هـ) .

[الأعلام (٢٦٠/٥)]

﴿١٦٥﴾ بياض بالأصل ولعلها (ولات) .

﴿١٦٦﴾ حُجَز : جمع حجرة : وهى موضع شد الإزار أو موضع التكة من السروال . [اللسان (٣٣٢/٥ - حجز)] ط - دار صادر .

والمعنى أن الرسول ﷺ يحاول منع الخلائق من دخول جهنم بكل طريق ممكن .

فقلت له : يا راهب أوصني ، فقال : إياك أن تُدْخِلَ قلبك محبة الأبيض والأصفر
فإن محبتهما شين^(١٦٧) وبغضهما زين^(١٦٨) ، إذا سبق الإنعامُ في القَدَمِ لمن سبقت
له منا الحسنى طلع نجمُ همته في ظلام ليل بطالته ، وردفه قدم العزم ، في ليل
الحزم ، فأشرقت الأرض بنور ربها وسعد شقى الجهل وعاش ميت الغفلة .

شعر

(١٦٩) سُقِينَا (١٧٠) النوى (١٧١) زمناً فلما تلاقَيْنَا كأنا ماسُقِينَا (١٧٢)
سَخِطْنَا عندما جَنَّ الليالى فما زالت بنا حتى رَضِينَا
فمن لم يحى بعد الموت يوماً فأنا بعدما مشّا حِينَا

(١٦٧) شين : أى عيب وقبح خلاف الزين [اللسان (١٣/٢٤٤ - شين)] ط - دار صادر .

(١٦٨) زين : الزين أى الحسن . [اللسان (١٣/٢٠١ - زين)] ط - دار صادر .

(١٦٩) وردت هذه الأبيات في المدهش (ص ٢٢٦) .

(١٧٠) كذا بالأصل وبالمدهش (شقيناً) .

(١٧١) كذا بالأصل وبالمدهش (الهوى) .

(١٧٢) كذا بالأصل وبالمدهش (شقيناً) .

[الاجتهاد في العبادة]

إخواني^(١٧٣) أَوْقِدُوا أَذْهَانَ الْآنَ فِي الْفِكْرِ تَبَصَّرُوا ، [صَابَرُوا] سَنِي الْجَدْبِ فِي عَامِ الْخَصْبِ تَعَصَّرُوا^(١٧٥) ، فَمَنْ أَدْلَجَ^(١٧٦) فِي غِيَاظِ لَيْلِ الْبَلَاءِ^(١٧٧) عَلَى نَجَائِبِ^(١٧٨) الصَّبْرِ ، صَبَحَ مَنْزِلَ السَّرُورِ فِي السَّرُورِ^(١٧٩) ، وَمَنْ نَامَ عَلَى فِرَاشِ الْكَسَلِ ، سَالَ بِهِ سَبِيلَ الْتِمَادِي إِلَى وَادِي الْأَسْفِ وَإِنَّمَا تَقْطَعُ مَرَاكِلَ الْجَدِّ بِالْعَزْمِ وَالصَّبْرِ ، وَنَظَرَ الْمَجْدَ إِلَى آخِرِ الْأَمْرِ ، فَإِنَّ الشَّهَوَاتِ تَغْرُو وَتَفْرُو ، وَتَمُرُّ . عَيْشُ الْعَوَاقِبِ وَتَمُرُّ وَتَبْكِي عَيْنُ النَّدَمِ أَضْعَافُ مَا تُسَرُّ .

زهد في الدنيا

قال جابر بن عبد الله الأنصاري^(١٨٠) : خرجت مع علي كرم الله وجهه إلى خارج المدينة فتفكرت في أحوال الدنيا وغرورها وفتنها لنا ، فقال : يا جابر

(١٧٣) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ١٥٤) من قوله (إخواني : أوقدوا أذهان ... إلى قوله (التمادي إلى وادي الأسف) .
(١٧٤) ما بين المعكوفتين سقط أثبتناه من المدحش .
(١٧٥) تعصروا : أي تعتصموا أو تلتجئوا . والمعنى تنجون من الجذب وتعتصمون بالخصب [اللسان (٥٧٩/٤ - عصر)] ط - دار صادر .
(١٧٦) أدلج : بمعنى صار ليلاً أو في أول الليل . [المعجم الوسيط (٢٩٢/١)] .

(١٧٧) كذا بالأصل وبالمدحش (العلی) والصواب ما ورد بالأصل .
(١٧٨) نجائب : أي فضائل وكرائم [اللسان (٧٤٨/١ - نجب)] ط - دار صادر .

(١٧٩) كذا بالأصل وبالمدحش (السر) بمعنى النعمة .
(١٨٠) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ، الأنصاري ، ثم السلمی ، صحابي ابن صحابي ، غزا تسع عشرة غزوة ، ومات بالمدينة بعد السبعين ، وهو ابن أربع وتسعين .
[تقريب التهذيب (١٢٢/١)]

إن الدنيا أحقر من أن يفتتن بها لبيبٌ يا جابر إن لذاتها في ستة أشياء ، مأْكول ، ومشروب ، وملبوس ، ومنكوح ، ومشموم ، ومسموع .

فأما المأكول : فالإن ما يؤكَل العسل وهو رَجِيعُ ذبابة .

وأما المشروب : فالذُّ ما يُشْرَب الماء وقد تساوى فيه جميع الحيوانات .

وأما الملبوس : فأفخر ما يُلبَس الحريرُ ومخرجه من دودة .

وأما المنكوح : فمَبَالٌ في مبالٍ .

وأما المشموم : فأطيبه المسك وهو دُمٌ دابةٍ .

وأما المسموع : فالذُّ ما يُسْمَع الوتر وهو إثمٌ كله .

فيا مهلكاً نفسه^(١٨١) التي لا قيمة لها في طلب دنيا لا وقع لها أما تراها تميد^(١٨٢) بأهلها وسكانها ، والشاهد ما يشاهد عواصف الحوادث تنسف جبال المقتنى ، ومعاول الزمان تهدم مشيد المبتنى ، وكلما ارتفع كتيبٌ أمل وهال إنزال ، فالى كم هذا الحرص ولا تنال إلا المقدور أما مرزوقا لا يتعب ، ومتعوبا لا يرزق هذا موسى يقول : إذ لحد^(١٨٣) مارأى ومحمد ﷺ يزعج من منامه وما طلب ، لقد أنضى الحرص مطية عمرك وما وصلت بلد الأمل . لو قنعت الذبابة بطرف ظرف العسل ما تلفت ، لو عرفت قيمة نفسها رخصت أوغلت ، ما أوغلت . ويحك أحسنُ ما في الدنيا قبيحٌ لأنه يشغل عما هو أحسن منه أترى لو ابتليناك بترك عظيم ، كيف كنت تصنع ؟ إنما رددناك عن دنس ، ومنعناك من كدر ، ثم ما علمت أن الثواب على قدر المشقة ، ويحك : إن الأرباح الكثيرة في الأسفار البعيدة مشقة .

(١٨١) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ١٦٨ ، ١٦٩ ، من قوله تعالى (يامهلكا نفسه ... إلى قوله (في الأسفار البعيدة مشقة) .

(١٨٢) تميد : أى تضطرب ولا تستقر وتميل وتحرك وتقلب . [اللسان (٤١١/٣) - (ميد) ط - دار صادر .

(١٨٣) (يقول : إذ لحد ما رأى) كذا بالأصل وبالمدحش (في تقلقل « أرنى » وماأرى) وأرجح ان يكون هكذا (أرنى وما أرى) .

شعر

[صردر] (١٨٤)

لو قَرَّبَ الدُّرُّ عَلَى جَلَابِهِ (١٨٥) ما لَجَجَ (١٨٦) الْفَائِقُ (١٨٧) فِي طَلَابِهِ
ولو أَقَامَ لَازِمًا أَصْدَافَهُ لم تكن التيجان في حِسَابِهِ
ما لَوْلُوُ الْبَحْرِ وَلَا مُرْجَانُهُ إلا وراء الهول من عُبَابِهِ
من يعشق العُليَاءَ يلقى عندها ما لقي الحبُّ من أَحْبَابِهِ

(١٨٤) نسب صاحب المدهش هذه الأبيات (لصردر) [المدهش (ص ١٥٧)] .
(١٨٥) جُلَّابُهُ : أى طُلَّابُهُ ومريديه ومستخرجيه . [اللسان (١/ ٢٦٨ - جلب)]
ط - دار صادر .

(١٨٦) لَجَّ : لَجَّ في الأمر أى تَمَادى فيه [اللسان (٢/ ٣٥٣ - لجج)] ط. دار
صادر .
(١٨٧) كَذَا بِالْأَصْلِ وبالمدهش (الحائض) .

الفصل الخامس

[نداء إلى النفس الالهية]

يانفس^(١٨٨) تدبرى أمرك وتأملى ومثلى ما يبقى وما يفنى ولا تعجلى ،
لقد ضللت طريق الهدى قفى ، واسألى ، وآثرت وهنا يؤرث وهنا لاتفعلى ،
يا غمرة من الشقاء ما أراها تنجلى ، أتبع الهوى والهوى على وليس لى ، أريد حياة
نفسى ونفسى تريد مقتلى ، يا جسدا قد بلى بما قد بلى .

شعر

نخطوا^(١٨٩) وما خطونا إلى الأجل وينقضى وكأنَّ العمر لم يطل
والعيش مؤذنا بالموت أوله ونحن نرغب في الأيام والدول

(١٨٨) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ١٥٤) من قوله (يانفس تدبرى
أمرك ... إلى قوله (يا جسداً قد بلى بما قد بلى) .
(١٨٩) وردت هذه الأبيات (ص ١٥٤) بالمدحش .

يَأْتِي الْجِمَامُ فَيَنْسِي الْمَرْءُ مُنْيَتَهُ وَأَعْضُلُ الدَّاءِ مَا يُلْهِى عَنِ الْأَمَلِ (١٩٠)
 لَا تَحْسَبِ الْعَيْشَ ذَا طَوْلٍ فَتَتَّبِعَهُ يَا قَرِيبَ مَا بَيْنَ عُنُقِ النَّوْمِ (١٩١) وَالْكَفْلِ
 لَنَا بِمَا يَنْقُضِي مِنْ يَوْمِنَا (١٩٢) شَغْلٌ وَكَلْنَا عُلُقَ الْأَحْشَاءِ بِالْغَزْلِ
 وَتُسْتَلْدُ الْأُمَانِي وَهِيَ مَرْدِيَةٌ بِكَشَارِبِ السِّمِّ مَمْزُوجاً مِنَ الْعَسَلِ
 آه (١٩٣) لِنَفْسٍ تَرَكْتَ يَقِينَهَا ، وَتَبَعْتَ آمَالَهَا ، جَهِلْتَ مَا عَلَيْهَا وَمَا لَهَا .
 أَمَا ضَرَبْتَ الْمَثَلَ (١٩٤) بِأَخْذِ أَمْثَالِهَا ، لَيْتَهَا تَفْقَدْتَ أَمْرَهَا ، وَشَاهَدْتَ حَالَهَا ، تَحْضُرُ
 الْمَجْلِسَ بَنِيَّةً ، فَإِذَا قَمِنَ (١٩٥) بَدَا لَهَا ، وَيَحْجَا لَوْ ظَهَرَ جُزْءٌ مِنْ مَالِهَا ، لَهَا لَهَا (١٩٦) .

موعظة

قال إبراهيم (١٩٧) التميمي : كنت كثير التردد إلى المقابر أذكر الموتى وطول
 البلاء ، فبينما أنا ذات ليلة فيها إذ غلبتني عيني فنمت فرأيت قبراً قد شق وسمعت
 قائلاً يقول : خذوا هذه السلسلة فاسلكوها في فيه وأخرجوها من دبره ، وإذا
 الميت يقول : يارب ألم أكن أقرأ القرآن ؟ ألم أكن أحج بيتك الحرام ؟! ، وجعل

(١٩٠) ورد الشطر الثاني من هذا البيت هكذا (ونستقر وقد أمسكن بالطول)
 [المدهش ص ١٥٤] .

(١٩١) كذا بالأصل ووردت في المدهش (المرء) والأصوب ما في المدهش .
 (١٩٢) كذا بالأصل وبالمدهش (عمرنا) والأفضل ما في المدهش .
 (١٩٣) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ١٧٨) من قوله (آه لنفس تركت ...
 إلى قوله (لها لها) .

(١٩٤) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (العبر)
 (١٩٥) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (قامت) .
 (١٩٦) لها لها : أي لأفرعها وأخافها [المعجم الوسيط (٢/١٠٠٠)] .
 (١٩٧) إبراهيم التميمي : هو إبراهيم بن يزيد بن شريك التميمي : كان من العباد
 وروى عن أنس وأبيه وعن الحارث بن سويد وأرسل عن عائشة . كان عابداً صابراً على
 الجوع الدائم ، مات ولم يبلغ أربعين سنة مات سنة ٩٢ هـ وقيل قتله الحجاج بن يوسف .
 [تهذيب التهذيب (١/١٧٦)]

يذكر أفعال البر شيئاً بعد شيء ، وإذا قائل يقول : نعم كنت تفعل ذلك ظاهراً ،
فإذا خلوت بارزتنى بالمعاصي ولم تراقبني .

[ميزان المحاسبة]

إخواني : (١٩٨) فتشوا أحوال الأعمال قبل الوصول ، ولتنظر نفس
ما قدمت من كفر (١٩٩) . من وقف على صراط التقوى ويده ميزان المحاسبة
ومحك (٢٠٠) الورع ، يستعرض أعمال نفسه ويرد البهرج (٢٠١) إلى كبر (٢٠٢)
التوبة ، سلم من رد الناقد ﴿ يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ﴾ (٢٠٣) .

الزاهد حيث أحياه الله على يد عيسى عليه السلام

قال أبو عاصم : حدثني أخى سفيان قال : مر عيسى عليه السلام بامرأة
تبكي على قبر فقال لها : على من تبكي (*) ؟ قالت : على ولدى قال : عليك بالصبر
قالت : لا أملكه ، قال : فإن أحياه الله لك ونظرت إليه أتدعين البكاء قالت :
نعم قال : فادعى الله بالاسم الأعظم الذى يحى به الموتى فانصدع القبر وقام ولدها
وهو ينفذ التراب عن رأسه فقالت المرأة : ياروح الله إن ابنى شاب وهذا شيخ

(١٩٨) وردت هذه الموعظة المدهش (ص ٣٤٤) من قوله (إخواني فتشوا أحوال
إلى قوله ما قدمت من كفر) .

(١٩٩) كذا بالأصل وبالمدهش (لغد) .

(٢٠٠) محك الورع : ما يحك به يسمى محكاً . [الوسيط (١/١٩٠)] .
والورع : الكف عن المحارم . [اللسان (٨/٣٨٨ - ورع)] ط - دار صادر .
(٢٠١) البهرج : الباطل والزيف . [اللسان (٢/٢١٧ - بهرج)] ط - دار

صادر .

(٢٠٢) كبر التوبة : الكبر جهاز من جلد أو نحوه يستخدمه الحداد للنفخ فى النار
لإشعالها فينقى الحداد خبث الحديد بالنار [اللسان (٥/١٥٧ - كبر)] ط - دار
صادر .

والمعنى : نق نفسك من الذنوب والآثام بالتوبة .

(٢٠٣) سورة الحاقة - الآية : ١٨ .

(*) كذا بالأصل والصواب تبكين .

فسأله عيسى عليه السلام فقال : يا روح الله لما سمعت النداء ظننت أنها القيامة قد قامت فشاب رأسي ، فقال له عيسى : ما وجدت في قبرك قال : يا روح الله كنت حملاً فحملت ذات يوم لبعض الناس حطباً فأخذت منه شظية فتخللت بها ورميت بها إلى الأرض فأول شيء سئلت عنه تلك الشظية .

موعظة عن النبي ﷺ

قال قيس بن عاصم (٢٠٤) : وفدت مع جماعة من بني تميم على رسول الله ﷺ فلما دخلنا عليه قلت : يا رسول الله عظنا بموعظة نتفع بها فقال عليه الصلاة والسلام : إن مع العز ذلاً ، وإن مع الحياة موتاً ، وإن مع الدنيا آخرة وإن لكل شيء حسياً ، ولكل حسنة ثواباً ، ولكل سيئة عقاباً وإنك لا بد لك من قرين يدفن معك وهو حي وتدفن معه وأنت ميت فإن كان كريماً أكرمك وإن كان لئيماً أسلمك لا يحشر إلا معك ولا تبعث إلا معه ولا تسأل إلا عنه فلا تجعله إلا صالحاً وهو عملك فقال قيس : وددنا يا رسول الله لو أن هذا الكلام في أبيات من الشعر نعلمه لأبنائنا لينتفعوا فقال الصلصال بن الداهش : يا رسول الله حضرتني أبيات من الشعر أحسبها توافق ما يريد قيس فقال : هاتها فأنشد :

تخير خليلاً من فعالك إنه	قرين الفتى في القبر ما كان يفعل
فإن كنت مشغولاً بشيء فلا تكن	بغير الذي يرضى به الله يُشغل
فلن يصحب الإنسان من بعد موته	إلى قبره إلا الذي كان يعمل
ألا إنما الإنسان ضيف بأهله	يقيم قليلاً عندهم ثم يرحل

(٢٠٤) قيس بن عاصم بن سنان بن خالد المنقري ، صحابي مشهور بالحلم ، والشجاعة ، ووفد على النبي ﷺ في وفد تميم (سنة ٩ هـ) فأسلم . نزل بالبصرة في آخر أيامه وتوفي بها ، وكان له ٣٣ ولد . (... - ٢٠ هـ)

[تقريب التهذيب (١٢٩/٢)]

[الأعلام (٢٠٦/٥)]

[أَلْكُمْ صَبْرَ عَلَى الْعُقُوبَةِ]

يا أهل (٢٠٥) الذنوب والخطايا ، أَلْكُمْ صَبْرَ عَلَى الْعُقُوبَةِ ؟ ﴿ كَلَّا ، إِنَّهَا لَظَى ﴾ (٢٠٦) إِذَا شَاهَدْتَ مِنْ اشْتَرَى لَذَّةَ سَاعَةٍ بِعَذَابٍ سَنِينَ ، ﴿ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ (٢٠٧) ، مِنْ أَرَادَ النِّجَاةَ مِنْهَا ، فَلْيَتَّبِعْ ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَّيَسَّأَ ﴾ (٢٠٨) ، كَيْفَ أَمِنَ الْعَصَاةَ وَعَيْدَ ، ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ (٢٠٩) كَيْفَ نَسُوا غِبَ الزَّلْزَلِ ، ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (٢١٠) لَوْ نَطَقَ (٢١١) الْمَوْتَى بَعْدَ دَفْنِهِمْ ، لَنَذَّبُوا عَلَى قَبِيحِ فَعْلِهِمْ وَلَقَالُوا رَحَلْنَا عَنْ ظَلَمِ شُرُورِنَا إِلَى ظَلَمِ قُبُورِنَا ، وَخَلَوْنَا عَنِ الْأَخْلَاءِ فِي تَرَابِنَا بِآفَةٍ لَا تَرَى بِنَا أَفْتَرَى مُحِبِّينَا إِذَا ظَعَنَّا ، بِمَنْ أَعْتَاضَ عَنَّا ، وَهَذَا مَصِيرُكَ عَنْ قَلِيلٍ فَتَاهِبٌ بِأَقِيمٍ لِلتَّحْوِيلِ .

شعر

هل الدهرُ إلا ما عرفنا وأدركنا فجائعه (٢١٢) تبقى ولذاته تفنى
إذا أمكنت فيه مسرة ساعة تولت كمر الطرف واستخلفت حزنا
حَصَلْنَا عَلَى هِمٍّ وَإِثْمٍ وَحَسْرَةٍ وَفَاتِ الَّذِي كُنَّا نَلْذُّ بِهِ عَنَا
كَأَنَّ الَّذِي كُنَّا نُسْرُ بِكَوْنِهِ إِذَا خَفَفَتْهُ النَّفْسُ لَفْظَ بِلَا مَعْنَى

(٢٠٥) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٢١٧) من قوله (يا أهل الذنوب والخطايا ... إلى قوله الله تعالى ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ .

(٢٠٦) سورة المعارج - الآية : ١٥ .

(٢٠٧) سورة الملك - الآية : ٨ .

(٢٠٨) سورة المجادلة - الآية : ٣ .

(٢٠٩) سورة مريم - الآية : ٧١ .

(٢١٠) سورة الزلزلة - الآية : ٨ .

(٢١١) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٢٤٤) من قوله (لو نطق الموتى بعد

دفنهم ... إلى قوله (يا مقيم للتحويل) .

(٢١٢) فجائعه : أى مصائبه المؤلمة [اللسان (٨/٢٤٥ - فجع)] ط - دار

صادر .

هادم اللذات

أين مصون^(٢١٣) الحصون ؟ أزعج عنها ، أين مقصور القصور ؟ خرج منها ، نقله هادم اللذات^(٢١٤) نقلاً سريعاً ، وغمسه في بحار الآفات غمسا فظيعاً ، وفرق بينه وبين أهله وبنيه ونقض من مشيد أهله ما كان بينه ، لقد ولى ولأى ذى ود ينفعه ، وبان فبان لبنى الدنيا مصرعه ، هجره والله من هاجر إليه ونسيه نسيبه وقد كان يحنو عليه ، فلا صديقه صدقه في مودته ولا رفيقه رافقه في شدته ، حلوا والله بالبلاء في البلى ، وودعهم من أودعهم ثم قلى^(٢١٥) ، وانفردوا في الأخدود بين الدود ووحش الفلا ، وسألوا الإقالة^(٢١٦) فقليل لهم أما هذا فلا .

شعر

إن ^(٢١٧) الليالي والأيام قد كشفت	من مُكرِّها كَلَّ مستورٍ ومكنونٍ
وحدثنا بأننا من فرائسها	نواطق بفصيح غير ملحونٍ
واستشهدت من مضى منا فأخبرنا	عن ذاك كل لقاء منا ومدفونٍ
ونحن في ذاك نصفها مودتنا	تباً لكل سفيه الرأي مغبونٍ
أغوى الهوى كل ذى عقلٍ فلست ترى	إلا صحيحاً له أفعال مجنونٍ
حتى متى نشترى دنيا بآخرة	سفاهةً ونبيع الغال بالدونٍ
نجمع المال نرجوا أن يُخلدنا	وقد أوى قبلنا تخليد قارونٍ

(٢١٣) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٢٤٤) من قوله (أين مصون الحصون - إلى قوله (فقليل لهم أما هذا فلا) .

(٢١٤) هادم اللذات : الموت .

(٢١٥) قلى : هجر وترك [الوسيط (٢/٧٥٧ - قلى)] .

(٢١٦) الإقالة : الصفح والغفران [الوسيط (٢/٧٧٠ - قال)] .

(٢١٧) وردت هذه الأبيات بالمدحش (ص ٢٥٦) .

زهـد ابن ملك فى الدنيا

يروى أن الإسكندر مر فى سفره بمدينة قد ملكها سبعة من الملوك وبادوا جميعهم فقال : هل بقى من نسل هؤلاء الملوك أحد فقالوا : نعم بقى رجل وهو فى المقابر لا يركن إلى أحد ولا يأنس بأحد قال لهم : دلونى عليه فلما آتاه رأى رجلاً قد أنحلّه الخوف والعبادة فسلم عليه ذو القرنين فرد عليه السلام فقال له ذو القرنين : ما حملك على لزوم المقابر ؟ فأطرق إلى الأرض ثم رفع رأسه وقال : أردت أن أعزل عظام الملوك من عظام عبيدهم فلم أقدر على ذلك ، فقال له ذو القرنين : هل لك أن تتبعنى فأحى بك شرف أبائك إن كانت لك همة ، قال الرجل : إن همتى لقليلة إن كان بغيتى عندك ، فقال له ذو القرنين : وما بغيتك ؟ قال : أبغى حياة لا موت بعدها ، وشباباً لا هرم بعده ، وغناً لا فقر معه ، قال ذو القرنين ، لا أقدر على ذلك ، فقال له الفقير امض إلى شأنك ودعنى أطلب ذلك ممن هو عليه أقدر وله أملك ، فإن الدنيا قد ذهبت والآخرة قد اقتربت والسفر بعيد وليس معى زاد والرقاد طويل وأنا على غير معاد .

لما رأى المستيقظون سطوة الدنيا بأهلها وخداع العمل لأربابه لجأوا إلى حصن الزهد كما يأوى الصيد المذعور إلى الحرم . لاح لهم حب المشتبه فلما مدوا إليه أيدي التناول ، بان لهم خيط الفخ ، فطاروا بأجنحة الحذر ، وجمعوا الرحل قبل الرحيل ، وشمروا إلى سواء السبيل فالناس فى الغفلات وهم فى قطع الفلاة ، باتت قلوبهم يقلقها الوجد ، فأصبحت دموعهم يسترها الجفن ، فإذا سمعوا ناطقاً باسم الحبيب ، أخذ جزر الدموع فى المد ، من قلقله الخوف كيف يسكت من أزعجه الحب كيف يسكن ، من آله البعد كيف يصبر ؟!

شعر

حياتى منك فى عود الوصال فصبرى عند من طلب المحال
وكيف أصبر ومالى عنك صبر وعطشان عن الماء الزلال .

[أرواح المحبين]

أرواح المحبين خرجت بالرياضة من أبدان العادات فهي في حواصل طير
الشوق ترفرف على أطلال الوجد ، وتسرح في رياض الأنس ، عند المحبين شغل
يشغلهم عن الجنة ، فكيف يلتفتون إلى الدنيا ، ما ترى عينُ الحبِّ إلا المحبوب
« فبى يسمع ولى يبصر » .

شعر

أنت (٢١٩) عينُ العينِ إن نظرتُ ولسانُ الذكرِ إن ذكرا
أنت سمعى إن سمعتَ به أنت سرُّ السرِّ إن خطرا

الفصل السادس

[يا متعباً في جمع المال بدنه]

يامن (٢٢٠) قد بلغ أربعين سنة ، وكل عمره نوم وسنه ، يا متعباً في جمع
المال بدنه ، ثم لا يدري لمن قد خزنه ، اعلم أن هذه النفس الممتحنة إنها بكسبها
مرتنة ، ألا يعتبر المغرور بمن قد دفنه ؟! كم رأى جباراً فارق مسكنه ؟ ، وسكن
مسكن مسكنة ! يا راحلين بالإقامة ، يا هالكين بالسلامة ، أين من أخذ صفوها
أنتم في كدره ؟! أما وعظكم في سيره بسيره ، أين من كان يخاف لباسه ؟!
أما تغوض القبر من لباسه ، أين من كان على نسائه شديد الغيرة ؟!
أما رحل عنهن واخترن غمره ، أين من كان يسرى آمناً في سربه ؟! أما قال للتلف
نخذه وسر به ، أما عاقبة الألفة فرقة : أما زاد ذى المال إلى القبر خرقه أعز سمعك

(٢١٨) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٣٦٥) من قوله (أرواح المحبين ... إلى
قوله (إلا المحبوب « فبى يسمع ولى يبصر ») .

(٢١٩) ورد هذان البيتان بالمدحش (ص ٣٦٥) .

(٢٢٠) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ١٥٥) ، من قوله (يا من بلغ أربعين
سنة ... إلى قوله (أما وعظكم في سيره بسيرة) .

الأصوات فلا تسمع إلا فلاناً مات ، أجل بصرَك في الفلوات ، فهل ترى
إلا القبور الدراسات؟!

شعر

ألا كل (٢٢١) حتى هالك وابن هالك وذي نسب في الهالكين عريق
إذا امتحن الدنيا ليب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق
فلا تحسب الدنيا إذا ما كسبتها (٢٢٢) قرارا فما دنياك غير طريق
عليك بدار لا يزول بغمها (٢٢٣) ولا يتأذى أهلها بمضييق

[قد حمام الحمام حول حمام]

إخواني (٢٢٤): قد حمام الحمام حول حمام، وصاح بكم إذا خلا النادى
وناداكم ، وأولاكم من النصيح حققكم ، فما أحققكم بالتدبر وأولاكم ، وهو عازم
على اقتناصكم وما المقصود سواكم كم أخلى الموت داراً ؟ كم ترك العامر قفاراً ، كم
أذاق الغصص المرة مراراً . لقد جال يمينا ويسارا ، فما حاي فقرا ولا يسارا .

شعر

تخلط الحمام قويهم بضعيفهم وغنهم ساوى بذى الإقتار
سلبوا النضارة والنعيم فأصبحوا متوسدين وسائد الأحجار

(٢٢١) وردت هذه الأبيات في المدهش ونسبها إلى (أبي نواس) [المدهش
(ص ١٩٨)] .

(٢٢٢) كذا بالأصل وبالمدهش (سكنتها) والصواب ما ذكر في المدهش .
(٢٢٣) كذا بالأصل وبالمدهش (ظلالها) والصواب ما ورد بالمدهش .
(٢٢٤) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ١٨٧) من قوله (إخواني قد حمام
الحمام ... إلى قوله (فما نخاب فقراً ولا يساراً) .
(٢٢٥) وردت هذه الأبيات بالمدهش (ص ٣١٢) .

تركوا ديارهم على أعدائهم وتوسدوا مدرأ^(٢٢٦) بغير دثار
والدهر يعجلنا على آثارهم لابد من صبح المجد السارى
سئل رسول الله ﷺ : من أزهد الناس قال : « من لم ينس المقابر والبلى
وآثر ما يلقى على ما يفنى وعد نفسه من الموقى »^(٢٢٧) .

تنبيه لشقيق^(٢٢٨)

أتيت إلى أستاذى أبى هاشم^(٢٢٩) الرمانى ، وفى طرف كسائى شبيه^(٢٣٠)
مصرورة ، فقال لى : ما فى كسائك يا شقيق ، قلت : لوزيات^(٢٣١) أفطر عليهن ،

(٢٢٦) مدرأ : قطع الطين اليابس ، والذثار : الثوب الذى يستدفأ به من فوق
الشعار .

[اللسان (١٦٢/٥) - مدر [ط. دار صادر

[اللسان (٢٧٦/٤) - دثر [ط. دار صادر

(٢٢٧) روى بنحوه ابن أبى شيبه عن الضحاك بن مزاحم (٢٢٢/١٣ ، ٢٢٣) .

(٢٢٨) شقيق البلخى : هو شقيق بن إبراهيم الأزدي البلخى ، أبو على ، زاهد
صوفى ، من مشاهير المشايخ فى خراسان ولعله أول من تكلم فى علم الأحوال (الصوفية)
بكور خراسان ، وكان من المجاهدين . استشهد فى غزوة كولان (بما وراء النهر) (...) -
١٩٤ هـ .

[الأعلام (١٧١/٣)]

(٢٢٩) أبو هاشم الرمانى : الواسطى ، واسمه يحيى بن دينار وقيل ابن الأسود وقيل
ابن نافع .

[تقريب التهذيب (٤٨٣/٢)]

(٢٣٠) كذا بالخطوطة ولعلها تكون (شملة) ومعناها : كساء من صوف أو شعر
يتغطى به ويتلف به أو شقة من الثياب ذات خمل يتوشح بها ويتلف . [الوسيط
(٤٩٥/١)] .

(٢٣١) لوزيات : جمع لوزية وهى تصغير لكلمة لوزة واللوز شجر مثمر منه الحلوى
ومنه المر . [الوسيط (٨٤٥/٢)] .

دفعهن إلى بعض الإخوان ، فقال : وأنت تحدث نفسك أنك تعيش إلى الليل ؟! ، والله لا كلمتك إلا أن يشاء الله ، وأغلق الباب في وجهي ودخل إلى منزله .

وقيل : وَجِدَ على لوح منقوش يا ابن آدم ما أقسى قلبك وما أجهلك بأمرك ، تُعَمِّرُ دَارَ الْفَنَاءِ وَتُخَرِّبُ دَارَ الْبَقَاءِ ، أَشْغَلْتَ قَلْبَكَ بِمَا لَا يَنْفَعُكَ فِي الدُّنْيَا ، وَيُضِرُّكَ فِي الْعَقْبَى ؟! فبادر ثم بادر بصلاح العمل ، قبل حلول ما تحاذره من مناقصة الأجل .

شعر

يَانْفَسُ^(٢٣٢) تَوْنِي فَإِنَّ الْمَوْتَ قَدْ حَانَ وَاعْصِي الْهَوَى فَالْهَوَى مَازَالَ فَتَانَا
أَمَا تَرَيْنَ الْمَنَايَا كَيْفَ تُذَرِّكُنَا غَدًا وَتَلْحَقُ أَخْرَانَا بِأَوْلَانَا
فِي كُلِّ يَوْمٍ لَنَا مِيتٌ نُشِيعُهُ نَرَى بِمَصْرَعِهِ آثَارَ مَوْتَانَا
يَا نَفْسُ مَا لِي وَلِلْأَمْوَالِ أَتْرَكُهَا خَلْفِي وَأُخْرِجُ مِنْ دُنْيَايَ عُرْيَانَا
أُبْعَدُ خَمْسِينَ قَدْ قَضَيْتَهَا لَعْبًا قَدْ آتَى أَنْ تَقْصِرَى قَدْ آتَى قَدْ آتَى
قيل^(٢٣٣) : شيع الحسن جنازة فجلس على شفير القبر وقال : إِنَّ أَمْرًا
هَذَا أَوَّلُهُ لِحَقِيقٍ يَخَافُ آخِرَهُ ، وَإِنْ أَمْرًا هَذَا آخِرُهُ لَجَدِيرٍ أَنْ يَزْهَدَ فِي أَوَّلِهِ .

تفكير في القبر

ويروى عن رسول الله^(٢٣٤) أنه قال : « إِذَا وَضَعَ الْمِيتَ فِي قَبْرِهِ وَحُثِيَ عَلَيْهِ التُّرَابُ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الرُّوحَ أَنْ تَعُودَ إِلَيْهِ فَيَصِيرَ حَيًّا كَمَا كَانَ فِي دَارِ

(٢٣٢) وردت هذه الأبيات بالمدحش (ص ٣٧٥) .

(٢٣٣) ورد هذا الأثر بالمدحش (ص ١٩٠) من قول (شيع الحسن جنازة ... إلى قوله (لجدير أن يزهد في أوله) .

(٢٣٤) لم يرد هذا الحديث بنصه فيما أعلم ولكنه ورد بروايات أخرى [انظر حلية الأولياء (٥٦/٩) ، أبوداود الطيالسي في منحة المعبود (١٥٤/١) برقم ٧٤٣ ، وأحمد (٢٢٦/٣ ، ٢٣٣) ، (٢٨٧/٤ ، ٢٨٨) ، وابن حبان في الموارد (٧٨١) ص ١٩٧

الدنيا ، فيسمع خفق نعال الماشين وقول المنادى انصرفوا رحمكم الله فيقول :
يالييتنى كنت من المنصرفين .

شعر

انصرف الناسُ إلى دورِهِم وغدوا والميت في رَمْسِهِ
مرتَهَنُ النفس بأعمالها قَدْ يُرْتَجَى الإِطْلَاق من حَبْسِهِ
لنفسه صالح أعمالها وما سواه فعلى نفسه

قال : ثم إن الميت ينظر إلى وحدته ، وانفراده في حفرة فينادى ولده
وأخاه وأباه ، حتى لا يدع أحداً من أهله إلا ناداه ، فلا يجيبه منهم أحد ، فيأمر الله
عز وجل قبره أن يجيبه ، فيقول له القبر : ما الذى تريد يا من جيلَ بينه وبين
ما يريد فيقول الميت : من أنت أيها المتكلم فقد أحزن كلامك قلبى ، فيقول : أنا
قبرك وبيت عملك الذى نسيتنى ولو كنت عَمَّرْتَنى كنت اليوم لقيتنى ووجدتنى
ثم إن القبر يضمه ضمة تختلف فيها أضلاعه فيا من (٢٣٥) شيع ببدنه نفس ميتة
وقلبه فى سوقه أو بيته ، اتخلى بين الودود والودود ، وتعود إلى المعاصى حين
تعود ، هل لا (٥) أَجَلْتُ بالبالي (٢٣٦) ذكر البالي ، وقلت للنفس الجاهلية هذا لى ، من
زار القبور والقلب غافل ، وسحى بين الأحداث والفكر ذاهل وشغله عن الاعتبار
لهو شاغل فهو قتيل ، قد أسكره القتال .

شعر

وما أعطى (٢٣٧) الصبابة ما استحقت عليه ولا قضى حق المنازل
ملاحظها بعين غير عبرى وزائرها بجسم غير ناحل

(٢٣٥) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ١٩٠) من قوله (فيا من شيع ببدنه -
إلى قوله (قد أسكره القتال) .
(*) كذا بالخطوطة والصواب (هلاً) .

(٢٣٦) البالي : الخاطر أو الفكر [اللسان (١١/٧٤ - بول)] ط - دار صادر .
(٢٣٧) ورد هذان البيتان بالمدحش (ص ١٩٠) .

[جبال الأمل]

يا هذا^(٢٣٨) عواصف الحوادث تنسف جبال الأمل ، ومعاول الزمان تهدم
جدران الأجل ، أليس الزمان يعبر ثم يغبر ، فأين الفهم لتدبير ما إليه تصير ،
حالت غمام الهوى ، بينكم وبين شمس الهدى ، وغدا ما في يومكم ينسيكم
غدا ، حتى كان الرحيل حديث خرافة ، وكأن الزاد يفضل عن المسافة ، أيها
الشيوخ : آن الحصاد أيها الكهول : قرب الجذاذ^(٢٣٩) ، أيها الشباب كم جرد
الزراع جراد .

شعر

فيا ابن^(٢٤٠) آدم لا يغرك عافية عليك شاملة فالعمر معدود
ما أنت إلا كزراع عند خضرته بكل شيء من الآفات مقصود
فإن سلمت من الآفات أجمعها فانت عند كمال الأمر محسود^(٢٤١)
قال وهب بن منبه^(٢٤٢) : ما من شعرة في ابن آدم تبيض إلا وتقول للتي
تليها : أختي قد جاء الموت فاستعدي له .

(٢٣٨) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ١٥٩) ، من قوله (يا هذا عواصف
الحوادث ... إلى قوله (كم جرد الزراع جراد) .
(٢٣٩) الجذاذ : القطع أو الكسر [الوسيط (١١٢/١)] .
(٢٤٠) وردت هذه الأبيات بالمدحش (ص ١٦٠) .
(٢٤١) مكذا بالأصل وبالمدحش (محسود) .
(٢٤٢) وهب بن منبه الأبنأوى الصنعاني الذماري ، أبو عبد الله : مؤرخ ، كثير
الإنخبار عن الكتب القديمة عالم بأساطير الأولين ولاسيما الإسرائيليات . يعد في التابعين .
أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن وأمه من حمير ولد ومات بصنعاء
(٣٤٤هـ - ١١٤هـ) .

[الاعلام (١٢٥/٨)]

في العبادة بعد الشيب

وذكر عن إياس بن (٢٤٣) قتادة ابن أخت الأحنف بن قيس (٢٤٤) أنه كان ذات يوم في داره وإذا ببني تميم قد اجتمعوا بالبواب في بعض الأمور وكانوا إذا أشكَلَتْ عليهم معضلة أخذوا رأيهم فيها فقام ولبس ثيابه وقال : لا يراني الله حماراً لحاجات بني تميم بعد اليوم يا بني تميم قد وهبتكم شبابي فهي إلى مشيبي ، ثم اعتزل ولزم العبادة والاجتهاد حتى مات .

وقال هلال بن قتادة : كان الرجل من أهل المدينة إذا رأى الشيب في لحيته ترك الدنيا وتفرغ للعبادة .

وقال بعض الحكماء : من بلغ أربعين سنة ولم يغلب خيره على شره فلينع على نفسه .

وقيل : من بلغ أربعين سنة ولم يغلب خيره على شره أتاه الشيطان فمسح وجهه وقال يا بني وجهه (٢٤٥) لا يفالح .

(٢٤٣) إياس بن قتادة : التميمي ، ابن أخت الأحنف بن قيس وكان قاضياً لبني تميم .

[الحلية (١١٠/٣) رقم ٢٢٢]

(٢٤٤) الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين المري السعدي المنقري التميمي ، أبو بحر : سيد تميم وأحد العظماء الدهاة الفصحاء الشجعان الفاتحين يضرب به المثل في الحلم ولد في البصرة وأدرك النبي ولم يره ، شهد الفتوح في خراسان واعتزل الفتنة يوم الجمل تولى بالكوفة (٣ق هـ - ٧٢هـ) وأخباره كثيرة جداً . [الأعلام (٢٧٦/١)] .

(٢٤٥) وجه لا يفالح : كذا بالأصل ولعل المراد بذلك أن الشيطان يفرح فرحاً شديداً لعدم فلاح أحد من بني الإنسان .

شعر

[للبحترى] (٢٤٦)

إذا مضى للمزء من أعوامه خمسون وهو إلى المظالم (٢٤٧) ينجح
ركضت (٢٤٨) عليه الخزيات وقلن قد ارتضينا فاقم كذا لا تبرح (٢٤٩)
وإذا رأى أبلّيس غرة وجهه حيا وقال قد تب (٢٥٠) من لا يفلح

توبة عاص

يروى : أن حبشيا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله عصيت
ربى ، أيام شبابى ، وسودت بالمعاصى كتابى ، وقد بدأ شبابى ينقرض ، وشيئى
يعترض والآن أنا أستحي من ربى ، أفتراه إن تبت يقبلنى ؟ قال : نعم فولّى
الرجل ثم رجع ، فقال : يا رسول الله أكان يرانى وأنا أعملها ؟ قال : نعم فصاح
صيحة عظيمة وخر مغشيا عليه فحركوه فإذا هو ميت .

(٢٤٦) نسب صاحب المدهش هذه الأبيات (للبحترى) [المدهش (ص ٣٤٤)]
(ديوان شعره ٤٨٢/١) .

(٢٤٧) كذا بالأصل وبالمدهش (التقى لا)

(٢٤٨) كذا بالأصل وبالمدهش (عكف) .

(٢٤٩) الشطر الثانى من هذا البيت ورد فى الديوان هكذا (قد أضحكنا وسررتنا

لاتبرح) [هامش المدهش (ص ٣٤٤)] .

(٢٥٠) كذا بالأصل وبالمدهش (فديت) والصواب ما ذكر فى الأصل ، (وتب)

بمعنى خسر وهلك .

موعظة

قال محمد بن إبراهيم الكوفي : سمعت محمد بن (٢٥١) السماك يقول : كنت كثيرا ما أطلب الزُّهَّاد والعُبَّاد فذكر لي رجل من الزهاد بعبادان فخرجت في طلبه ، حتى أتيت عبادان فسألت عن منزله فرشدت إليه ، فقرعتُ عليه الباب فخرجتُ لي جارية خماسية (٢٥٢) القد ، فقالت : ما شأنك أيها الطارق ؟ قلت : أريد منزل فلان . قالت : عليه وقعت ، فما حاجتك ؟ قلت : أحب أن تستأذنيه لي في الدخول عليه .

قال : فدخلت فإذا أنا برجل قد احتفر قبرا ووضع فيه رجله وبيده خوص يصنعه وهو يتلو هذه الآية : ﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ﴾ (٢٥٣) فسلمتُ عليه فردَّ عليَّ السلام وقال : ما اسمك ؟ قلت : محمد قال : ابنُ من ؟ قلت : ابنُ السماك ، قال : لعلك الواعظ ، قلت : أجل ، قال : إن الواعظ عندي بمنزلة الطبيب ، وى داء قد أعيا المعالجين قبلك ، فعسى أنت تناله برفقك ، وتلصق عليه بعض مراهمك مما تعلم أنه يلائمه منها ، فقلت : أما تعلم أنه لا دار بعد هذه الدار إلا الجنة أو النار ؟ قال : فتغير وجهه فقلت : يأخى إن العمر قد ولَّى ، والضعف قد تولَّى ، وإن كاتبك قد حفظا عليك ما سلفك من قبيح العمل ، ولعل المنبة تعالجك قبل إدراك الأمل ، قال : فلما سمع ذلك لم يتالك أن شهق شهقة وخر مغشيا عليه فاقبلت امرأته وابنته يبكيان من خلف السُّتر فبقى كذلك طويلا ثم أفاق وقال : يا ابن السماك قد وافق دواؤك

(٢٥١) محمد بن السماك : هو محمد بن صبيح بن السماك ، يكنى أبا العباس ، وهو من الطبقة السابعة من أهل الكوفة لكنه قدم بغداد ، وقابل هارون الرشيد ومكث ببغداد مدة ثم عاد إلى الكوفة فتوفي فيها سنة ثلاث وثمانين ومائة .

[صفة الصفوة (١٧٤/٣) رقم ١٥٤]

(٢٥٢) جارية خماسية : الخماسى من الغلمان والثياب ما طوله خمسة أشبار .
[الوسيط (٢٥٦/٢)] والمعنى أن طول قدها خمسة أشبار .
(٢٥٣) سورة الجاثية - الآية : ٢١ .

دائى ، ولصق مرهمك بجلدى ، زدنى فإن المرهم إذا خلف المرهم اندمل^(٢٥٤)
 الجرح والتأم ، فقلت : ياأخى نحن على يقين من ذنوب سلفت ، وفى شاك من
 قبول توبة ، فإن جاد بالفضل فأين ذبول الخجل خشية العتاب؟! وإن قضى
 بالعدل فأين تحول الرجل خيفة العقاب ، قال : فصرخ صرخة عظيمة وخر مغشيا
 عليه فمكث طويلا ثم أفاق وقال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،
 وأن محمدا عبده ورسوله ثم سكن طويلا فحركته فإذا هو ميت .

شعر

[قال المهيأر]^(٢٥٥)

أيها الرامى وما أجرى دما ليتنى قد بلغت^(٢٥٦) الغرضا
 لما تمكنت^(٢٥٧) المعرفة من قلوبهم ، أثرت شدة الخوف فارتفع ضجيج
 الوجد ، أتاها من الله وعيد وقوفهم^(٢٥٨) فعجزت أبدانهم عما حملت قلوبهم
 ﴿ فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ﴾^(٢٥٩) .

شعر

(٢٦٠)

قصوا على حديث من قتل الهوى إنَّ التأسى روح كل حزين

(٢٥٤) اندمل : أى أخذ فى البرء والشفاء [اللسان (١١/٢٥١ - دمل)] ط

- دار صادر .

(٢٥٥) نسب صاحب المدهش هذا البيت (للمهيأر) [المدهش (ص ٣٦٥)] .

(٢٥٦) كذا بالأصل وبالمدهش (أصبت) .

(٢٥٧) وردت بالمدهش (ص ٤٢٤) من قوله (لما تمكنت المعرفة ... إلى قول الله

تعالى ﴿ فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ﴾ .

(٢٥٨) كذا بالأصل وبالمدهش (وقدهم) .

(٢٥٩) سورة الاحزاب - الآية : ٢٣ .

(٢٦٠) ورد هذا البيت بالمدهش (ص ٤٢٥) .

الفصل السابع

[موعظة الدهر]

يا من يعظه الدهر ولا يقبل ، وينذره القهر ثم يرحل ، ويضم العيب إلى
الشيب وبئس ما يفعل ، كن كيف شئت فإنما تجازى بما تعمل (٢٦١) .

شعر (٢٦٢)

دَعْنِي فَإِنَّ غَرِيمَ الْعَقْلِ لَازِمُنِي وَذَا زَمَانُكَ فَا مَرُحْ فِيهِ لَا زِمُنِي
وَلِيَّ الشَّبَابِ بِمَا أَحْبَبْتَ مِنْ مَنَحْ وَالشَّيْبُ جَاءَ بِمَا أَبْغَضْتَ مِنْ مَحْنِ
فَمَا كَرِهْتُ سِوَى (٢٦٣) عِنْدِي وَعِنْفُنِي وَمَا حَرَصْتُ عَلَيْهِ حِينَ عَرَفْنِي (٢٦٤)

[تحذير الموت]

كأنما (٢٦٥) بالموت وقد خطف ، ثم عاد إلى الباقي وعطف ، تنبه للموت
يا ابن النطف ، فقد حاذى الرامي الهدف كم تسير في سرف ؟ ليت هذا العزم
وقف ، تؤخر الصلاة ثم تأيتها كالبرق خطف ، تجمع سوء كيلة مع

(٢٦١) هذه الموعظة وردت بالمدحش (ص ٢٣٦) من قوله (يا من يعظه الدهر ...
إلى قوله (تجازى بما تعمل) .

(٢٦٢) وردت هذه الأبيات بالمدحش (ص ٢٣٦) .

(٢٦٣) كذا بالأصل وبالمدحش (ثوى) .

(٢٦٤) كذا بالأصل وبالمدحش (عن فنى) .

(٢٦٥) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ١٧٤) ، من قوله (كأنها بالموت وقد

خطف ... إلى قوله (فأين ما منه خلف) .

حشف (٢٦٦)؟! الجسم أتى والقلب انصرف يا من باع الدر واشترى
الصدف (٢٦٧) ، ابسط رماد الخوف على بساط الأسف ، وابك على فأتين ما منه
خلف .

[شدة الخوف]

قال بعض الصالحين : كنا في مجلس بعض الوعاظ فوعظ حتى أبكى من
حضر وكان في المجلس شاب فذكر الواعظ النار وما أعد الله تعالى فيها من العذاب
الأليم لمن عصاه فصاح الشاب : وأأسفى على ما فرطت في جنب الله ضيعت
عمري ونسيت أجلى وقصرت في عملي ثم استقبل القبلة وقال : اللهم إني
استقبلتك في يومي هذا بتوبة لك لا يخالطها رياء لغيرك فاقبلني على ما كان مني ،
وأقل عثرتي ، وارحم غربتي ، إلهي إليك رجعت بجميع جوارحي صادقا من
قلبي ، فالويل لي إن لم تقبلني ثم سقط مغشيا عليه فحركناه ، فإذا هو ميت رحمة
الله تعالى عليه .

هذا عبدٌ استيقظ فعلم تقصيره واستبصر ، فشاهد بعين البصيرة مصيره ،
فاستولى عليه وارد الخوف ، فصدع قلبه فرضى الله عنه وأرضاه ، ﴿ذلك لمن
خشى ربه﴾ (٢٦٨) .

شعر

يا صاحبى الهوى شديدٌ ووعدٌ سلطانه وعيدٌ
فقللا بالمنى فردا قريب أطماعه بعيدٌ
قد هان قتلى على علمى إن قتل الهوى شهيدٌ
أهل الهوى لا الشقى منهم يعرف فهم ولا السعيدُ

(٢٦٦) الحشف أردأ التمر (وتجمع سوء كيلة إلى حشف) مثل يضرب لمن يجمع
نصلتين مكروهتين . [الوسيط : ١/١٧٦] .

(٢٦٧) كذا بالأصل وبالمدهش (الخذف) وما بالأصل هو الأفضل .

(٢٦٨) سورة البينة - الآية : ٨ .

يا من له عزة الموالى رفقاً فقد ذلت العبيدُ
 وحق دينُ الهوى يمينا إلا بها المرغف العميدُ
 من ظفرت بالمنى يدها فكل أيامه سعودُ
 وعن محمد بن السماك رضى الله عنه أنه قال : يا ابن آدم أما آن لك أن
 تطيع من لم يطع الحاسدين فيك ، أما وعزته لو أطاعهم فيك لجعلهم نكالا ،
 فاجتهد في تحصيل زادك ليوم معادك مادام العمل يُرفع ، والقول يُسمع .
 (٢٦٩)

يروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : ذكر رسول الله ﷺ باب
 التوبة: فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يارسول الله وما باب التوبة ، فقال
 رسول الله ﷺ : « باب التوبة خلف المغرب له مصراعان من ذهب مكللان
 بالدر والياقوت ما بين المصراع إلى المصراع أربعون عاما للراكب المجد وذلك
 الباب مفتوح منذ خلق الله الدنيا إلى صبيحة طلوع الشمس من مغربها فإذا
 أطلقت ولم يتب عبد توبة نصوحا ولجت التوبة من ذلك الباب ثم تغرب
 الشمس والقمر في ذلك الباب ثم يرد المصراعان ويلتصم ما بينهما كأن لم يكن
 بينهما صدع قط فعند ذلك لا يقبل من العبد توبة ولا تنفعه حسنة يعملها في
 الإسلام إلا من كان قبل ذلك محسنا فإنه يجزى له عمله على ما كان يجزى قبل
 ذلك وإلى ذلك الإشارة بقوله عز وجل : ﴿ يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع
 نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا ﴾ (٢٧٠) .

شعر

بادر إلى التوبة الخلاء مجتهدا والموت ويحك لم يمدد إليك يدا
 وارقب من الله وعدا ليس يُخلفه لا بد لله من إنجاز ما وعدا
 فإنما المرء في الدنيا على خطرٍ إن لم يكن ميتا في اليوم مات غدا

(٢٦٩) روى بنحوه في سنن الترمذى (٥١٠/٥) ، ح (٣٥٣٥ ، ٣٥٣٦) ، وأحمد
 (٢٤٠/٤ ، ٢٤١) .
 (٢٧٠) سورة الأنعام - الآية : ١٥٨ .

[المبادرة بالتوبة]

إخواني (٢٧١) : بادروا قبل أن يفوت الغرض بالمرض ، إن عرض ،
فكأنكم بمسوط الأمل وقد انقبض ، وبمشيد المنى وقد وهى وانتقض .

شعر (٢٧٢)

يا ساكنَ الدنيا تَاهِبٌ وانتظر يوم الفراق
وأعدَّ زاداً للرحيلِ فسوف يحدى بالرفاق
وابك الذنوب بأدمع تنهل (٢٧٣) من سحب الأماق (٢٧٤)
يا من أضاع زمائمه أرضيت مايفنى بيباق .

إخواني : أين عزائم الرجال . أين صرائم الأبطال ، تدعى وتتوانى هذا كله
محال ، إن هممت فبادر ، وإن عزمت فتأبر ، وأعلم أنه لا يدرك المفاخر ، من
رضى بالصف الآخر .

(٢٧١) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٢٢٨) - مع بعض الاختلاف في اللفظ
- من قوله (بادروا قبل أن يفوت ... إلى قوله (من رضى بالصف الآخر) .
(٢٧٢) وردت هذه الأبيات بالمدحش (ص ٢٢٨) .
(٢٧٣) ليست هذه اللفظة بالأصل ولكنها موجودة بالمدحش .
(٢٧٤) كذا بالأصل وبالمدحش (المآق) .

شعر (٢٧٥)

فلا تحسبوا أنَّ المعالي رخيصةٌ ولا أنَّ إدراك العلاهيْن سهلٌ
فما كلُّ مَنْ قد حاولَ (٢٧٦) العزَّ نالَه ولا كلُّ مَنْ يهوى العلا نفسه تعلوا
يا هذا (٢٧٧) : ركائب الرحيل قد أنيخت بالجناب ولم تتخرج وناقد البائع
لا يروجه الزيف وناقدك بهرج كيف يلحق السابقين كسلان أعرج .
ما يحصل برد العيش إلا من يدخل بحر التعب .

تعبد يحيى في صغره وخوفه من ذكر جهنم

قال عمرو بن العاص : ذكر رسول الله ﷺ يحيى بن زكريا عليهما
السلام فقال : « أول ما كان من زهده أنه أتى بيت المقدس فرأى المجتهدين من
الأخبار والرهبان عليهم مدارع (٢٧٨) الشعر (٢٧٩) وبرائيس (٢٨٠) الصوف وقد
خرقوا (٢٨١) تراقبهم وشدوها إلى سوارى بيت المقدس فلما رأى ذلك أتى أمه

(٢٧٥) وردت هذه الآيات بالمدحش (ص ١٨٨) .

(٢٧٦) (قد حاول العز) كذا بالأصل وبالمدحش (يسمى إلى المجد) وكلاهما
صواب .

(٢٧٧) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٢٢٩) من قوله (يا هذا ركائب
الرحيل ... إلى قوله (كيف يلحق السابقين كسلان أعرج) .

(٢٧٨) مدارع الشعر : الدراعة ثوب أو جبة مشقوقة المقدم وجمعها مدارع .
والمعنى ثياب من الشعر - [الوسيط (٢٨٠/١ ، ٢٨١)] .

(٢٧٩) الشعر : هو مايلي جسد الانسان دون ماسواه من الثياب [الوسيط
(٤٨٤/١)] .

(٢٨٠) البرائيس : البرنس : كل ثوب رأسه منه ملتزق به . [اللسان (٢٦/٦) -
برنس] .

(٢٨١) خرقوا : أى قطعوا ومزقوا وشقوا . [الوسيط (٢٢٨/١)] ولعل
المراد من العبارة أقاموا ولم يبرحوا .

فقال : يا أماه انسجى لنا مدرعة من شعر وبرنوسا من صوف حتى آتى بيت المقدس أتعبد مع الأحبار والرهبان فقالت له أمه : حتى يدخل نبي الله زكريا عليه السلام فلما دخل أخبرته بقول يحيى ، فقال : يا بني ما يدعوك إلى هذا وأنت صبي صغير ؟ قال : يا أبت أما رأيت من هو أصغر منى قد ذاق الموت ، قال : بلى قال : دعنى أذهب فيما يهون على سكرات الموت ، فصنعت له أمه ما طلب فتدوع ولبس البرنس وأقبل يتعبد حتى أكلت مدرعة الشعر بدنه فنظر ذات يوم إلى بدنه وقد أنحله الشعر فبكى ، فأوحى الله تعالى إليه أتبكى على ما نحل من بدنك ، فوعزنى وجلالى لو اطلعت على النار اطلاعة لتدريعت الحديد فضلا عن المنسوج فعند ذلك بكى يحيى حتى أكل لحم خديه الدموع وما شعر بذلك فقال زكريا : يا بني إنما سألت الله تعالى أن يهلك لى قرعة عين ، والآن فقد كدّرت على حياتى بكثرة بكائك فما يدعوك إلى هذا كله ، قال : يا أبت أنت حملتنى على ذلك ، قال : متى ؟ قال : أأست القائل أن بين يدى الساعة عقبة كؤوداً لا يقطعها إلا البكاءون من خشية الله تعالى ؟ أأست القائل ذلك ؟ قال : بلى ، قال : فدعنى أبكى لعلى أقطع هذه العقبة ثم نهض يريد الخروج فقالت له أمه : مهلا حتى أعمل لك قطعتين من لبود يواريان اضراسك وينشفان الدموع ، قال : شأنك وما تصنعين فاتخذت له قطعتين من لبود مكان لحم الخدين يواريان الأضراس وينشفان الدموع .

شعر

لا تحسبوا فيضَ النواظرِ دمعٌ هى مهجتى ترفضُ من أجفانى
ما أدعى زوراً فهذى أعظمى نَحَلْتُ وهذا الدُّمعُ أحمر قانى

وكان زكريا عليه السلام إذا أراد أن يعظه بنى إسرائيل نظر يمينا وشمالا فإن رأى يحيى لم يذكر جنة ولا نارا ، فأقبل يحيى ذات يوم وقد لفّ رأسه بعباءة فنظر زكريا فلم يره فأنشأ يحدث . فقال : أخبرنى خليلي - يعنى جبريل - أن فى جهنم جبلا يقال له السكرات ، فى أصل ذلك الجبل وادٍ يقال له غضبان مملوء بغضب الرحمن فى الوادى جب مسيرته مائة عام فى ذلك الجب توأبيت من نار فى تلك

التواييت صناديق من نار في تلك الصناديق لحف من نار قال : فرفع يحيى رأسه وقال : واغفلنا عن السكرات وخرج هائما على وجهه ، قال : ثم بعد ذلك جاء زكريا ودخل على أم يحيى فقال لها : قومي فاطلبي يحيى وما إخالك تجديه إلا ذاق وقد الموت ، قال : فخرجت في طلبه ولم تزل تتطوف عليه حتى وجدته فدنّت منه وقبلت رأسه ووضعت في حجرها وسألته أن ينطلق معها فلما أتت منزلها صنعت له عدسا ووضعت بين يديه فرفع رأسه إلى السماء ثم أطرق وهو مستبشر وأكل من ذلك العدس واضطجع فدثرته أمه فنام فلم يستيقظ حتى طلعت الشمس فأوحى الله تعالى إليه : يا يحيى هل وجدت دارا خيرا لك من دارى أو جوارا خيرا من جوارى قال : فعند ذلك نهض مذعورا ونادى بأعلى صوته : يارب أقلنى^(٢٨٢) اليوم عثرتى : فوعزت لك لا أستظل بعد هذا اليوم بظل سوى ظل بيت المقدس ، ثم قال لأمه : ناوليني مدرعة الشعر وبرنس الصوف فأنى أخشى أن توردينى المهالك ، فقال لها زكريا : ناوليه فإن ولدى قد كشف له عن قناع قلبه لا ينتفع بالعيش بعد ذلك .

شعر

دَعُ يا عذولُ ملامةً إنَّ الهوى لهبٌ يزيدُ اللومُ في إيقاده
هذى الخيامُ خيامُ سعدى فانتبه واستعمل الإنصاف في إسعاده
وارجع إلى الوادِ الذى فيه الهوى واستطلع الأخبارَ من وراده
إن كان هذا اليومُ يومَ رحيلهم فاليومُ من دنياه آخر وده^(٥)
قال : فخرج يحيى وتعبد حتى كان من أمره ما كان .

(٢٨٢) أقلنى : أى اصفح عني وتجاوز . [الوسيط (٧٧٠/٢)] .

(٥) كذا بالأصل ولعلها (زاده) .

[يا بعيداً عن المجاهدة]

(٢٨٣)

اسمع يا بعيداً عن المجاهدة قد اقتسم الرعيل الأول النقل يا من انحرف عن
جاداتهم^(٢٨٤) تيامن ، يا قليل الهمّة أقل ما في الرقعة البندق فإذا نهض تفرزت ،
متى همت أقدام العزم بالسلوك انقطع من بين يديها سد القواطع ، ومتى هاب
الغائص ، موج البحر في نيل الدر لم يحصل شيئاً .

شعر

[المهيار]^(٢٨٥)

إلى كم حبسها تشكوا المضيقاً أثرها ربما وجدت طريقاً
أتعقلها وتقنع بالهويناً تكون إذا بلذاتها^(٢٨٦) خليقاً

كأنك^(٢٨٧) بحرب التلف قد قامت على ساق فانهزمت جيوش الأمل وإذا
ملك الموت قد برز للروح يجتذبها بخطاطيف الشدائد وقد أوثق كتاف الذبيح ،
وحار البصر لشدة الهول ، وملائكة الرحمة عن اليمين ، قد فتحو أبواب الجنة ،
وملائكة العذاب عن الشمال قد فتحو أبواب النار وجميع المخلوقات
تستوكف^(٢٨٨) الخبر ، والكون كله قد قام على صيحة واحدة إما أن يقال سعد
(٢٨٣) وردت هذه الموعظة بالمدّش (ص ١٧٦) من قوله (يا بعيداً عن المجاهدة ...
إلى قوله (لم يحصل شيئاً) .

(٢٨٤) كذا بالأصل ووردت بالمدّش (جاداتهم) والصواب ما ورد في المدّش .

(٢٨٥) نسب صاحب المدّش هذين البيتين (للمهيار) المدّش (ص ١٧٧) .

ديوان شعره (٣٥٣/٢) [هامش المدّش ص ١٧٧] .

(٢٨٦) كذا بالأصل وبالمدّش (بذلتها) .

(٢٨٧) وردت هذه الموعظة بالمدّش (ص ١٨٥) من قوله (كأنك بحرب

التلف ... إلى قوله (ولا نوم تستريح به ولا نفس) .

(٢٨٨) تستوكف الخبر : تسأل عنه . [الوسيط (٢/٢١٠٥٤)] .

فلان أو شقى ، فحينئذ تنجلي أبصار ﴿ الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى ﴾^(٢٨٩) ، وأسفاً من حياة على غرور وموت على غفلة ، ومنقلب إلى حسرة ، ووقوف يوم الحساب بلا حجة ، يا هذا مثل نفسك في زاوية من زوايا جهنم وأنت تبكى أبداً ، وأبوابها مغلقة ، وسقوفها مطبقة وهى سوداء مظلمة ، لا رفيق تأنس به ولا صديق تشكو إليه ، ولا نوم تستريح به ولا نفس .
(٢٩٠)

قال كعب الأحبار^(٢٩١) : إن أهل النار ليأكلون أيديهم إلى المناكب من الندم على تفريطهم ، وما يشعرون بذلك ، ويحك^(٢٩٢) تهباً لتلك الساعة ، حصل زاداً قبل العوز .

شعر

[الصمة القشيري]^(٢٩٣)

لو تزودت^(٢٩٤) من شميم^(٢٩٥) عرار نجد^(٢٩٦) فما بعد العشية من عرار

(٢٨٩) سورة الكهف - الآية : ١٠١ .

(٢٩٠) ورد هذا القول في المدهش (ص ١٨٥) من قوله (إن أهل النار ليأكلون ... إلى قوله (وما يشعرون بذلك) .

(٢٩١) كعب الأحبار : هو كعب بن ماته الحميري ، أبو إسحاق : تابعي . كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن ، وأسلم في زمن أبي بكر ، وقدم المدينة في زمن عمر ، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيراً من الأخبار عن الأمم الغابرة سكن حمص وتوفي فيها عن مئة وأربع سنين (... - ٣٢٢هـ) .
[الأعلام (٢٢٨/٥)]

(٢٩٢) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ١٨٥) . من قوله (ويحك تهباً ... إلى قوله (حصل زاداً قبل العوز) .

(٢٩٣) نسب صاحب المدهش هذا البيت (للصمة القشيري) [المدهش ص ١٨٥] .

(٢٩٤) كذا بالأصل وبالمدهش (تمتع) .

(٢٩٥) شميم : ما يشم . [الوسيط (٤٩٥/١)]

(٢٩٦) عرار : نبات طيب الرائحة [الوسيط (٥٩٢/٢)]

الفصل الثامن

[الدنيا معبر إلى الآخرة]

(٢٩٧)

يا هذا(*) إنما خلقت الدنيا لتجوزها لا لتحوزها ، ولتعبُرَهَا لا لتُعمِرَهَا ،
فاقتل هواك المائل إليها ، واقبل نصحي لا تعول عليها .

شعر

[ورقة بن نوفل] (٢٩٨)

لا شيء فيما ترى تَبْقَى بَشَاشَتُهُ يبقى إلالة ويفنى المأل والولدُ
لم تغن عن هرمرز يوما خزائنه والخلد قد حاولت عاذُ فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجرى الرياح به والإنس والجن فيما بينها يغدوا
حوض هنالك مورود بلا كدر لا بد من وردٍ يوما كما وردوا
كم (٢٩٩) أخرج الموت [نفسا] (٣٠٠) من دارها لم يدارها ، وكم أنزل
أجساداً بجارها لم يجارها ، وكم نقل ذاتا ذات خطايا بأوزارها ، وكم أجرى عيوننا
كالعيون على بعد مزارها .

(٢٩٧) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٢٧٤) من قوله (إنما خلقت الدنيا ...
إلى قوله (لاتعول عليها) .

(*) بالأصل (من يا هذا) والصواب ما أثبتناه .

(٢٩٨) نسب صاحب المدحش هذه الأبيات [لورقة بن نوفل] . [المدحش :

٢٧٤] .

(٢٩٩) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ١٨٧) من قوله (كم أخرج الموت ... إلى
قوله (على بُعد مزارها) .

(٣٠٠) ما بين المعكوفتين سقط استدركناه من المدحش .

شعر

أيا (٣٠١) مغرماً بوصال عيش ناعم ستصدعه طائعاً أوكارها
إنَّ المنيَّةَ تُرْجِعُ الأحرار عن أوطانهم والطير عن أوكارها.
يا من (٣٠٢) قد انطوى برد شبابه وصغره ، وجذبت (٣٠٣) خلع قلفه
وبلغت سفينته ساحل سفره .

شعر (٣٠٤)

وَلَّ (٣٠٥) على ثنية الوداع فلم يبق إلا نظرة (٣٠٦) تتغنم
لا في (٣٠٧) الشباب وافقت ولا في الكهولة رافقت ، ولا في الشيب
أفقت ، ولا من العتاب استفتت (٣٠٨) ، وما آمنت بالمعاد ولا صدقت .
ولقد أُنذِرنا الموت بمن أخذ منا ، ونعلم هجومه علينا وقد أمنا ، أما ذكرتنا
المواعظ ما كنا ، فما لنا ما لنا .

-
- (٣٠١) ورد هذان البيتان في المدهش (ص ١٨٧) .
(٣٠٢) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ١٨٨) ، من قوله (يا من قد انطوى
برد شبابه ... إلى قوله (مساحل سفره) .
(٣٠٣) كذا بالأصل وبالمدهش (خبيت) .
(٣٠٤) ورد هذا البيت في المدهش كبقية للموعظة السابقة ولم يرد كبيت شعر .
[المدهش ١٨٨] .
(٣٠٥) كذا بالأصل وبالمدهش (قف) . وهو الأصوب .
(٣٠٦) كذا بالأصل وبالمدهش (ساعة) .
(٣٠٧) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ١٨٨) من قوله (لا في الشباب
وافقت ... إلى قوله (فما لنا ما لنا) .
(٣٠٨) ورد هذان البيتان بالمدهش (ص ٢٨٥) .

شعر

(٣٠٨)

واعجباً لغافل أمامه هجوم^(٣٠٩) لا يتقى إذا هجم
إذا تخطاه على عهد الصبا أو الشباب لم تفته في الهرم .

قال الأصمعي^(٣١٠) : بينا أمير المؤمنين يتمشى في قصره إذ سمع هاتفا
يسمع صوته ولا يرى شخصه وهو يقول :

كأني بهذا القصر قد كان أهله وقد درست أعلامه ومنازله
نُحذُّ أهبةً للموت إنك ميت وإنك مسئول فما أنت قائله ؟
فقال المهدي^(٣١١) :

أقول بأن الله لا شيء غيره وذلك قول ليس تفنى فضائله

(٣٠٩) هنا سقط فقد ورد في المدهش (ما) [المدهش : ٢٨٥] .

(٣١٠) الأصمعي : عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي ، أبوسعيد الأصمعي ، راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة ، والشعر والبلدان . نسبته إلى جده أصمع ومولده ووفاته بالبصرة كان كثير التطواف في البوادي يقتبس من علومها ويتلقى أخبارها ، ويتحف بها الخلفاء وله تصانيف متعددة منها (الأضداد - الإبل - الأصمعيات ...) (١٢٢هـ - ٢١٦هـ) .

[الاعلام : (١٦٢/٤)]

(٣١١) المهدي : محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي العباسي ، أبو عبد الله ، من خلفاء الدولة العباسية ولد في أيدج (من كور الأهواز) وولي بعد وفاة أبيه سنة ١٥٨هـ وأقام في الخلافة عشر سنين وشهراً ومات في ماسبدان ، صريعاً عن دابته في الصيد وقيل مسموماً ، كان محمود العهد والسيرة محبباً إلى الرعية حسن الخلق والخلق (١٢٧هـ - ١٦٩هـ) .

[الاعلام : (٢٢١/٦)]

فقال الهاتف :

تزود من الدنيا لسيرك بلغة فقد أزف الأمر الذى بك نازله

فقال المهدي :

متى ذاك خبرنى فإنى سأفعل أحصل ما قد قلته وأعاجله

فقال الهاتف :

تمتع ثلاثا بعد عشرين ليلة إلى أربع فالشهران تكامله

قال : فلم يلبث المهدي بعد ذلك إلا سبعة وعشرين يوما ومات .

إخواني^(٣١٢) : اعتبروا بالذين وطنوا^(٣١٣) وخزنوا ، كيف صنعوا^(٣١٤) وحزنوا وانظروا إلى آثارهم تعلموا أنهم قد غبنوا ، لاحت لهم لذات الدنيا فاغثروا وفتنوا فما انقشعت سحائب المنى حتى ماتوا ودفنوا .

شعر

(٣١٥)

جمعوا فما أكلوا الذى جمعوا وبنوا مساكنهم فما سكنوا
فكأنهم كانوا بها ظعنا لما استراحوا ساعة ظعنوا

يا مختار العاجلة بشى ما اخترت ، يامقبلا على المعاصى أدبرت ، كم تعد
بالتوبة ولا تفى ، ويحك إن اللذة بالعقوبة لا تفى ، لله در أقوام بادوا الدنيا ،
وحاذروا آثامهم ، جعلوا الصوم أطعامهم ، والصمت كلامهم ، فالأبدان بين
أهل الدنيا تسعى ، والقلوب فى رياض الملكوت ترعى ، قاموا ليخوف القيامة

(٣١٢) وردت هذه الموعظة بالمدesh (ص ٢٩٢) من قوله (إخوانى اعتبروا بالذين
وطنوا ... إلى قوله (حتى ماتوا ودفنوا) .

(٣١٣) كذا بالأصل وبالمدesh (قطنوا) .

(٣١٤) كذا بالأصل وبالمدesh (ظعنوا) .

(٣١٥) ورد هذان البيتان فى المدesh (ص ٢٩٢) .

بالأوامر ، ووقفوا أنفسهم على الخير ، وباتوا كالمؤامر ، هجروا بالصيام لذيد الهوى فى الهواجر ، وصمت اللسان حتى كأنه مقطوع عن الخنا^(٣١٦) بالخناجر وجرى الدموع واصباً^(٣١٧) حتى لقد محى المهاجر^(٣١٨) .

حكاية ابن خفيف

قال أبو عبد بن خفيف :- خرجت من مصر أريد الدجلة^(٣١٩) للقاء الروذبارى^(٣٢٠) فقال عيسى بن يونس^(٣٢١) المعروف بالزهد : إن فى صور^(٣٢٢) كهلاً وشاباً قد اجتمعا على حالة المرافقة ، فلو نظرت إليهما نظرة واحدة لرجوت أن تنتفع بذلك ، قال : فمضيت إلى صور فدخلتها وأنا جائع عطشان ، فجيئت إلى مسجد فإذا أنا بشخصين جالسين فسلمت عليهما فما ردّاً علىّ السلام ، فكلمتهما فلم يردّاً على جوابا فقلت : نشدتكما الله تعالى ألا كلمتاني ، فرفع الشاب رأسه من مرفقته وقال : يا ابن خفيف ، الدنيا قليل وما بقى من القليل

(٣١٦) الخنا : الفحش فى الكلام [اللسان (٢٤٤/١٤ - خنا)] ط - دار صادر .

(٣١٧) واصباً : دائماً أو مستمراً [اللسان (٧٩٧/١ - وصب)] ط - دار

صادر .

(٣١٨) المهاجر : جمع محجر وهو ما أحاط بالعين [اللسان (١٦٩/٤ - حجر)] ط

- دار صادر .

(٣١٩) الدجلة : موضع فى ديار العرب بالبادية [معجم البلدان (٤٤٢/٢)] .

(٣٢٠) الروذبارى : أبو على الروذبارى ، أحمد بن محمد بن مقسم ، له اللسان

الفصيح والبيان النجيب ، بغدادى انتقل إلى مصر وتوفى بها . [الحليه : (٣٥٦/١٠) رقم ٦٣٠] .

(٣٢١) عيسى بن يونس : بن أبى إسحاق ، السبيعى ، أخو إسرائيل ، كوفى نزل

الشام مرابطاً . ثقة مأمون من الثامنة ، يكنى أباً عمر ، مات سنة سبع وثمانين وقيل سنة إحدى وتسعين [تقريب التهذيب (١٠٣/٢)] ، [صفة الصفوة (٢٦٠/٤)] .

(٣٢٢) صور : مدينة على ساحل بحر الشام (البحر المتوسط) داخلية فى البحر مثل

الكف - وهى فى جنوب لبنان حالياً - سكنها خلق من الزهاد والعلماء . [معجم البلدان (٤٣٣/٣)] .

إلا القليل فخذ من القليل قليلا تنجو به ، ثم طأطأ رأسه وسكت عنى ، فبقيت عندهما حتى صليا العصر فذهب جوعى وعطشى وتعبى ، فقلت للشاب : بالله عليك عظمى ، فرفع رأسه وقال : يا ابن خفيف ، نحن أصحاب المصائب ، ولم يزدنى على ذلك ، فبقيت عندهما ثلاثة أيام لا آكل ولا أشرب ولا أنام لأنى رأيتهما على ذلك ، فلما كان اليوم الرابع قلت فى سرى لأحلفنهما حتى يعظاني ، لعلى أنتفع بموعظتهما ، قال : فرفع الشاب رأسه وقال : يا ابن خفيف عليك بصحبة من يذكرك الله رؤيته ويعظك بلسان فعله ، لا بلسان قوله ، والسلام عليك ، انصرف عنا فقد شغلتنا .

شعر

تَشَاغَلَ قَوْمٌ بِدَنِيَاهُمْ وَقَدْ تَخَلَّوْا لِأُخْرَاهُمْ
أَحْبَوْا الْفِرَارَ وَصَامُوا النَّهَارَ وَبِاللَّيْلِ صَلَّوْا لِمَوْلَاهُمْ
فَحَلَّ السَّقَامَ بِأَبْدَانِهِمْ فَعَادَ الطَّبِيبُ وَدَاوَاهُمْ
وَأَرْضَاهُمْ بِالرِّضَا عَنْهُمْ وَعَنْ سَائِرِ النَّاسِ أَغْنَاهُمْ

حكاية امرأة من الأولياء

قال بعض العارفين :- كنت فى البادية مع القافلة فتقدمت فرأيت امرأة تمشى وبها ضعف ، فأدركتنى علمها رقة ، وكانت معى دراهم فوضعت يدى فى جيبى فأخرجتها ، وقلت لها : خذى هذه الدراهم وارجمى معى إلى القافلة أجمع لك شيئا ، وإذا فى يدها دراهم فناولتنى إياها وقالت لى : أنت أخذت من الجيب وأنا أخذت من الغيب ، اردد دراهمك عليك فمن كان هذا حاله فليس بمحتاج إليك .

حكاية شاب وفقه الله

وقال أبو عبد الله الواعظ :- خرجت سنة أريد الحج فبينما نحن فى الطريق وإذا بشاب مصفر اللون ، نحيف الجسم ، فأدركتنى عليه رقة وشفقه لما رأيت من

حاله ، ثم فكرت في شيء أتحفه به فأخذت شيئاً من خشكنا (٣٢٣) ، وقلت له :
يا ولدى خذ هذا تتقوت به في هذه الأرض المقفرة ، فنظر إليّ وقال : أمثل هذا
تتحف ؟! يا عبدالله ، هذا شيء جئت به معك من مصر ، وإنما تتحف الناس بمثل
هذا ، وأخرج من مرقعته ورداً مضعفاً كما جرى فنثره على وغاب عني فلم أراه .
فرغ (٣٢٤) القوم قلوبهم من الشواغل ، فضربت فيها سرادقات المحبوب
فشغلوا به عن كل مطلوب ، متى يطرق (٣٢٥) قبل الطوارق ، هذا ذئب السقام
قد عوى بالعوايق ، يا من أعماله فيما حكى (٣٢٦) الخلائق ، كم داواك الطبيب
وكم رقا بالرقائق .

شعر

صحا (٣٢٧) كلُ نشوان (٣٢٨) الغرام من الهوى
وأنت على حكم الصبابة نازل
ولُ الدنيا ظهرك ، تسفر لك الآخرة نقابها ، تعر عن الدنيا تعز ،
خذ قدر البلغة وجُز (٣٣٠) تفز .

(٣٢٣) خشكنا : خبزة تصنع من خالص دقيق الحنطة وتملأ بالسكر واللوز
أو الفستق وتقلي (فارسية) [المعجم الوسيط (٢٣٦/١)] .
(٣٢٤) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٢٢٢ ، ١٩٥) من قوله (فرغ القوم
قلوبهم ... إلى قوله (وكم رقا بالرقائق) .
(٣٢٥) هنا سقط ورد في المدحش (طريقهم) .
(٣٢٦) كذا بالأصل ووردت بالمدحش (خلا) .
(٣٢٧) ورد البيت بالمدحش (ص ١٩٥) .
(٣٢٨) كذا بالأصل وبالمدحش (عذرى) .
(٣٢٩) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ١٩٥) من قوله (ول الدنيا ظهرك ...
إلى قوله (وجُز تفز) .
(٣٣٠) جز : بمعنى اقنع واكتفى [الوسيط (١٢٠/١)] .

زيارة الجنيد (٣٣١) لشقيق البلخي

قال الجنيد رضي الله عنه :- شهد بفضل شقيق البلخي سبعون عالماً فقلت لأصحابي : سيروا بنا في غداة غد إن شاء الله تعالى إلى زيارة شقيق ، وكان بيننا وبينه مسافة بعيدة ، قال : فسرنا إلى أن أتينا البلد التي هو فيها آخر النهار ، ومن أدب الصوفية كراهية الدخول على أحد بعد العصر ، فأتينا إلى مسجد مهجور فصلينا فيه المغرب ، وأكلنا كسراً يابسة كانت معنا ، وقمت إلى ما كتب الله لي ثم غفوت ، وإذا بهاتف يهتف بي وفي يده لوح مكتوب فناولنيه وقال : يا أبا القاسم اقرأ هذا اللوح ، فقرأته فإذا هو فيه فلان سعيد ، وفلان شقي ، قوم أعرفهم وقوم لا أعرفهم فقال : يا أبا القاسم أدر اللوح ، فأدرته فإذا فيه شقيق البلخي من أهل الشقاء ، فبكيت بكاءً شديداً وقلت : أرجع إلى بلدي ولا أدخل على رجل من أهل الشقاء ، ثم أعلمت أصحابي بالقصة ، فقالوا : وما عليك من الدخول عليه فإن يكن كذلك فقد علم الله نيتك فيه ، وإن يكن سعيداً فقد فرنا بزيارته ، قال : فرجعت إلى قولهم ، فأتيته وقرعت عليه الباب ، فخرج إلى شيخ حسن الصورة له شبيبة يعلوها وقار وتشرق منها الأنوار ، فقال : يا أبا القاسم ، شكر الله سعيك وإني كنت أولى بالسعي إليك ، فقلت : من أين علمت أني أبو القاسم فقال : يا أخى إن لله عبادة إذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فقدوه وإذا نزل بهم ولى الله رأوه بعين البصرة فعرفوه .

قال الجنيد :- فوق عليّ البكاء فبكيت بكاءً شديداً لما رأيته في المنام فقال : يا أبا القاسم ما هذا البكاء أجزعا من المقدور ، فقلت : يا سيدى برح الخفا ، ثم قصصت عليه القصة إلى آخرها ، فقال : يا أبا القاسم إنما أنا عبد أمرني سيدى ونهاني ، فما أمرني به فعلته ، وما نهاني عنه تركته ، والأمر بعد ذلك إليه ،

(٣٣١) الجنيد : أبو القاسم الجنيد بن محمد الجنيد ، كان كلامه بالنصوص مربوطاً وبيانه بالأدلة مبسوطاً ، وهو صوفي من العلماء بالدين مولده ومنشأ ووفاته ببغداد وهو أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد ، اشتهر بضبط مذهبه بالكتاب والسنة (توفي : ٢٩٧ هـ) [الحلية (٢٥٥/١٠)] ، [الاعلام (١٤١/٢)] .

إن شاء أعتق ، وإن شاء أحرق فقلت له : مثلك جدير بأن يكون من خاص عباد الله عز وجل ، فلما صلينا المغرب قدم إلينا كسرا يابسة ، فأفطرنا عليها ثم قام إلى ورْدِه فغلبني النوم ، وإذا بهاتف يقول لي : يا أبا القاسم اقرأ هذا اللوح فقرأته فإذا فيه شقيق البلخي ، من أهل السعادة فصرخت صرخة عظيمة ، وهو قائم يصلي ، فلما سمع ذلك أوجز في صلاته ، وقال : يا أبا القاسم هل محامِش ما شاء وأثبت ما شاء قلت : يا سيدي قد كان ذلك ، فقال : يا أبا القاسم في غداة غدٍ أموت^(*) فإذا أنامت فاطلع إلى هذه الكوة التي فوق المحراب فإنك تجد فيها عبادة وحنوطا^(٣٣٢) وقطنا وقيراطا^(٣٣٣) ، فإذا كفتني ووضعتني في لحدي فضع القيراط في لحدي فإنه سيأتيك الخبر ، فجعلت أراقب الشيخ لأكون مشاهده عند الموت ، فغلبتني عيني فنمت ، فأدركتني جنابة ، فقلت لبعض أصحابي : اخرج معي حتى أتطهر فخرجت فطهرت فلما رجعت وجدت الشيخ في محرابه ساجدا فحركته فإذا هو ميت ، فصعدت الكوة وأخذت العبادة والحنوط والقيراط وغسلته وكفنته وصلينا عليه ، فلما أُلحْدُتْهُ وضعت القيراط في كفنه فوضع يده عليه ، ثم واريته ورجعت ، قال : فلما كان الليل كنت أسمع لمحرابه أنينا ، فلما نمت رأيته راكبا على نجيب^(٣٣٤) ومعه جماعة ، فقلت : يا سيدي ما فعل الله بك ، فقال : يا أبا القاسم أوقفني بين يديه وقال لي : يا شقيق ما فعلت فيما وجدت فقلت : إلهي وسيدي أنت تعلم أني لم أجِد من الدنيا إلا البلاغ ولم أملك منها إلا هذا القيراط وجدته بمنى ، وقد عرفته سنة ، فلم أجِد له طالبا وقد جئت بك به ، فقال : يا شقيق ضعه من يدك وادخل الجنة^(**) .

(*) هذا يتعارض مع قوله تعالى ﴿ وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت ﴾ فالأجل غيب لا يعلمه إلا الله .

(٣٣٢) حنوط : كل ما يخلط من الطيب لأكفان الموتي ، وأكفانهم خاصة من مسك وذريرة وصندل وعنبر وكافور وغير ذلك . [اللسان (٧/٢٧٨ - حنط)] ط. دار صادر .

(٣٣٣) قيراط : جزء من أجزاء الدينار وهو نصف عُشره في أكثر البلاد وأهل الشام يجعلونه جزءاً من أربعة وعشرين . [اللسان (٧/٣٧٥)] ط. دار صادر .

(٣٣٤) نجيب : الفاضل من كل حيوان . [اللسان (١/٧٤٨ - نجيب)] ط. دار

صادر .

(**) هذه القصة فيها من خرافات الصوفية ما يتعارض مع الشرع .

شعر

(٣٣٥)

وصلوا إلى مولاہم وبقينا وتنعّموا بوصالہ وشقينا
ذهبت شبيبنا وضاع زماننا ودنت منيتنا فمن ينجينا
فتجمعوا أهل القطيعة والجفا نبكى شهورا قد مضت وسينا

الفصل التاسع

[إلى كم تغتر بسلامتك]

(٣٣٦)

يا معدوما بالأمس فانيا في الغد عاجزاً في الحال ، إلى كم تغتر بسلامتك
وتنسى حتفك^(٣٣٧) ؟ وأملك بين يديك وأجلك خلك ، وكتابك قد حوى
تفريطك وخلفك^(٣٣٨) ، كم نهيت عن أمر فما كفك النهي أن تبسط كفك ،
يا من طال زلله وتعثيره^(٣٣٩) ، تفكر في عُمرٍ قد مضى كثيره ، يا قلباً مسيئاً قد قل
نظيره ، كم هذا الهوى وقد^(٣٤٠) هوى أسيره .

(٣٣٥) وردت هذه الأبيات في المدهش ٣٩٥ .

(٣٣٦) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣١٥) من قوله (يا معدوماً بالأمس .

إلى قوله (وقد هوى أسيره) .

(٣٣٧) حتفك : موتك وهلاكك . [اللسان (٣٨/٩ - حتف)] ط. دار صادر .

(٣٣٨) ليت هذه اللفظة بالمدهش .

(٣٣٩) تعثيره : أخطائه وزلاته [الوسيط (٥٨٤/٢)] .

(٣٤٠) كذا بالأصل وبالمدهش (ولكم) .

رجل ندم على كثرة ذنوبه

يحكى عن توبة الصمة^(٣٤١) ، وكان بالرقعة^(٣٤٢) إنه جلس ذات يوم يحاسب نفسه ، فحسب عمره فوجده ستين سنة وحسب أيامها فإذا هي إحدى وعشرون ألف يوم وستمائة^(٣٤٣) يوم ، فصرخ وقال : ياويلتى ألقى الله بإحدى وعشرين ألف ذنب وستمائة^(٣٤٤) ألف ذنب على أن فى كل يوم ذنب واحد فكيف ، وفى كل يوم عشرة آلاف ذنب ، ثم خر مغشياً عليه فحركوه ، فإذا هو ميت ، فسمعوا قائلاً يقول : يا لها من وثبة إلى الفردوس .

اسمع^(٣٤٥) أيها القاعد عن أعلى المعالي ، سبق الأبطال والبطل مايبالى ستعرف خبرك يوم عتلى وسؤالى ، وتقول يوم الحساب مالى ومالى ، أعمالك إن تصفحها^(٣٤٦) لهواك لآلى ، لو أترك^(٣٤٧) فيك وعظى ومقالى ، تجرى^(٣٤٨) الحشرات على حر المعالى^(٣٤٩) .

(٣٤١) توبة الصمة : توبة بن الصمة كان بالرقعة وكان محاسباً لنفسه مات وعمره (٦٠ سنة) وهذه الحكاية وردت فى صفة الصفوة أيضاً . من قوله (يحكى عن توبة ... إلى قوله (يا لها من وثبة) . [صفة الصفوة (٤/١٩٦)] .

(٣٤٢) الرقة : مدينة مشهورة على الفرات ، بينها وبين خراسان ثلاثة أيام . [معجم البلدان (٣/٥٩)] .

(٣٤٣) كذا بالأصل ووردت فى صفة الصفوة (خمسمائة) .

(٣٤٤) العبارة الآتية ليست فى صفة الصفوة (وستمائة ألف ذنب على أن فى كل يوم ذنب واحد) . [صفة الصفوة (٤/١٩٧)] .

(٣٤٥) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٣١٥) . من قوله (اسمع أيها القاعد ... إلى قوله (تجرى الحشرات على حر المعالى) .

(٣٤٦) كذا بالأصل وبالمدحش (تصفحت) .

(٣٤٧) كذا بالأصل وبالمدحش (أثر) .

(٣٤٨) كذا بالأصل وبالمدحش ، (لكنت لحر) .

(٣٤٩) كذا بالأصل وبالمدحش (المقالى) .

شعر

(٣٥٠)

إلى أى حين أنت فى زى مجرم وحتى متى فى شقوةٍ والى كم
وإلا تمت تحت السيوف مكرما تمت وتلاقى الذل غير مكرم
وثب واثقا بالله وثبة ماجد ترى الموت فى الهيجاء جنى النحل فى البقم
قال وهب بن منبه (٣٥١) :- قال الخواريون لعيسى بن مريم عليه السلام :
يا روح الله ، من هم أولياء الله ، الذين لاخوف عليهم ولا هم يحزنون فقال عليه
السلام : هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها ، فأصابوا
منها ما يقوتهم يوما بيوم ، وتركوا ما وراء ذلك فما عرض لهم من زللها
رفضوه ، وما ارتفع منها لغير الله وضعوه ، خلقت الدنيا عندهم فلم يجدوها ،
وخربت فى صدورهم فلم يعمروها ، فهم يهد مونها ويبنون آخرتهم ، ويبيعونها ،
ويشترون ما يبقى لهم ، حال غريب وعندهم الخبر العجيب ، بهم قام الكتاب وبه
قاموا ، وبهم نطق وبه نطقوا ليسوا يرون نائلا دون ما ينهجون ، ولا أمانا دون
ما يرجون ، ولا خوفا دون ما يجدون ، أولئك الذين لا خوف عليهم ولا هم
يحزنون فيا من حجبته الهوى عنهم ، وأبعدته الخطايا منهم ، اطلب فى الأخبار
أخبارهم ، واتبع فى الآثار آثارهم ، فإن وقعت ببعضهم حيلك إلى أرضهم .

(٣٥٠) وردت هذه الأبيات بالمدحش (ص ٣١٥) .

(٣٥١) وهب بن منبه الأبنائى الصفائى الذمارى ، أبو عبد الله : مؤرخ ، كثير
الإخبار عن الكتب القديمة ، عالم بأساطير الأولين ولاسيما الإسرائيليات يعد من التابعين :
أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن ولد ومات بصنعاء (٣٤هـ -
١١٤هـ) .

[الأعلام (١٢٥/٨)]

حكاية حرامى مع مالك

ذكر فى بعض الأخبار : أن لصا تسور على مالك بن دينار^(٣٥٢) داره فلم يجد فى الدار شيئا يسرقه ، فرآه وهو قائم يصلى فأوجز مالك فى صلاته ثم التفت إلى اللص وسلم عليه وقال : يا أخى تاب الله عليك ، دخلت منزلى ، فلم تجد متأخذه ولا أدعك تخرج إلا بفائدة ، وقام وأناة بإناء فيه ماء وقال له : توضأ وصل ركعتين فإنك تخرج بخير مما جئت فى طلبه ، فقال له اللص : نعم وكرامة وقام وتوضأ وصلى ركعتين ، وقال : يا مالك أخف عليك أن أزيد ركعتين آخرتين قال : زد ما قدر الله لك ، فلم يزل اللص يصلى إلى الصبح فقال له مالك : انصرف راشدا فقال : يا سيدى أخف عليك أن أقيم عندك هذا اليوم فإنى قد نويت صيامه فقال له مالك : أقم ما شئت ، فأقام عنده أياما صائما قائما ، فلما أراد الانصراف قال اللص : يا مالك قد نويت التوبة فقال مالك : ذلك بيد الله عز وجل ، فتاب اللص وحسنت توبته ، وخرج من عنده فلقية بعض اللصوص فقال له : أظنك وقعت بكنز ، فقال : يا أخى وقعت بمالك بن دينار جئت لأسرقه فسرقتنى وقد تبت إلى الله عز وجل ، وها أنا ملازم الباب فلا أبرح حتى أنال ما ناله الأحباب .

توبة سكران

وقيل : مر إبراهيم بن أدهم^(٣٥٣) رضى الله تعالى عنه بسكران على قارعة الطريق فعدى إليه وقعد عند رأسه وجعل ينظر إليه ويكسى ، ويقول : ياليت شعرى بأى ذنب أصابتك هذه الفتنة ثم وضع رأسه فى حجره ومسح وجهه ثم دعا بماء فغسل وجهه وفمه ثم مضى وتركه فلما أفاق أخبر بذلك فخجل السكران

(٣٥٢) مالك بن دينار : البصرى أبو يحيى ، من رواة الحديث ، كان ورعاً ، يأكل من كسبه ، ويكتب المصاحف بالأجرة توفى فى البصرة (... - ١٣١هـ) [الاعلام (٢٦٠/٥)] .

(٣٥٣) إبراهيم بن أدهم : سبقت الترجمة له .

وندم وتاب إلى الله عز وجل وأتى إلى إبراهيم وعاهده أن لا يعود إلى المعصية أبداً ، فرأى إبراهيم في منامه كأن قائلاً تقول له : يا إبراهيم أنت طهرت فمه لأجلنا ونحن طهرنا قلبه لأجلك .

انظر (٣٥٤) يامعجبا بتعبده ، تأمل فضائل السابقين وقد قرت (٢٥٥) شقاشق كبرك ، مضى والله أهل المعاني وبقي أرباب الدعاوى .

شعر

(٣٥٦)

هاتيك ربوعهم وفيها كانوا بانوا عنها فليتهم ما بانوا ناديت وفي حشاشتي النيران يا قوم متى ترحل (١٥٧) السكران (٣٥٨)

اسمع (٣٥٩) يا من كثر تردده إلى المجلس ولم تزل قسوة قلبه ، لا تضجر فللزوم أثر ، جالس الباكين يتعد إليك حزنهم ، فتأثير الصحبة لا تخفى أما ترى دود البقل أخضر ؟ .

(٣٥٤) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٢٠٩) من قوله (انظر يا معجبا بتعبده ... إلى قوله (وبقي أرباب الدعاوى) .

(٣٥٥) كذا بالأصل وبالمدحش (هدرت) .

(٣٥٦) ورد هذان البيتان بالمدحش (ص ٢١٠) .

(٣٥٧) كذا بالأصل وبالمدحش (تحول) كلاهما صواب .

(٣٥٨) كذا بالأصل وبالمدحش (السكان) .

(٣٥٩) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ١٩٦) ، من قوله (اسمع يا من كثر

تردده ... إلى قوله (أما ترى دود البقل أخضر) .

حكاية رومي ذمي مع أبي يعقوب

قال أبو تراب (٢٦٠) : جاء صبي من الروم إليّ عند أستاذي أبي يعقوب السوسي (٣٦١) فأسلم وصحبه أياما يسيرة فقال له الأستاذ : أتجج قال : نعم ، فقال لي الأستاذ : خذ بيده وحج بيده فقلت : يا أستاذي لا يتيها لي أن أحج به إلا بنفقة فقال لي : خذ بيده وادخل البادية فقم من وقتي امثالا لأمر الشيخ وخوفا من مخالفته فأخذت بيده ودخلت به طريق الحج فكنا كلما نزلنا منزلة وجدنا ما نحتاج إليه مهيا ، فنأكل ونشرب فلم نزل كذلك إلى أن بلغنا مكة ، فلما رجعنا وبلغنا الرملة مرض الصبي فجلست عنده وقلت له : ما تشتهي قال : الرمان ، فصعدت الجبل واحتطبت منه حطباً وجئت به إلى السوق فبعته بدرهم ، واشتريت به رمانا وجئت به إليه وقلت له : كُلْ شهوتك ، فقال : ما آكله لأنه حرام فعزّ قوله في نفسي ، وقلت هذا قريب عهد بالإسلام من أين له ما ادّعا ، فسمعت صوتا من خلفي وهو يقول : لا تنكر على ولي الله ما ذكره ، هو صادق في قوله لأنك ابتعت الحطب من رجل يخدم الرجل ، وأنت لا تشعر ، يا هذا أما تعلم أنه من قرع بابه ولج (٣٦٢) ومن اطمأن به ابتهج ، ومن صفى سره صفت له العطايا ، ومن اشتغل به عن غيره توات عليه التحف والهدايا ، ما امثل أوامره عبد إلا أنا به ولا دعاه مضطر إلا أجابه .

(٣٦٠) أبو تراب : عسكر بن الحصين (أو ابن محمد بن الحسين) النخشي ، أبو تراب : شيخ عصره في الزهد والتصوف . اشتهر بكنيته حتى لا يكاد يعرف إلا بها وهو من أهل نخشب من بلاد ما وراء النهر ، وقف ٥٥ وقفه بعرفة ومات بالبادية قبل نهشته السباع (... - ٢٤٥ هـ) .

[الأعلام (٢٣٣/٤)]

(٣٦١) أبو يعقوب السوسي : ذكر اسمه في طبقات الصوفية للسلمي (ص/٣٧٨) .

[الوسيط (١٠٥٥/٢)]

(٣٦٢) ولج : دخل .

شكوى رجل مذنّب لرابعة العدوية (٣٦٣)

قال بعض المريدين : أتى رجل إلى رابعة العدوية فقال لها : إني أكثر من الذنوب والخطايا أفتراه إن تبت يقبلني ؟ فقالت : ويحك أما سمعته يدعو المذبرين عنه فكيف لا يقبل على المقبلين عليه .

شعر

إنّي خلوتُ بمُهْجَتِي فعتبتها يا لائمي من قبل لوم اللائمي
قالت فإنّي قدّ قدمتُ على الذي أسلفته من زلتى وجرائمى
أتراه يرحمنى ويقبل توبتى من لى سواه لزلتى من راحم

[عواصف الأقدار]

(٣٦٤)

هبت عواصف الأقدار في ببداء الأكوان ، فنقلت الوجود وعم الخير فلما ركبت الريح إذا أبوطالب غريق في لجة (٣٦٥) الهلاك ، وسلمان على ساحل السلامة ، قضيت في القدم سلامة سلمان ، فأقبل يناظر أباه في دين قد أباه ، فلم

(٣٦٣) رابعة العدوية : رابعة بنت إسماعيل العدوية ، أم الخير ، مولاة آل عتيك ، البصرية ، صالحة مشهورة ، مولدها بالبصرة ، لها أخبار في العبادة والنسك ولها شعر وفاتها سنة ١٣٥ هـ . [الأعلام (١٠/٣)] .

(٣٦٤) وردت هذه الموعظة بالمدحش (٢١٣) مع بعض الاختصار ، وقد أكمل المدحش بقية قصة سلمان .

من قوله (هبت عواصف الأقدار ... إلى قوله (وخلي الوطن خلاء يزعجه) .
(٣٦٥) لجة : الماء الكثير لا يرى طرفاه ، وهي معظم البحر وتردد أمواجه [الوسيط (٨١٦/٢)] .

يكن لأبيه (٣٦٦) جواب إلا القيد فنزل به ضيف ﴿ ولنبلونكم ﴾ (٣٦٧) ، فنال بإكرامه منزلة « سلمان منا أهل البيت » ، سمع راكبا (٣٦٨) على نية السفر ، فسرق نفسه من حرز أبيه ولا قطع ، فوقف نفسه على خدمة الأدلاء وقوف الأدلاء ، فلما أحس الرهبان بانقراض دولتهم ، سلموا له أعلام الأعلام على علامات نبينا - عليه أفضل صلاة وأزكى سلامة - وقالوا : إن زمنه قد أظلم ، فاحذر أن تضل ، وإنه يخرج بأرض العرب ، ثم يهاجر إلى أرض بين حرتين ، فلو رأيتموه قد فلى الفلا ، والدليل شوقه وخلي الوطن خلاء يزعجه شوقه .

شعر

[الشبلى] (٣٦٩)

إن يتا أنت ساكنه غير محتاج إلى السرج
ومريضاً أنت عائده قد أتاه الله بالفرج
وجهك المأمول حجتنا يوم تأتى الناس بالحجج

الفصل العاشر

[يا من أخذ الهوى بأزمته]

يا من (٣٧٠) قد أخذ الهوى بأزمته ، وأمسك الردى بلمته ، يا رهين ذنوب تعلقت في ذمته ، هذا أوان جدك إن كنت مجدا ، هذا أوان استعدادك إن كنت مستعدا .

(٣٦٦) (يكن لأبيه) كذا في الأصل وورد في المدهش (يعرف أبوه) وكلاهما صواب .

(٣٦٧) سورة البقرة - الآية : ١٥٥ .

(٣٦٨) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (أن ركبا) وكلاهما صواب .

(٣٦٩) نسب صاحب المدهش هذه الأبيات (للشبلى) [المدهش (ص ٢١٥)] .

(٣٧٠) وردت هذه الموعظة (ص ٢٩٥) من قوله (يا من أخذ الهوى بأزمته ... إلى

قوله (إن كنت مستعداً) .

شعر

(٣٧١)

إذا لآح مِنْ دُنْيَاكَ خَيْرٌ ففَزْ بِهِ فَإِنَّ لُجْمَعَ الدَّهْرِ مِنْ صَرْفِهِ شَتَا
فَكَمْ مِنْ مُصَيِّفٍ لَمْ يَشْتِ^(٣٧٢) بِأَهْلِهِ وَأَخْرَ لَمْ يَدْرُكْهُ صَيْفٌ إِذَا شَتَا
فِيَا^(٣٧٣) مَنْ يَذْنِبُ وَلَا يَتُوبُ ، كَمْ قَدْ كَتَبْتَ عَلَيْكَ ذُنُوبَ ، حَكِي^(٣٧٤)
الْأَمَلَ الْكَذُوبَ ، فَرَبْ شُرُوقَ بَلَا غُرُوبَ ، مَتَى تَنْتَبِهْ لِحُلَاصِكَ ؟! أَيُّهَا النَّاعِسُ
مَتَى تَطْلُبُ الْآخِرَةَ يَا مَنْ عَلَى الدُّنْيَا يَنَافِسُ ؟ مَتَى تَذْكُرُ وَحْدَتَكَ إِذَا انْفَرَدْتَ مِنْ
مُؤَانِسٍ ؟! يَا مَنْ قَسَى قَلْبَهُ وَجَفَنَتْ نَاعِسُ ، يَا مَنْ تَحَدَّثَ الْآمَالَ ، دَعِ عَنْكَ هَذِهِ
الْوَسَاوِسَ أَيْنَ مِنْ اعْتَادَ الْقُصُورَ ، حَبَسَ فِي الْقُبُورِ فِي أَضْيَاقِ الْحَابِسِ ، أَيْنَ
الرَّافِلُ^(٣٧٥) فِي أَثْوَابِهِ ، عَرَى فِي تَرَابِهِ عَنِ الْمَلَابِسِ ، أَيْنَ الْغَافِلُ بِأَمَلِهِ عَنْ أَجَلِهِ ؟
اسْتَسْلِبْتَهُ^(٣٧٦) كَفِ الْخَالِسِ .

شعر

اضْجَعُوا بِمَهْلَكَةٍ فِي وَسْطِ مَعْرَكَةٍ قَرَعَا وَدَارَهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ دَرَسُوا
وَعَمَهُمْ حَدَثٌ وَضَمَّهُمْ جَدَثٌ بَاتُوا وَهُمْ جَثَثٌ فِي الرَّمْسِ^(٣٧٧) قَدْ حَبَسُوا
كَأَنَّهُمْ قَطُّ مَا كَانُوا وَمَا خَلَقُوا وَمَاتَ ذِكْرُهُمْ بَيْنَ الْوَرَى وَنَسُوا

- (٣٧١) ورد هذان البيتان بالمدهش (ص ١٥١) .
(٣٧٢) (مصيف لم يشت) كذا بالأصل أما بالمدهش فقد وردت (مشت لم يصيف) وكلاهما صواب .
(٣٧٣) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٢٢٠) من قوله (فيا من يذنب ولا يتوب ... إلى قوله) استسلبته كف الخالس) .
(٣٧٤) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (خل) .
(٣٧٥) الرافل : المتبخر كبراً . [اللسان (١١/٢٩٢ - رفل) ط. دار صادر .
(٣٧٦) كذا بالأصل ووردت بالمدهش سلبه .
(٣٧٧) الرمس : القبر [اللسان (٦/١٠١ - رمس) ط. دار صادر .

ولله (٣٧٨) درُّ العارفين بزمانهم ، إذا باعوا ماشانهم بإصلاح شأنهم ، ماأقل ماتعبوا ، وماأيسر مانصبوا ، وما زالوا حتى نالوا ما طلبوا ، شمروا عن سوق الجدد في سوق العزائم ، وأصبحوا منزل النجاة وأنت باللهو نائم ، متى تسلك طريقهم يا ذا المآثم ؟ يا إخوان الأمل بقى القليل وتفنى المواسم .

شعر

(٣٧٩)

وما هي إلا ليلة . بعد ليلة (٣٨٠) ويوم إلى يوم وشهر إلى شهر .
مطايا يقربن الجديد إلى البلا ويدنين أشلاء الصحيح إلى القبر .
(٣٨١)

فتيقظ يا هذا لنفسك ، وانتبه وأحضر قلبك (٣٨٢) ، وميز ما يشتهه فهذا منزلك اليوم ؟ وغدا لست به .

شعر (٣٨٣)

إذا ما انجلي الرأي فاحكم به ولا تحكمن بما يشتهه
ونبّه فؤادك من نوميه فإنّ الموفق من ينتبه
وإن كنت لم تنتبه (٣٨٤) بالذى وعظت به فانتبه [أنت] (٣٨٥) به

(٣٧٨) وردت هذه الموعظة بالمدّش (ص ١٧٠) من قوله (لله در العارفين بزمانهم ... إلى قوله (بقى القليل وتفنى المواسم) .

(٣٧٩) ورد هذان البيتان بالمدّش (ص ١٩٨) .

(٣٨٠) كذا بالأصل وبالمدّش (ثم يومها) والصواب ما ورد بالأصل .

(٣٨١) وردت هذه الموعظة بالمدّش (ص ٢٤٨) . من قوله (فتيقظ يا هذا

لنفسك ... إلى قوله (وغداً لست به) .

(٣٨٢) كذا بالأصل وبالمدّش (عقلك) .

(٣٨٣) وردت هذه الأبيات بالمدّش (ص ٢٤٨) .

(٣٨٤) كذا بالأصل وبالمدّش (انتبه) والصواب ما ورد بالأصل .

(٣٨٥) ما بين المعكوفتين سقط استدركناه من المدّش .

[استعداد للآخرة]

أين (*) أنت من أقوام نصبروا الآخرة بين أعينهم فنصبوا فوفر النصب نصيبهم ﴿إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار﴾ عرف القوم ما طلبوا فجدوا ورغبوا ، لم يرضوا لأنفسهم مارضينا ، ولا اختاروا لها بنا طلبوا أعلى المقامات ، وسارعوا إلى أرفع الدرجات ، أمروا فاثتمروا ونهوا فانتهوا فوقع لهم بالولاية فأمروا ونهوا .

حكاية ابن أدهم مع ذمى

قال بعض الصالحين : كنت مع إبراهيم بن أدهم في بعض أسفاره فدخلنا الكوفة فأوينا إلى مسجد خراب ، قال : فوجدت ألم الجوع فقلت : يا سيدى أنا جائع ، فقال: اثنى بدواة وقرطاس ، فأتيته بهما فكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، أنت المقصود في كل معنى ، والمشار إليه بكل معنى .

شعر

أنا حامدٌ أنا شاكِرٌ أنا ذاكرٌ أنا جائعٌ أنا بائسٌ أنا عارى
هى سته وأنا الكفيل بنصفها فكن الكفيل بنصفها يا بارى
مدحى لغيرك لهب نار خفضه فأجرٌ عبيدك من عذاب النار

قال : ثم دفع إلى الرقعة وقال : ادفعها لأول رجل تجده قال : فصادفت شابا حسن الوجه نظيف الثياب يسير على بغلة فرفعت إليه الرقعة فلما قرأها بكى وقال : أين صاحب هذه الرقعة قلت : هو فى المسجد الفلانى ، فناولنى صرة فيها ستمائة دينار وقال : احملها إليه فسألت عنه ، فقيل : هو نصرانى ، فتعجبت من ذلك وحملت الصرة إلى إبراهيم وأخبرته بالقصة ، فقال : ضعها فإن صاحبها يأتى فى هذه الساعة قال : فلم نلبث إلا ساعة وإذا به قد أقبل وقبل رأس الشيخ وقال :

(*) وردت هذه الموعظة بالمدمش (ص ١٥٦) من قوله (اين أنت من اقوام نصبوا ... إلى قوله (الدار) .

نعم ما أرشدتني إليه ، ثم قال : ياسيدي اعرض على الإسلام فعرض عليه فأسلم وحسن إسلامه .

حكاية عبدالواحد

وقال محمد بن إسماعيل الفرغاني : - كنت مع عبدالواحد بن واقد وإذا بقبطية معها حمار قد سخرها جندي فلما كان في بعض الطريق راودها عن نفسها ، فزجره الشيخ عبدالواحد عن ذلك وقال : دعها فأبى ولح عليها فغضب عبدالواحد لذلك غضبا شديدا وأنكر عليه إنكاراً بليغا فغضب الجندي وقال لغلمانه : خذوه ، فقال عبدالواحد : يأرض خذيه فأخذته الأرض ومضت المرأة إلى حال سبيلها ومضينا وتركناه فلما رأيت ذلك منه قلت لا أصحبك بعدها ، قال : ولم ذلك قلت : لا آمنك إن زلت زلة أن تفعل بي مثل هذا ثم انصرفت عنه .

حكاية (٢٠٨)

قال جعفر (٣٨٦) بن محمد : اعتل (٣٨٧) بشر بن الحارث (٣٨٨) فعادته آمنة الرملية (٣٨٩) فبينما هي عنده إذ دخل الإمام أحمد بن حنبل للعبادة فقال : من هذه فقيل إنها آمنة الرملية جاءت للعبادة ، فقال الإمام للشيخ : اسألها لنا الدعاء ، فأعلمها الشيخ بذلك ، فقالت : اللهم إن بشرا وأحمد يستجيران بك من النار فأجرهما ، فانصرف الإمام أحمد فلما كان الليل سقطت عليه رقعة فيها

(٣٨٦) جعفر بن محمد : صاحب بشر الحافي [صفة الصفوة (٣٠٥/٤)] .
(٣٨٧) وردت هذه الحكاية في صفة الصفوة (٣٠٥/٤) ، من قوله (قال جعفر بن محمد اعتل بشر ... إلى قوله (قد فعلنا ولدينا مزيد) .
(٣٨٨) بشر بن الحارث ابن علي بن عبدالرحمن المروزي أبونصر ، المعروف بالحافي ، من كبار الصالحين له في الزهد والورع أخبار وهو من ثقات رجال الحديث من أهل مرو سكن بغداد وتوفي بها (١٥٠هـ - ٢٢٧هـ) [الأعلام (٥٤/٢)] .
(٣٨٩) آمنة الرملية : عابدة من الرملة بفلسطين . [صفة الصفوة (٣٠٥/٤)] .

مكتوب^(٣٩٠) ، بسم الله الرحمن الرحيم « قد فعلنا ولدينا مزيد » ، كم تدرس أخبارهم وما تدرس ، إن طواهم الضنا فلقد بشرهم ، إن نطقوا فذكره ، وإن تحركوا فبأمره ، وإن فرحوا فلقربه ، وإن ترحوا^(٣٩١) فلعتبه ، أقواتهم ذكر الحبيب ، وأوقاتهم بالمناجات تطيب ، لا يصبرون عنه لحظة ، ولا يتكلمون في غير رضاه بلفظة : لو سمعتم في الرجاء يعجبون ، لو رأيتم في السحر يضحكون .

شعر

ولما وقفتا بالديار وقد غدت برياء سعاد وهى طيبة العرف
بكينا فمن دمع يمازج دمه هناك ومن دمع تجود به صرف
يا هذا : لو رأيت مطايا أجسامهم وقد أذابها الثرى ، فهى تحن مما تجن
فالناس فى الغفلات ، وهم فى قطع الفلوات ﴿ تلك أمة قد خلت ﴾^(٣٩٢)

شعر

رفقا^(٣٩٣) بها يا أيها الزاجر قد لاح سلم^(٣٩٤) وبدا^(٣٩٥) حاجر
فخلها تخلع أرسانها^(٣٩٦) على الربا لا راعها ذاعر
واذكر أحاديث ليالى منى لا عدم المذكور والذاكر

(٣٩٠) (فيها مكتوب) كذا بالأصل وبصفة الصفوة (مكتوب فيها) [صفة الصفوة (٣٠٦/٤)] .

(٣٩١) ترحوا : أى حزنوا ، فالترح نقيض الفرح . [اللسان (٤١٧/٢) - ترح] ط. دار صادر .

(٣٩٢) سورة البقرة - الآية : ١٣٤ .

(٣٩٣) وردت هذه الأبيات بالمدحش (ص ٣٥٢) .

(٣٩٤) كذا بالأصل وبالمدحش (سلع) .

(٣٩٥) كذا بالأصل وبالمدحش (دنا) .

(٣٩٦) أرسانها : الإرسان : الحبل أو اللجام تشد به الدابة . [اللسان (١٨٠/١٣) -

رسن] ط. دار صادر .

طالت عليهم بادية الرياضة ، ثم بدت بعدها الرياض ، فاستوطنوا فردوس
الأنس في قلة طور الطلب .

شعر

[ابن المعلم] (٣٩٧)

تقوى (٣٩٨) الحما ومغانيه مغانيه فاحبس وعانى بليلى ما تعانيه
ما فى الصحاب أخو وجد يطارحه حديث وجد ولا صبّ يجاريه
وربّ مستخير عمن بُليتْ به فقلتُ والدمعُ يجرى من أماقيه (٣٩٩)
يوهى قوى جلدى من لا أبوح به ويستبيح دمي من لا أسميه
قلبتهم (٤٠٠) الزهد فى قفراء الفقر ، على أكف الصبر ، وقطع أوداج أغراضهم
بسكين المسكنة ، والبلاء ينادى أتصبرون ؟ والعزم يجيب لا صبر سقاهم
رحيق القرب ، فأورثهم حريق الحب فغابوا بالسكر عن رؤية النفس ، فعربدوا
على رسم الجسم ، وهاموا فى فلوات الوجد ، فهم يستأنسون بالحمام والوحشى .

شعر

لى (٤٠١) بذات البان (٤٠٢) أشجان حبذا من أجلها البان
حبذا روق (٤٠٣) الحمام إذا رنحتها منـــــــــه أغصان

(٣٩٧) نسب صاحب المدهش هذه الأبيات (لابن المعلم) [المدهش ص ٢٥١] .

(٣٩٨) كذا بالأصل وبالمدهش (هو) .

(٣٩٩) ورد هذا البيت فى المدهش هكذا :

إليك عن كل قلب فى أماكنه ساه وعن كل دمع فى مآقيه

(٤٠٠) كذا بالأصل ولعلها قبلتهم .

(٤٠١) وردت هذه الأبيات فى المدهش (ص ٣٢٠) .

(٤٠٢) البان : شجر سبط القوام ، لين ، يشبه به الحسان فى اللين والطول .

[اللسان (٧٠/١٣ - بين) ط. دار صادر .

(٤٠٣) كذا بالأصل وبالمدهش (ورق) والصواب ما ورد بالمدهش .

أعجيبات إذا نطقت ليس إلا الشوق تبيان
يا حمام البان يجمعنا وجدنا إذ نحن جيران
يحن بالشكوى إلى فما بين أهل الحب كتمان
يتشاكى الواجدون جوى واحداً والوجد ألوان
اسمع يا أخى : ما أقل ماتعبوا ، وما أيسر مانصبوا ، وما زالوا حتى نالوا
ما طلبوا ، فما هم فى رياض أنس محبوبهم يرتعون ، ومنشدهم ينشد بلسان حالهم
لو تسمعون .

شعر

ظفرنا بمن نهواه والدهر غلاب ومرت لنا فى ساعة الوصل آراب
صبرنا على نار الغرام ففتحت لنا من جنان الخلد بالوصل أبواب
فيا بعيدا عنهم ، متى تدنوا منهم ، وأين الثريا^(٤٠٤) من يد المتناول ،
يا زمن^(٤٠٥) الهمة ، يا مقعد العزيمة ، يا عليل الفهم ، يا بعيد الذهن .

[رياح الزفرات]

يا أخى^(٤٠٦) :- عصفت رياح الزفرات من قلب المشوق ، فأججت
نار الأسف على فراق المعشوق ، فلو رأيت كيف شئونهم على اختلاف
شجونهم ، لرأيت أمرا مهولا ، ولرأيت دمعا همولا ، هذا يعاتب نفسه على
التقصير وهذا يتفكر فى أهوال المصير ، وهذا يخاف من ناقد بصير ، منازل

(٤٠٤) الثريا : نجم بعيد يضرب به المثل فى البعد . [اللسان (١٤/١١٢ - ثرا)]
ط. دار صادر .

(٤٠٥) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٢٦٣) من قوله يا زمن الهمة .. إلى قوله
(يا بعيد الزمن) .

(٤٠٦) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ١٦٥) من قوله (يا أخى عصفت رياح
الزفرات ... إلى قوله (أنا المقر على نفسى بالجنابة) .

تعبدهم مشاوحة ، وفي كل بيت لهم نائحة ، التائب يقول : أنا المقر على نفسي بالجنابة .

شعر

اعفُ (٤٠٧) عني وتَقَبَّلْ توبتي يا عياذى للمماتِ الزمن
لا تعاقبنى فقد عاقبنى ندم أقلق روحى فى البدن
لا تطير وسناً (٤٠٨) عن مقلتي أنت أهديت لها طيب الوسن
يا أخى (٤٠٩) : المعتذر يبكى على الفتور ، بكاء ثكلى بين القبور ، ويندب
زمان الوصال ، ويتأسف على تغير الحال .

شعر

قد كان (٤١١) مشرونا يصفو برؤيتكم فكدرته الأيام حين صفا
والخائف :- ينادى ليت شعرى ، ما الذى اسقطنى من عينك ، اقلت ﴿ هذا
فراق بينى وبينك ﴾ (٤١٢) .

-
- (٤٠٧) وردت هذه الأبيات فى المدهش (ص ١٦٥) .
(٤٠٨) وسناً : الوسن : النوم القليل - وهو أول النوم [اللسان (١٣/٤٤٩) -
وسن] ط. دار صادر .
(٤٠٩) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ١٦٥) من قوله (ياأخى المعتذر يبكى
على الفتور ... إلى قوله (ويأوى إلى الشجر وبغيته غمره) .
(٤١٠) كذا بالأصل وبالمدهش (المتعبد) .
(٤١١) ورد هذا البيت فى المدهش (ص ١٦٥) .
(٤١٢) سورة الكهف - الآية : ٧٨ .

شعر

لأى (٤١٣) علة ولأى حال حرمت (٤١٤) حبال وذك (٤١٥) من حبال
وعوضت البعاد من التدانى ومر الهجر من حلو الوصال
فإن أك قد جنيت عليك ذنبا ولم أشعر بقول أو فعال
فعاقبنى عليه بأى شىء أردت سوى الصدود فلا أبالى
وصريع المحبة يستغيث ويقول :

شعر (٤١٦)

تحمل أصحالى ولم يجدوا وجدى وللناس أشجان ولى شجن وحدى
أحبكم ما دمت حيا فإن أمت فياليت شعرى ما الذى يحبكم بعدى
وقتل الشوق : يتعلل (٤١٧) بما يرى ، ويتشبث بما يسمع ، يرتاح إلى
السحر (٤١٨) ومقصوده غيره ، ويأوى إلى الشجر وبغيته طيره .

-
- (٤١٣) وردت هذه الأبيات بالمدحش (ص ١٦٦) .
(٤١٤) كذا بالأصل وبالمدحش (صرمت) .
(٤١٥) كذا بالأصل وبالمدحش (وصلك) .
(٤١٦) ورد هذان البيتان فى المدحش (ص ١٦٦) .
(٤١٧) كذا بالأصل وبالمدحش. (يتعلق) .
(٤١٨) كذا بالأصل بالمدحش (السهر) .

شعر

[المهيّار] (٤١٩)

أيا بانه العور عطفاً سقيتنى وإن كنت أعنى وأكنى (٤٢٠) سواك
أحبك ماتعلمى (٥) ما تعلمين لو أنى أراه كما قد أراك
كفى الوجيد أنى إذا ما انشَرَحْتُ إلى اسمك عميت — بالأراك
إذا الصد أرضاك فهو الوصال فأنى فعلت فأت أهلا بذاك

الفصل الحادى عشر

[يا من طلب بالمعاش الشهوات]

يا من (٤٢١) : إذا أصبح طلب بالمعاش الشهوات ، وإذا أمسى تقلب على فراش
الغفلات ، أما رأيت أكفاً عن مطالها كَفْتُ ، أما شاهدت عرائس الأجساد إلى
الألحاد (٤٢٢) زُفْتُ ، أما عاينت سطور الأبدان فى كتب الأكفان قد أدرجت ولفت ،
أما أبصرت جثث الإخوان فى بقاع القاع صفت. بلى (٤٢٣) والله قد حمل بريد الإنذار
أخبارهم وأراك تصفح الآثار آثارهم .

(٤١٩) نسب صاحب المدهش هذه الأبيات (للمهيّار) وقال محققه انظر ديوان
شعره (٣٦٦/٢ - ٣٦٧) وهناك بعض الاختلافات عما هو مثبت هنا .

(٤٢٠) (أعنى وأكنى) كذا بالأصل وبالمدهش (أكنى وأعنى) .

(*) كذا بالأصل وبالمدهش (من أجل) وهو الأرجح والأليق. المدهش (ص ١٦٦) .

(٤٢١) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ١٥٦) من قوله (يا من إذا أصبح طلب
بالمعاش الشهوات إلى قوله (على فراش الغفلات) .

(٤٢٢) الألحاد : الدفن فى اللحد أى جانب القبر [الوسيط (٨١٧/٢)] .

(٤٢٣) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ١٥٥) ، من قوله بلى والله قد حمل ...
إلى قوله (وأراك تصفح الآثار آثارهم) .

شعر

(٤٢٤)

وحدثتك الليالى إن شيسمتها تفريق ما جمعتة فاسمع الخبرا
وكن على حذر منها فقد نصحت وانظر إليها تر الآيات والعبرا
فهل رأيت جديداً لم يعد خلقا وهل سمعت بصفو لم يعد كدرا
واعجب !! أعيدم العقل أم به خلل ، ووا أسفا فقد أدراك الفهم أم بالسمع
نقل ، أما يكفى من الزواجر كف الأحداث مبسوط الأمل ، أما يشفى من البيان
عيان الأعيان فى الأحداث خالين بالعمل ، أين من فاق قمم الشرف فعزل وولى ، أما ذاق
ألم المنصرف فترك وولى ، أين المسرور بشهوات أمسه - حزن ، أين المغرور بلذات نفسه
غبن .

حكاية جمجمة

يروى أن عيسى عليه السلام مرّ فى نفر من أصحابه بجمجمة نخرة هائلة
فقال له أصحابه : يا روح الله لو دعوت الله تعالى أن ينطق لنا هذه الجمجمة حتى
تخبرنا بما رآته من العجائب لرجونا أن ننتفع بذلك ، قال : فصلى عيسى عليه
السلام ركعتين ودعا الله تعالى فانطقها الله عز وجل فقالت الجمجمة : يا روح الله
سل عما تريد فقد أمرنى الله تعالى أن أخبرك بما سألت عنه ، فقال عيسى عليه
السلام : من كنت فى هذه الدنيا ؟ فقالت الجمجمة : يا روح الله كنت ملك
هذه الأرض ، عشت فيها ألف سنة وولدت ألف ولد وفتحت ألف مدينة وهزمت
ألف جيش وقتلت ألف ملك جبار ، ثم كان بعد ذلك كله الموت ، ولقد امتحنت
هذا الدهر فلم أر شيئا أنفع من الزهد فى الدنيا ، ولم أر هلاك كل أحد إلا فى
الحرص والطمع ، ولم أجذ العز إلا فى الرضا بما قسم الله عز وجل .

(٤٢٤) وردت هذه الأبيات بالمدحش (ص ١٥٥) .

شعر

(٤٢٥)

لا ترقدن لعينك السهر وانظر إلى ما تصنع العبر
انظر إلى عِبر مصرفة مادام ينظر^(٤٢٦) طرفك النظر
فإذا جهلت ولم تجد أحداً سل الزمان فعنده الخبر
يا من يؤمل أنت منتظر أملا يطول ولست تنتظر

[حكاية فتى متعبد]

قال سري^(٤٢٧) السقطي - رضى الله تعالى عنه - : كنت في بعض
سياحتي فمررت بمغارة فسمعت فيها أنينا يتبعه حنين ، فقربت من المغارة فإذا أنا
بفتى قد أنحلته أحزانه وأقلقته أشجانه وبكى عليه مكانه ، فقلت له : يا فتى فيم
النجاة ؟ قال : في آداء الفرائض ورد المظالم والإجابة إلى الله عز وجل فقلت له :
هل لك أن تعظني ؟ ، قال لى : عظ نفسك بنفسك ، وراقب الله في الخلوات
يكفر عنك السيئات ، ويباهى بك أهل السموات قلت له : زدنى ، قال : إن لله
عبادا خلقتهم لخدمته ، واصطفاهم لمحبه ومنح قلوبهم الإقبال عليه ، وسقاهم
بكأس الشوق إليه فطاشت من الفكر أحلامهم ، واصفرت من السهر ألوانهم ،
فأجفانهم من كثرة البكاء مقروحة ، وأكبادهم من شدة الظمأ مجروحة ، ثم قال :
انصرف عنى فقد شلغتنى .

(٤٢٥) وردت هذه الأبيات في المدهش (ص ١٩٥) .

(٤٢٦) كذا بالأصل وبالمدهش (يمكن) والصواب ما ورد في المدهش .

(٤٢٧) سري السقطي : سري بن المغلس السقطي ، أبو الحسن ، من كبار

المتصوفة . بغدادى المولد والوفاء وهو أول من تكلم في بغداد بلسان التوحيد والتصوف وكان
إمام البغداديين وشيخهم في وقته وهو خال الجنيد وأستاذه . (... - ٢٥٤هـ) [الأعلام
(٨٢/٣)] .

[التقوى]

أُنْفَ (٤٢٨) القومُ من مزاحمة الخلق في سوق الهوى ، وقوى كرب شوقهم فلم يَحْتَمِلُوا حرص الدنيا ، خرجوا إلى فضاء العز في صحراء التقوى وضربوا مخيم الجد في ساحة الهدى ، وتخبروا شواطئ أنهار الصدق ، فشرعوا فيها مشاريع البكاء ، وانفردوا بقلقهم فساعدهم ريم الفلا وترنمت بلابل بلابلهم في ظلام الدجا .

شعر

(٤٢٩)

لو رأيتَ المحبَّ في مأثم الندبِ (٤٣٠) وَقَدْ شَقَّ جَيْبَ ثَوْبِ الوصال
لعذرت الذى بلى بفراق ورحمت المحب في كل حال
لا تطمع (٤٣١) أن تخرج إلى قضاء قلبك حتى تتخلص من وثاق نفسك ،
كيف لا يفتقر إلى الرياضة (٤٣٢) من أول غذائه دم الطمث ؟ ابك على ظلام قلبك
يضىء ، إذا بكى السحاب الربا تبسمت .

يا هذا : أسمع بالكيمياء ، ولا رأيتك صحة قط ، وها أنا أدلك عليها
اجمع عقاير التوبة في بوتقة العزم ، وأوقد تحتها نار الأسف على ما سلف ، فإن
تصاعد منها نفس نادم ، صار نحاس نحوسك ذهب سعادتك ، أحسن منظوم في

(٤٢٨) وردت هذه الموعظة في المدهش (ص ١٧١) من قوله (أنف القوم من مزاحمة الخلق ... إلى قوله (فى ظلام الدجى) .

(٤٢٩) ورد هذان البيتان بالمدهش (ص ٣٠٦) .

(٤٣٠) كذا بالأصل وبالمدهش (الذل) .

(٤٣١) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٢٠٤) من قوله (لا تطمع ان تخرج ... إلى قوله (وكلما رأى الملائكة تصعد يحترق) .

(٤٣٢) هنا سقط أثبتناه من المدهش (لإزالة الكدر) .

سلك الاعتذار ، حرز الذل أحلى نطق يلج سمع القبول^(٢٣٣) الاستغفار ، اطرب
كلام يحرك قلب الرحمة التملق .

شعر

يا مَنْ يصدودهم لقلبي جرحوا وازدادَ لي الغرام لما نزحوا
ما جدت بهم وهم بهجرى سمحوا هذا المطروح كم ترى يطرحُ
المذنب يأوى إلى الذل كما يأوى الطفل إلى الأبوين ، بكى آدم على تفريطه
حتى جرت الأودية من دموعه كان كلما ذكر الجنة قلق وكلما رأى الملائكة
تصعد يحترق .

شعر

(٤٣٥)

والذى بالبعد والبين بلانى	ما تذكرت ^(٤٣٦) الحمى إلا شجانى
حبذا أهل الحمى من ساكن	ساقنى الشوق إليهم وبرانى
كلما رمت سلبوا عنهم	جذب الشوق إليهم بعنانى
أحسد الطير إذا طارت إلى	أرضهم أو أقلت للطيران
أتمنى أننى أصبحها	نحوهم لو أننى أعطى الأمانى
لا تزيدونى غراما بعدكم	حل لي من بعدك ما قد كفانى
ذهب العمر ولم أحظ بكم	وتقضى فى تمنىكم زمانى
يا خليلي احفظا عهدى الذى	كنّا قبل النوى عاهدتاني
واذكرانى مثل ذكرى لكما	فمن الإنصاف أن لا تنسيانى
واسألا من أنا أهواه على	أى جرم صد عنى وجفانى

(٤٣٣) هنا سقط أثبتناه من المدهش (القبول) .

(٤٣٤) ورد هذان البيتان فى المدهش (ص ٢٠٥) .

(٤٣٥) وردت هذه الأبيات فى المدهش (ص ٢٠٥) .

(٤٣٦) كذا بالأصل بالمدهش (ما جرى ذكر) .

حكاية ذى النون المصرى

حكى عن بعض الصالحين أنه قال : سمعت سالما خادماً ذى النون المصرى يقول : بينما أنا أسير مع ذى النون فى جبل لبنان إذ قال لى : قف مكانك حتى أعود إليك ، فغاب عني ثلاثة أيام وأنا آكل من نبات الأرض وأشرب من غدرانها ، ثم عاد بعد ثلاثة أيام وهو متغير الحال مُتَحِيرُ المجال ، فلما رآنى رجعتُ إليه نفسه ، فقلت : يا سيدى أين كنت ، قال : دخلت كهف من كهوف الجبل فرأيت رجلاً أشعث أغبر نحيفاً نحيلاً كأنما أخرج من حفرة ، وهو قائم يصلى ، فلما قضى صلاته سلمت عليه فرد علىَّ السلام ثم قام إلى صلاته ، فلم يزل راکعاً ساجداً حتى صلى العصر ثم أسند ظهره إلى حجر بإزاء المحراب وجعل يذكر الله تعالى فقلت له : يرحمك الله ادع الله لى بدعوة ، فقال : يا بنى آنسك^(٤٣٨) الله بقربه ، ثم سكت فقلت له : زدنى ، فقال : يا بنى من آنسه الله بقربه أعطاه أربع خصال ، هيبة من غير سلطان ، وعلماً من غير تعلم ، وغنا من غير مال ، وعزاً من غير أهل ولا عشيرة ، ثم شهق شهقة وسقط إلى الأرض مغشياً عليه فأقام بقية يومه وليلته ويومه الثانى إلى العصر وأنا أظن أنه قد مات ، فلما كان بعد صلاة العصر فتح عينيه وقال : إلهى من سنكر بحبك لا يفيق إلا بلقائك .

(٤٣٧) ذو النون المصرى : هو ثوبان بن إبراهيم الأخمى المصرى ، أبو الفياض أو أبو الفيز ، أحد الزهاد والعباد المشهورين ، من أهل مصر . نوبى الأصل من الموالى ، كان له فصاحة وحكمه وشعر وهو أول من تكلم بمصر فى « ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية » اتهمه المتوكل العباس بالزندقة فاستنحضره إليه فسمع كلامه ثم أخلعه إلى مصر (...) - (٢٤٥هـ) .

[الأعلام (١٢/١)] .

(٤٣٨) آنسك وهى بمعنى أزال وحشتك وعاملك بلطفه [الوسيط (٢٩/١)] .

شعر

ترى المحبين صرعى في ديارهم كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا
قوم إذا هجروا من بعدما وصلوا ماتوا وإن علا من يهواهم بعثوا
والله لو حلف العشاق أنهم موتى من الوجد يوم البين ما حنثوا

ثم قام وتوضأ وقال : يا بنى كم فاتنى من الصلوات ؟ فقلت : خمس ،
فقضى ما فاتته ، ثم قال : إن ذكر الحبيب هيج وجدى وشغل سرى وأزال عقلى ،
قلت له : يرحمك الله إني أريد الرجوع فأوصنى بوصية أنتفع بها فقال : أوصيك
بحب الله ولا ترد به بديلا ، فإن المحبين لله تيجان العباد وزين البلاد ، ثم صرخ
صرخة عظيمة ، فحركته فإذا هو ميت فما كان إلا يسيرا وإذا بجماعة من العباد
منحدرين من أعلا^(٥) الجبل ، فأتوا إليه وجهّزوه وصلوا عليه وانصرفوا .

شعر

ألفى الهوى حتى حلت لى حروفه ورب نعيم كان جالبه [قد] ^(**) شقى
ولى عبّرات تستهل صباية عليك إذا برق الغمام تملقا
وأذهل حتى أحسب الصد والنوى بمعتزل الذكرى وصالاً وملتقاً
فها أنا ذو حالين إما تنعمى فحى وإما سلوتى فلك البقا

[بادروا قبل العوائق]

إخوانى ^(٤٣٩) : بادروا قبل العوائق ، واستدركوا فما كل طالب لاحق
واشكروا نعمة من ستر عليكم ^(٤٤٠) الذنوب ، واعرفوا جوده حيث أعطاكم كل
مطلوب فما أعم جوده لجميع خلقه ، وما أكثر تقصيرهم فى حقه ، عم إحسانه

(*) كذا بالأصل والصواب (أعلى) .

(**) ما بين المعكوفتين سقط استدركناه ليستقيم المعنى .

(٤٣٩) وردت بالمدحش (ص ٤٠٢ ، ٤٠٤) .

(١٤٤٠) (ستر عليكم) كذا بالأصل وبالمدحش (ستركم من) .

الجاهل والعالم ، والمظلوم والظالم ، والمستيقظ والنائم ، فسبحانه ما أكثر المعرضين عنه ، وما أقل المعارضين للفضل منه ، فيأرواح الله^(٤٤١) القلوب أين طلاك ؟! ويا نور السموات والأرض أين أحبابك ؟! ، ويارب الأرباب أين عبادك ؟! ويا مسبب الأسباب أين قصائدك ؟! من ذا الذى عاملك بصدقه ، فلم يربح ، من ذا الذى جاءك بكرهه فلم يفرح ؟! أى صدر صدر عن بابك فلم يشرح ؟! ، أى عبد لاذ بجناحك فاشتبهى أن يريح ؟! ، يا معرضاً عنه إلى من أعرضت ، يا مشغولاً بغيره بمن تعوضت .

شعر

(٤٤٢)

مت على من غبت عنه أسفا لست عنه بمصيب خلفا
لن ترى قرة عين أبدا أو ترى نحوهم منصرفا
[إلهنا]

إلهنا^(٤٤٣) سلمنا من نفوسنا التى هى أقرب أعدائنا منا ، وأعظم نكايته^(٤٤٤) فينا ، إلهنا لعبت بنا صوارع^(٤٤٥) آصالنا^(٤٤٦) فى مدة أعمارنا ، وأغارت علينا خيول الهوى فأسرتنا بأسرنا ، إلهنا فأنقذنا من أسرنا ، وانصرنا على عدونا يا ملاذ العارفين ، يا معاذ الخائفين ، خذ بيد من زلت به قدم فطنته فى مهوات^(٤٤٧) فتنته ، أقم من قعد به سوء عمله قبل هجوم أجله يا من هو بالإجابة جدير وهو على كل شىء قدير ،

(٤٤١) ليست موجودة بالمدحش .

(٤٤٢) ورد هذان البيتان بالمدحش (ص ٤٠٤) .

(٤٤٣) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٤٥٠) من قوله (إلهنا سلمنا من نفوسنا ... إلى قوله (أقم من قعد به سوء عمله) .

(٤٤٤) نكايته : قهر أو غلبة . [الوسيط (٩٥٤/٢)] .

(٤٤٥) كذا بالأصل وبالمدحش (خوادم) .

(٤٤٦) كذا بالأصل وبالمدحش (آمالنا) .

(٤٤٧) كذا بالأصل وبالمدحش (مزلق) .

شعر

يا ذا المكارم والعُلاَ يا ذا الجلال الأوحـد
إن العُصاةَ تجمعوا وأتوا لبابك سيدى
قَصَدْتُكَ كُلَّ قَبِيلَةٍ مِمَّنْ يروُحُ ويغتدى
بسطوا إليك أكفهم والرامقاتُ^(٤٤٨) مع اليد

الفصل الثانى عشر

تفكر بالآخرة

(٤٤٩)

اسمع يا عظيم الاغتيال ، يا كثير الانبساط ، أما تخاف عواقب هذا
الإفراط ؟! يا مؤثرا الفانى على الباقي غلظت ، لا كالأغلاط ، أيعجبك ثوبُ
الصحة ؟! كلا ثوبُ البلا يُخاط ، أين من سلف من الأولين والآخرين ، أين
أبوك آدم صفوة رب العالمين ، أين محمد سيد المرسلين ، أين الأمم الماضية ، أين
القرون الخالية ، أين الذين ملؤوا ما بين الخافقين فخراً وعزاً ، أين الذين فرشوا
القصور خزا وقزاً^(٤٥٠) ، أين الذين ارتجت بهم الأرض رجفا وهزا ، ﴿هل تحس
منهم من أحد ، أو تسمع لهم ركزا﴾^(٤٥١) ، أهلكهم والله مهلك الأمم

(٤٤٨) الرامقات الناظرات - والمراد الأبصار - [اللسان (١٠/١٢٦ - رمق] ط.

دار صادر .

(٤٤٩) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٢٠٦) من قوله (اسمع يا عظيم
الاغتيال ... إلى قوله (كلا ثوب البلى يخاط) .

(٤٥٠) خزا وقزاً : الخز والقز ثياب تنسج من الحرير [اللسان (٥/٣٤٦ - خز ،

٣٩٥/٥ - قز) ط. دار صادر .

(٤٥١) سورة مريم - الآية : ٩٨ .

ومبيدُها ، وأفناهم مفضي الأمم ومُعيِدُها ، فسكنوا بعد سعة القصور ضيق
القبور ، وتبدلوا بعد الفرش الوثيرة خشونة المدر^(٤٥٢) ، وبليت منهم محاسن تلك
الصور ، ونحلى كلا منهم بما قدم وأخر .

شعر

يا من أقام وقد مضى أسلافه هل أنت إلا واحدٌ ممن مضى
دين المنية لا يؤخر ساعة فكأننى بك للمنية تقتضى
من مهر الدنيا الدنية ، زفت إليه بالسقم والألم ، ومن ركب مطايا الغفلة ،
أشرفت به على غاية الندم .

موعظة لزهد الدنيا

قال أبو زكريا التيمي : بينما سليمان بن عبد الملك^(٤٥٣) في المسجد إذ أتى
بمحجر وفيه خط منقوش ، فلم يحسن أحد مما كان عنده يقرأه فأتى بوهب بن منبه
فقرأه فإذا فيه : ابن آدم لو رأيت قرب ما بقى من أجلك ، لزهدت في طول
أملك ، ولرغبت في الزيادة من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك ، وإنما
تلاقى ندمك ، إذا زل به قدمك وأسلمك أهلك وحشمك ، وبان عنك الولد
والقريب ، ورفضك الوالد والنسيب ، فلا أنت إلى دنياك عائد ، ولا في

(٤٥٢) المدر : قطع الطين اليابس [اللسان (٥/١٦٢ - مدر)] ط. دار صادر .

(٤٥٣) سليمان بن عبد الملك بن مروان ، أبو أيوب ، الخليفة الأموي المشهور ، ولد
في دمشق ولي الخلافة يوم وفاة أخيه سنة ٩٦ هـ وكان بالرملة فلم يتخلف عن بيعته أحد ،
كان عاقلاً فصيحاً طموحاً إلى الفتح كانت عاصمة دولته دمشق ومدة خلافته سنتان وثمانية
أشهر إلا أياماً (٥٤ هـ - ٩٩ هـ) .

[الأعلام (٣/١٣٠)]

حسناتك زائد فاعمل ليوم القيامة ، يوم الحسرة والندامة ، يا شدة^(٤٥٤) الوجل
عند هجوم الأجل ، يا حسرة الفوت عند طول^(٤٥٥) الموت .

شعر

[الحجاج]^(٣٥٦)

إلى حتفى سعى قدمى أرى قدمى أراق دمي
فما أنفك من غرم وهان دمي فها ندمي

استلب زمانك يا مسلوب ، وغالب الهوى يا مغلوب ، وحاسب نفسك
فالعمر محسوب ، واع قبيحك فالقبيح مكتوب ، واعجبا لضاحك وعليه ذنوب ،
ولنائم وهو مطلوب .

شعر

تزود من الدنيا فإنك لا تدري إذا جنّ ليلك هل تعيش إلى الفجر
فكم من سليم مات من غير علة وكم من سقيم عاش حيناً من الدهر
وكم^(٤٥٧) من فتى يُمسي ويُصبح لاهياً وقد نُسجت أكفائه وهو لا يدري

(٤٥٤) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٢٠٦) ، من قوله (يا شدة الوجل ... إلى
قوله (ولنائم وهو مطلوب) .

(٤٥٥) كذا بالأصل وبالمدحش (حضور) .

(٤٥٦) نسب صاحب المدحش هذين البيتين (للحجاج)

(٤٥٧) وردت هذه بالمدحش (ص ٢٠٦) [.

[أين القلق الدائم !]

(٤٥٧)

أين الدموع السواجم^(٤٥٩) ، قبل المنايا الهواجم ، أين القلق الدائم ؟!
للذنوب القدائم ، أترى أثرت^(٤٦٠) الملاوم في هذه الأقاوم ؟! ، أيها القاعد والموت
قائم ، أنائم عن حديثنا أم متناوم^(٤٦١) ؟!

« حكاية موعظة »

قيل : كان بالبصرة عابداً قد أجهدهُ الخوف والوله^(٤٦٣) ، وأسقمه البكاء
وأنحله ، فلما حضرته الوفاة ، جلس أهله ليكون حوله ، فقال لهم : أجلسوني ،
فأجلسوه ، فأقبل عليهم وقال لأبيه : يا أبت ما الذى أبكاك ؟! قال : يا بني
ذكرت فقدك وانفرادى بعدك ، فالتفت ، إلى أمه وقال : يا أماه ما الذى
أبكاك ؟! قالت : يا بني لتجرعى مرارة ثكلك ، فالتفت إلى زوجته وقال :
ما الذى أبكاك ؟! قالت : لفقد برك وحاجتى لغيرك ، فالتفت إلى أولاده وقال :
ما الذى أبكاكم ؟! ، قالوا : لذل اليتيم والهوان بعدك فعند ذلك نظر إليهم وبكى ،
فقالوا له : ما يبكيك أنت ؟! قال : أبكى لأنى رأيت كلاً منكم يبكى لنفسه

(٤٥٨) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٢٠٧) من قوله (أين الدموع السواجم ...
إلى قوله (أنائم عن حديثنا أم متناوم) .

(٤٥٩) السواجم : أى السائلة أو المنصبة بكثرة . [اللسان (٢٨٠/١٢) سجم]
ط. دار صادر .

(٤٦٠) هنا سقط أثبتناه من المدحش (أترى) .

(٤٦١) متناوم : المتناوم هو من يدعى النوم وليس بنائم والتناوم طلب النوم .

[اللسان (٥٩٦/١٢ - نوم) ط. دار صادر .

(٤٦٢) الوله : الحزن أو الخوف أو التحير . [اللسان (٥٦١/١٣ - وله)]

ط. دار صادر .

لا لى ، أما فيكم من بكى لطول سهرى ؟! أما فيكم من بكى لقلّة زادى ؟! ،
أما فيكم من بكى لمضجعى فى التراب ؟ أما فيكم من بكى لما ألقاه من سوء
الحساب ؟ ، أما فيكم من بكى لموقفى بين يدى رب الأرباب ؟! ثم سقط على
وجهه فحركوه فإذا هو ميت .

[إلى كم هذا التسويف ؟!]

إخوانى^(٤٦٣) : مرّ الأقران على مدرجة ، وخیول الرحيل للباقيين
مُسرّجة^(٤٦٤) سار القوم والفتور هلمجه^(٤٦٥) ، وباتت الأرواح من الأجساد
وهى مستخرجة إلى كم هذا التسويف والمجمجة^(٤٦٦) ، وبضائعكم كلها
بهرجة^(٤٦٧) ، وطريقكم صعبة عوسجة^(٤٦٨) ، ستعرفون الخبر وقت الحشرجة ،
أين من حصن واحترس ، وعمر الحقائق وغرس ، وغصب سرير الكبر وجلس
وظن بقاء النفس ، خاب الظن فى نفس ، ووجهه الموت إلى ديار البلاء وطمس ،
وتركه فى ظلام ، وظلمه بين العيب والدنس ، فالعاقل من بادر بالسلامة فإن
السلامه خلس .

(٤٦٣) وردت هذه الموعظة بالمدھش (ص ٢١٢) من قوله (إخوانى مر الأقرب على
مدرجة ... إلى قوله (فإن السلامة خلس) .
(٤٦٤) مسرّجة : أى وضع عليها السرج واستعدت للرحيل . [اللسان (٢/٢٩٧ -
سرج) ط. دار صادر .
(٤٦٥) كذا بالأصل ووردت بالمدھش (هملجة) وهى الصواب ، ومعنى هملجة :
أى السير فى سرعة وبخثرة . [اللسان (٢/٣٩٣ ، ٣٩٤ - هملج) ط. دار صادر .
(٤٦٦) المجمجة : التغیر والإفساد . [اللسان (٢/٣٦٢ - مجج) ط. دار صادر .
(٤٦٧) بهرجة : أى رديئة . [اللسان (٢/٢١٧ - بهرج) ط. دار صادر .
(٤٦٨) عوسجة : العوسج النبات الشائك . [اللسان (٢/٣٢٤ - عسج) ط. دار
صادر .

ولعل المراد : أن طريقكم صعب عسير كأنه مفروش بالشوك .

شعر

[ابن المعتز (٤٦٩)]

ألا من لقلب في الهوى غير منتهى وفي الغي مطواع وفي الرشيد مكره
أشاوره عن توبة فيقول لا فإن قلت تأتي فتنة قال أين هي

[حكاية إبليس لعنه الله]

يروى أن إبليس لعنه الله ، بعث جنوده في زمن الصحابة رضي الله عنهم
فرجعوا مقهورين فقال : ما شأنكم ؟ قالوا : ما رأينا مثل هؤلاء القوم ، كلما
نجد في أن نصيب منهم شيئاً ، فلم نقدر عليه وقد أعيانا أمرهم ، فقال لهم :
إنكم لن تقدروا على هؤلاء لأنهم صحبوا نبهم وصدقوا تنزيل ربهم ، ولكن سيأتي
من بعد هؤلاء قوم تنالون منهم بغيتكم فلما جاء التابعون رضي الله تعالى عنهم
وبث الملعون جنوده فيهم فرجعوا خائبين فقال لهم : ما بالكم فقالوا ما رأينا
أعجب من هؤلاء نصيب منهم الشيء بعد الشيء حتى إذا كان آخر النهار أخذوا
في الاستغفار فتبدل سيئاتهم حسنات فقال : إنكم أيضاً لن تنالوا من هؤلاء شيئاً ،
ولكن سيأتي من بعد هؤلاء قوم تلعبون بهم كيف شئتم ، يوعظون فلا يتعظون ،
ويدعون فلا يجيبون ، لا يستغفرون فيغفر لهم ولا يتوبون فيتوب عليهم .

فيا (٤٧٠) سادراً (٤٧١) في سكر سروره ، سادلاً ثوب غروره ، فكأني بك
قد اقتعرت (٤٧٢) غارب الغربة ، واستبدلت بالأثواب التربة ، بين أناس كلهم

(٤٦٩) نسب صاحب المدهش هذه الأبيات (لابن المعتز) [المدهش ٢١٢] .

(٤٧٠) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٢١٦) من قوله (فيا سادراً في سكر
سروره... إلى قوله (وجميعهم على مهاد القلق) .

(٤٧١) سادراً : السادر : اللاهي الذي لا يهتم لشيء ولا يبالي ما صنع . [اللسان

(٤/٣٥٥ - سدر) ط. دار صادر .

(٤٧٢) كذا بالأصل وبالمدهش (اقتعدت) .

أسير الفراق ، وجميعهم على مهاد القلق ، فيا^(٤٧٣) مؤخراً توبته بمطل التسويف لأى يوم أجلت ، ويحك قد نفذ السليط^(٤٧٤) ، فاستدرك ذبالة المصباح^(٤٧٥) .

قال طلق بن حبيب^(٤٧٦) : - إن حقوق الله عز وجل أعظم من أن يقوم بها العبد ولكن عباد الله امسوا تائبين فإن الشيطان لا يفارق أحدكم حتى تفارق روحه جسده ، فابسط فى الرجاء يد الطلب فأطيب ما أكل العبد من كسب يده ، إذا قمت فى ظلام الليلة بين يدي سيدك فاستعمل أخلاق الأطفال ، فإن الطفل إذا طلب منه أبوه شيئاً بكى عليه ، واسترح إلى حديث المناجاة ، وإن لم يسمع منك وابعث رسائل الأحران مع رياح الأسحار وإن لم تصل .

قيل لبعض الزهاد : ما الذى أضنى العباد وأتعب الزهاد قال : خوف الحساب وذكر المعاد ، ولم لا تذوب أبدانهم والقيامة أمامهم ثم صاح الزاهد وقال : من لغريق فى ذلك الموقف العظيم ، لقد حركت الفكرة فيه منى ساكناً ، وأثارت منى غماً كامناً ، فيا طول وقوفاً ، ويأثقل ظهراً . من كثرة الذنوب ، وحمل العيوب فآه من حملها ثم آه من ثقلها .

(٤٧٣) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٢٠٧) من قوله (فيا مؤخراً توبته ... إلى قوله (فاستدرك ذبالة المصباح) .

(٤٧٤) السليط : هو الزيت الذى يضاء به المصباح عند عامة العرب . [اللسان (٣٢٠/٧ - سلط) ط. دار صادر .

(٤٧٥) ذبالة المصباح : الفتيلة التى تسرج فيه . [اللسان (٢٥٦/١١ - ذبل) ط. دار صادر .

(٤٧٦) طلق بن حبيب : العنزى ، بصرى صدوق ، عابد ، رمى بالإرجاء ، من الثالثة ، روى عن ابن عباس وجابر بن عبد الله ، مات بعد التسعين . [تقريب التهذيب (٣٨٠/١) رقم ٤٧] .

[صفة الصفوة (٢٥٨/٣) رقم ٥١٢]

إخواني (٤٧٧) : تعالوا نرق دمع تأسفنا على قبيح تخلفنا ، ونبعث مع قاصد الحبيب رسالة محصر لعلنا نفوز بأجر المصاب إن لم يرجع المقصود (٤٧٨) يا أرباب القلوب الضائعة ﴿ اذهبوا فتحسسوا من يوسف ﴾ (٤٧٩)

إخواني (٤٨٠) : السنون مراحل والشهور فراسخ والأيام أميال والأنفاس خطوات ، والطاعات رؤوس أموال ، والمعاصي (٤٨٠) قطاع الطريق والربح الجنة والخسران النار ، لهذا الخطب شمر المتقون عن سوق الجد في سوق المعاملة كلما رأوا مركب الحياة تجدد في بحر العمر شغلهم ما هم فيه عن التنزه في عجائب البحر فما كان إلا قليل حتى قدموا من السفر فاعتنقتهم أيدي الراحة في طريق التلقى فدخلوا بلد الوصل فقد فازوا بربح الدهر ، أملهم أقصر من فتر منازلهم أقفر من قبر نومهم أعز من الوفاء ، السهر عندهم أحلى من رقدة الفجر أخبارهم أرق من نسيم السحر ، آماقهم (٤٨٢) بالدموع الدائمة دامية ، والهموم على الحوائج حوائج (٤٨٣) .

(٤٧٧) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ١٦٢) من قوله (تعالوا نرق دمع تأسفنا ... إلى قول الله تعالى ﴿ اذهبوا فتحسسوا من يوسف ﴾ .

(٤٧٨) كذا بالأصل وبالمدحش (المفقود) .

(٤٧٩) سورة يوسف - الآية : ٨٧ .

(٤٨٠) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ١٦٤) من قوله (إخواني السنون مراحل ... إلى قوله (والهموم على الحوائج حوائج) .

(٤٨١) هنا سقط أثبتناه من المدحش هكذا [والأنفاس خطوات ، والطاعات رؤوس أموال والمعاصي] وقد أثبتناه بين معكوفتين .

(٤٨٢) آماقهم : المآق : طرف العين مما يلي الأنف وهو مجرى الدمع .

[اللسان (٣٣٦/١٠ ، ٣٣٧ - مآق) ط. دار صادر .

(٤٨٣) (الحوائج حوائج) كذا بالأصل وبالمدحش (الجوائج جوائج) .

حكاية زاهد وصابر

قال بعض الصالحين : بينا أنا أسير في بعض جبال الشام وإذا برجل خارج من بين تلك الجبال ، فلما رآني استتر عني بشجرة ، فقلت له : سبحان الله بخلت على بالنظر إليك ، فقال : يا هذا إني أقمت في هذا الجبل دهرا طويلا أعالج قلبي في الصبر عن الدنيا وأهلها فطال في ذلك تعبى وفنى عمري في مجاهدة قلبي فوجدته قد سكن من الاضطراب ، وألفت الانفراد ، فلما نظرت إليك خفت أن أفع في الأمر الأول ، فابعد عني ، ثم صاح واغماء من طول المكث في الدنيا ثم حول وجهه عني وقال : سبحان من أذاق قلوب العارفين لذة الخلوة ، وحلاوة المناجاة والانقطاع إليه ، سبحان من ألهى قلوبهم عن الجنان وعن الحور الحسان ، فلا شيء عندهم ألد من مناجاته ، ثم ولى وهو يبكى ويقول :

شعر

(٤٨٤)

فالجَمَى أَقْفَرُ من جارٍ وأهل	تَحَلَّ طَرْفٍ والبكاء إن كنت خِلَى
أنا ^(٤٨٥) عن لومك في أشغل شغل	والح من لم يدر ما طعم الأسى
واعتراضات الهوى باباً لعذل	لم يدع وقرا لنوع ^(٤٨٦) في مسمعى
والتجافى يبلى الأطلال يسلم	هذه الأخبار من بعد آثارهم ^(٤٨٧)
في فؤادى أهله لا فى المح	ماوقوفى فى محل ساكن
مستهام والمنى جهد المقل .	يتمنى طيفكم صب بكم

(٤٨٤) وردت هذه الأبيات في المدهش (ص ٣٢٤) .

(٤٨٥) ما بين المعكوفتين سقط استدر كناه من المدهش .

(٤٨٦) كذا بالأصل وبالمدهش (الهوى) والصواب ما ورد بالمدهش .

(٤٨٧) ورد الشطر الأول من هذا البيت هكذا (هذه من بعدهم آثارهم)

[المدهش (ص ٣٢٤)] .

والذى يستجلب الطيف الكرا من لعينى أن ترى النوم من لى
قد مضى أكثر عمرى فى القلى جفوةً منكم فرّقوا للأقل
عجباً لى ولقلب ضائع بان عنى بين بانات وأثل

الفصل الثالث عشر

[اعمل قبل رحيلك]

يا ساعياً^(٤٨٨) لنفسه فى المهالك دنى الرحيل ، ونضو^(٤٨٩) الرحلة
بارك . متى تدرك وحشتك بعد إيناسك ؟ ، متى تقتدى من ناسك بناسك ؟ ،
كأنى بك قد خرجت عن أهلك وولدت ، وانفردت عن عددك وعددك ، وقتلك
سيف الندم ولم يُدك^(٤٩٠) ، ورحلت ولم يحصل بيدك إلا عض يدك .

شعر

(٤٩١)

كأنك لم تسمع بأخبار من مضى ولم تر فى الباقيّن مايصنع الدهرُ
فإن كنت لا تدري فتلك ديارهم محالها مجال الريح بعدك والقطرُ
على ذاك مروا أجمعون وهكذا يمرون حتى يستردهم الحشرُ
فحتى متى لا تصحو قد قرب المدا وحتى متى ينبجأ عن قلبك السكرُ
بل سوف تصحو حين ينكشف الغطا وتذكر قولى حين لاينفع الذكرُ

(٤٨٨) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٢٢٠) من قوله (ياساعياً لنفسه فى
المهالك ... إلى قوله (ولم يحصل بيدك إلا عض يدك) .

(٤٨٩) نضو : النضو : المهزول من الحيوان . [الوسيط (٩٢٩/٢)]

(٤٩٠) لم يدك : أى لم يؤد ديتك . [هامش المدحش (ص ٢٢٠)]

(٤٩١) وردت هذه الأبيات فى المدحش (ص ٢٢٠) .

[فى هول القيامة]

قيل : إذا كان يوم القيامة ونفخ فى الصور نفخة البعث قام الناس من قبورهم شعناً غبراً حفاة عراة فبين قائل يقول : أين الطريق إلى الله وبين قائل يقول : أين المفر إلى الله فعند ذلك يخرج لسان من النار من قعر بحر عدن فيسوق الناس جميعاً إلى الموقف فبينما هم حيارى سكارى إذ تجلّى الحق جلّ جلاله لفصل القضاء ، فتشرق الأرض من نوره فتتنظر الخلائق بعضهم إلى بعض فتتنظر المرأة إلى ولدها الذى كان لها فى دار الدنيا فتعرفه فتناديه يا ولدى ، فلا يجيبها ، فتقول له : يا ولدى ألم يكن بطنى لك وعاء ؟ ألم يكن ثدى لك سقاء ؟ ألم يكن حجرى لك وطاء ؟ ، فيقول : بلى يا أماه ، فتقول ، يا ولدى فاحمل اليوم عن أمك شيئاً من أوزارها فقد ثقل ظهرها وضعفت قوتها فيقول : يا أماه هيهات هيهات ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ (٤٩٢) يا أماه إذا حملت اليوم عنك فمن يحمل عنى ؟ ، قال : فبينما هو يخاطبها إذ نادى مناد من السماء أين فلان بن فلانة ؟ ، هلم إلى العرض على الله عز وجل فإذا سمع ذلك تغير لونه ، واضطربت جوارحه ، واصطكت ركبته فإذا نظرت أمه ما نزل به قالت : يا ولدى ما شأنك فيقول : يا أماه قد دنوت للعرض على الله عز وجل ، فكيف لى بالفرار قبل أن تهتك الأستار ، فبينما هو كذلك إذ أقبل ملكان فيقبضان على عضديه ويقولان له : يا عبدالله هلم إلى العرض على الله قال : فإذا رآته أمه قد أوثق عليه قامت إليه وضمته إلى صدرها ودافعت عنه لما ترى من جزعه فيدفعانها الملكان عنه فإذا رأت أنها لا حيلة لها فيه أسلمته راغمة وقالت : يا ملائكة ربي أقسمت عليكمما بالذى بعثكما إليه ألا رفقتما به قال : فيقبضان عليه وينطلقان به فلما ولى نادته : يا ولدى سألتك بالذى دعاك للحساب إن نجوت لا تنس أمك وطول وقوفها وتزايد كربها وشدة عطشها ، قال : فينطلق الملكان به حتى يأتیان به إلى سدرة المنتهى فيسلمانه إلى الملك الموكل بالحجاب فيقول له الملك : من أى الأمم أنت فيقول : من أمة محمد ، فيقول له : طوبى لك ولأمة أنت منها ، ثم يقبض عليه

(٤٩٢) سورة المدثر - الآية: ٣٨ .

ويزجه في النور ويقول له : اذهب يا عبدالله فيمر في النور ماشاء الله ثم يقف متحيراً لا يدري أين يذهب وإذا النداء من قِبَل الله عز وجل : هلم يا عبدى فأنا ربك الخنان المنان ، قال : فيتقدم وقد أذهله الخوف والجزع فيقول الله عز وجل : عبدى اسكن من هذا الخوف والجزع فوعزتي وجلالي ، إني لأرأف بك من والدتك ، ثم يقول الله عز وجل : اقرأ كتابك فيقرأه ، فإذا مر بخطيئة كان عملها في دار الدنيا يقول الله عز وجل : أتعرفها يا عبدى ، فيقول : نعم وعزتك يارب ، فيقول : يا عبدى لما سترتها من المخلوقين أما علمت أني مطلع عليك فيقول : بلى يارب ، فيقول له : أما خفت من عقوبتي ، أما جعلتني أهون الناظرين إليك ، فيقول : سيدى ومولاي لئن تأمرني إلى النار خير لي من هذا التوبيخ ، فيقول الله عز وجل : عبدى إذا أمرت بك إلى النار فأين جودى وأين كرمى ، وأين عفوى ومغفرتى ، يا ملائكتى انطلقوا بعبدى إلى الجنة . قال : فيبقى باهتاً متحيراً، فيقول الله عز وجل : عبدى مم تحريك؟ فيقول : إلهى وسيدى كانت لي والدة في دار الدنيا تمنحنى برها وحياتها ، وقد حيل بينى وبينها ، وقد أدركها من هول يوم المطلع وشدة العطش ما لاتطقه^(٤٩٣) لها به فأسألك يارب أن تشفعنى فيها ، فيقول الله عز وجل : ما عرفت بينكما إلا بعد أن رحمتكما ، خذ بيدها وأدخلها الجنة .

فيا من^(٤٩٤) بين يديه هذه الأهول^(٤٩٥) والعجائب ، وقدماً أعدت^(٤٩٦) له النوائب ، أما سهم المصائب كل يوم صائب ١؟ ، أحاضرٌ تحمل من عتبنا كلا ١؟ بل أنت غائب .

(٤٩٣) كذا بالأصل ولعل الصواب (ما لاطاقة) .

(٤٩٤) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٢٦٦) ، من قوله (فيا من بين يديه الأحوال والعجائب ... إلى قوله (بل أنت غائب) .

(٤٩٥) كذا بالأصل والصواب [الأهوال] .

(٤٩٦) (قدماً أعدت له النوائب) كذا بالأصل وقد وردت بالمدحش (وقدماً

نوى له الدهر النوائب) . [المدحش (ص ٢٦٦)] .

[سلاح الجُد]

(٤٩٧)

قيل لبعض أهل الرياضة :- كيف غلبت نفسك ؟ قال : قمت في صف
حربها بسلاح الجُد فخرج مرحب^(٤٩٨) الهواء يدافع ، فعلاه على العزم
بصارم^(٤٩٩) الحزم فلم تمض ساعة حتى ملكت خيبر .
اسمعوا^(٥٠٠) يا معاشر المعرضين^(٥٠١) عن أهل الدين .

شعر

تعالوا^(٥٠٢) نُقِمْ مأثماً للفراقِ ونَدِبْ أخواننا الظاعنينَا
هلموا نريق دمع أسفنا ، على قبيح تخلفنا ، فأنجح المراهم لجراحات الدموع
البكاء^(٥٠٣) ، هتكة الدمع سترة على الذنب .

(٤٩٧) هذا الأثر ورد بالمدحش (ص ٢٢٩) .

(٤٩٨) مرحب : السعة والاتساع . [اللسان (١/٤١٣ ، ٤١٤ - رحب)] ط .

دار صادر .

(٤٩٩) صارم : الصارم : يقال سيف صارم أى قاطع ورجل صارم : شجاع أو

بات في أمره ماض .

[الوسيط (١/٥١٣)]

(٥٠٠) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٢٤٦) من قوله : (يا معاشر

المعرضين ... إلى قوله (سترة على الذنب) .

(٥٠١) كذا بالأصل وبالمدحش (المطرودين) والصواب ما ورد بالأصل .

(٥٠٢) ورد هذا البيت في المدحش (ص ٢٤٦) .

(٥٠٣) ما بين المعكوفتين سقط استدركناه من المدحش .

حكاية محمد بن المنكدر

كان (٥٠٤) محمد بن المنكدر (٥) كثير البكاء فسئل عن ذلك فقال : آية من القرآن أبكتني . قيل : وما هي ؟ قال : قوله تعالى ﴿ ويدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴾ (٥٠٥) .

أب (٥٠٦) يا شارد الطبع من سفر الهوى وأذب جامد الدمع بنيران الأسى لعل شفيح الاعتراف يسأل في أسير الاقتراف ، فرغ (٥٠٧) عينيك من شئونك (٥٠٨) ، وخلص ذنوبك (٥٠٩) من بحر عيوبك (٥١٠) وصن صندوق فمك بقفل صمتك ، واطو طيلسان (٥١١) لسانك عن بذلة نطقك ، واغضض عينيك عن عيب غيرك حفظاً لدينك ، وابن منبر التذكير لواعظ القلب في ساحة الصدر ، فإن رماك القدر بسهم الفتور عن قوس الحكمة من يد « لكل عامل فترة » ، فاتق بجنة الاعتذار واجلس ليلة على مائدة السحر وذق طعام المناجاة ينسيك كل لذة ، أرياح الأسحار ، لا يستنشقها مزكوم غفلة ، وأعجب الرسائل

(٥٠٤) . هذه الحكاية وردت بالمدهش (ص ٢٤٧) من قوله (كان محمد ... إلى قول الله تعالى ﴿ ويدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴾ ومحمد بن المنكدر القرشي المدني : زاهد ، من رجال الحديث من أهل المدينة أدرك بعض الصحابة وروى عنهم له نحو مائتي حديث (٥٤ - ١٣٠ هـ) [الأعلام (١١٢/٧)] .
(٥٠٥) سورة الزمر - الآية : ٤٧ .

(٥٠٦) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٢٤٨) من قوله (أب يا شارد الطبع .. إلى قوله (ترد إلى الأسرار لا يعلمها الملك .

(٥٠٧) كذا بالأصل وبالمدهش (نق) وكلاهما صواب .

(٥٠٨) كذا بالأصل وبالمدهش (عيوبك) .

(٥٠٩) ذنوبك : الذنوب : الدلو العظيمة . [الوسيط (٣١٦/١)] .

(٥١٠) كذا بالأصل وبالمدهش (ذنوبك) .

(٥١١) طيلسان : بمعنى عجمة لأن الطيلسان أى الغير عربى (الأعجمى)

[الوسيط (٥٦٢/٢)] .

تحمل في الأسحار لا يدري بها الفلك ، والأجوبة ترد إلى الأسرار لا يعلمها [إلا] الملك
الغفار (٥١٢) .

شعر

يا (٥١٣) حبذا رند (٥١٤) العقيق (٥١٥) وأنه سقى العقيق وأهله وزمانه
وضعت (٥١٦) خمائله ورق نسيمه وصفت على عصبائه غدرانه
وشكت تباريح الصبابة ورقه وتمايلت بيد الصبابة أفنانه (٥١٧)
يا مفرداً في حسنه صل مدنفاً (٥١٨) في حزنه لعبت به أشجانه
صبأ إذا ذكر الغوثر (٥١٩) وأهله فاضت مدامعه وجن جنانه

(٥١٢) (لا يعلمها الملك الغفار) كذا بالأصل والصواب (لا يعلمها إلا الملك الغفار)
وقد وردت بالمدحش بلفظ (لا يعلمها) .

(٥١٣) وردت هذه الأبيات بالمدحش (ص ٢٥٠) .

(٥١٤) رند : الرند : شجر طيب الرائحة . [الوسيط (٣٧٥/١)] .

(٥١٥) العقيق : هو واد بالحجاز مملوء بالماء . [معجم البلدان (١٣٨/٤) :

(١٤٠)] .

(٥١٦) كذا بالأصل وبالمدحش (رقت) والأفضل ما ورد بالمدحش .

(٥١٧) أفنانه : أغصانه . [اللسان (٣٢٧/١٣ - فتن) ط. دار صادر .

(٥١٨) كذا بالأصل وبالمدحش (مفرداً) .

(٥١٩) كذا بالأصل وبالمدحش (العقيق) والصواب ما ورد بالمدحش .

[حكاية جارية حبشية]

قال (٥٢٠) الشبلى (٥٢١) :- لقيت جارية حبشية فقلت لها : من أين قالت : من عند الحبيب قلت : وإلى أين ؟ ، قالت : إلى الحبيب ، قلت : ما الذى تريد من الحبيب ، قالت : أريد من الحبيب الحبيب قلت : كم تذكرين الحبيب ، قالت : مايفتر لسانى من ذكر الحبيب حتى ألقى الحبيب .

شعر

وحرمة (٥٢٢) الودى مالى عنكم عوضٌ وليس لى فى سواكم بعدكم عرضٌ
ومن حديثى بكم قالوا به مرضٌ فقلت لازال عنى ذلك المرض
من مشى (٥٢٣) إلى هرولت إليه ، دعوناك بالوسائط فلم تحضر فأبأ (٥٢٤)
المرسل ، ينزل إلى سماء الدنيا ، النطق متشابه ، والذوق محكم ، من غرس (٥٢٥)
فى نفسه شرف الهمة نبت ، نبت عن الأقدار همته ، ومن استقر ركن عزمته ثبت
عن الأكدار عزمته .

(٥٢٠) هذا القول ورد بالمدھش (ص ٢٥٥) من قوله (قال الشبلى ... إلى قوله
(حتى ألقى الحبيب) .

(٥٢١) الشبلى : هو دلف بن جحدر ، الشهير بأبى بكر الشبلى : ناسك كان فى مبدأ
أمره والياً فى دنباوند (من نواحى رستاق السرى) وولى الحجابة فى عهد الموفق العباسى ثم
ترك الولاية وعكف على العبادة واشتهر بالصلاح ، له شعر جيد سلك به مسالك المتصوفة ،
أصله من خراسان ونسبته الى قرية شبلة ، مولده (بسر من رأى) ووفاته ببغداد ٢٤٧ هـ .
- (٣٣٤ هـ) [الأعلام (٢/٣٤١)] .

(٥٢٢) ورد هذان البيتان فى المدھش (ص ٢٥٥) .
(٥٢٣) وردت هذه الموعظة بالمدھش (ص ٢٦١) من قوله (من مشى إلى هرولت
إليه ... إلى قوله (والذوق محكم) .

(٥٢٤) كذا بالأصل وبالمدھش (فأتى) والصواب ما ورد بالمدھش .
(٥٢٥) ورد بالمدھش (ص ٢٦٣) من قوله (من غرس فى نفسه شرف الهمة ... إلى
قوله (ثبت عن الأكدار عزمته) .

« حكاية زاهد »

قال ابن السماك عفا الله تعالى عنه ورحمه : كنت جالسا عند باب دارى
إذ جاءنى رجل من بعض إخوانى فقال لى : يا أبا بكر لى ولدٌ من المبرزين فى
العبادة والمخلصين فى الزهادة يقوم الليل ويصوم النهار ومع ذلك لا يفتر من البكاء
وقد أضر ذلك ببدنه وأنا خائف عليه أن يهلك فأحبُّ أن تسأله الرفق بنفسه فلعله
أن ينام فى الليل نومةً واحدةً يقوى بها على عبادة الله عز وجل ، فقلت له : نعم إن
شاء الله تعالى قال : فينما هو يخاطبنى إذ طلع علينا شابٌ كأنه عودٌ بانٍ له نور
كالبدر ووجهه قد علاه إصفرارٌ ناحلُ الجسم فقال : يا أبا بكر هذا ولدى ،
فقلت للولد : حبيبى إن الله عز وجل قد فرض عليك طاعة أبيك ونهاك عن
معصيته وقد سألتنى أن أسألك حاجة ، قال : وما هى ؟ قلت : تفطر فى الجمعة
مرة وتنام فى الليل نومةً فإنك تقوى بذلك على عبادة ربك فقال أما والله لقد
طلب منى التقصير فى العمل قبل حلول الأجل يا أبا بكر إنى بايعتُ إخواناً على
السباق فأخشى أن تُعرض أعمالى وأعمالهم فيوجد فى أعمالى دون أعمالهم تقصيرا
فيا سوء حالى أن بادر فى أجلى قبل أن أبلغ ما بلغوا ، يا أبا بكر لو رأيت إخوانى
الذين بايعتهم وقد تجافت جنوبهم عن المضاجع وركبوا رواحل الظلام وقطعوا
عليها الليل والناس نيام ، قد وصلوا الكلال بالكلال^(٥٢٦) ، اشتياقا إلى ذى الجلال
أفتشير علىّ يا شيخ بالتقصير ، والله لأجتهدن ثم لأجتهدن حتى ألحق بهم .

شعر

وحياة من ملكث يداؤه قيادى لأخالفن على الهوى حُسَادِى
ولأعصين عواذلى فى حبه ولأهجرن لذاذقى ورُقَادِى
ولأجعلن نزاhtى فيه البكاء ولا كحلن محاجرى بشهادى
ولأحفرن بسرهِ ضمن الحشا قبرا ولم يعلم بذاك فؤادى

(٥٢٦) الكلال بالكلال : أى المتاعب بالمتاعب (كَلَّ الرجل : إذا تعب) .

[اللسان (٥٩١/١١ - كَلَل)] ط. دار صادر .

[يا من أبعدته الخطايا]

(٥٢٧)

اسمع يا من أبعدته الخطايا عنهم ، وأخرجته الذنوب منهم لا بد والله من قلق وحرقة ، إما في زاوية التعبد ، وإما في هاوية الطرد ، أما آن لك أن تُحرق قلبك بنار الندم على التقصير والخوف من سوء المصير ، وإلا فنار جهنم أشد حراً .

شعر

(٥٢٨)

شجاك الفراق فما تصنع أتصبر للبين أم تجزع
إذا كنت تبكى وهم جيرة فكيف تكون إذا ودعوا
القلق القلق يا من سلب قلبه ، البكاء البكاء يا من عظم ذنبه .

كان (٥٢٩) الشبلى يقول في مناجاته :- ليت شعري ، ما أسمى عندك
يا علام الغيوب ، وما أنت صانع في ذنوبي يا غفار الذنوب ؟! وبم تختم لي عملي
يا مقلب القلوب ؟ ، ثم يصيح : قرّة عيني وسرور قلبي ما الذي أسقطني من
عينك ؟ أقلت ﴿ هذا فراق بيني وبينك ﴾ (٥٣٠) ؟ .

(٥٢٧) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٢٦٣ ، ص ٢٦٤) من قوله (يا من أبعدته الخطايا عنهم ... إلى قوله (البكاء البكاء يا من عظم ذنبه) .
(٥٢٨) ورد هذان البيتان في المدحش (ص ٢٦٤) .
(٥٢٩) ورد هذا الأثر في المدحش (ص ٢٦٤) من قوله (كان الشبلى ... إلى قوله الله تعالى ﴿ هذا فراق بيني وبينك ﴾ .
(٥٣٠) سورة الكهف - الآية : ٧٨ .

شعر

(٥٣١)

إن ترحلت أو أقمت فعندى فيض دمع يجرى ووجد مقيم
وفؤادى ذاك الفؤاد المعنى وغرامى ذاك الغرام القديم

الفصل الرابع عشر

[احذروا الموت]

(٥٣٢)

يا حائراً^(٥٣٣) كلما قيل اسقط سقط^(٥٣٤) ، يا نازلاً فسطاط
الهوى على ساحل الشطط يامهملاً^(٥٣٥) ما عند الموت غلط ، كم سلب شريفاً
ووضيعاً سلباً عنيفاً وخبط ، تالله ما يبالي حمام الحمام^(٥٣٦) أى حب لقط ؟ ،
أما يكفي نذيرهم بلى قد خوف الفرد ، أما خط الشيب خط النهى عن الخطاء لما
وخط ، أما جهل^(٥٣٧) الشباب قد أذى^(٥٣٨) فما بعد الشمط^(٥٣٩) ؟ ، فإلى متى

(٥٣١) ورد هذان البيتان بالمدهش (ص ٣٠٦) .

(٥٣٢) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٢٣٦) من قوله (يا جايراً ... إلى قوله
(فإنما تجازى بما تفعل) .

(٥٣٣) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (يا جايراً) .

(٥٣٤) (اسقط سقط) كذا بالأصل وبالمدهش (أقسط قسط) والصواب ما ورد

بالمدهش .

(٥٣٥) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (يامهملاً لا مهملاً) .

(٥٣٦) الحمام : قضاء الموت وقدره [الوسيط (١/٢٠٠)] .

(٥٣٧) كذا بالأصل وبالمدهش (آذن) .

(٥٣٨) (قد أذى) كذا بالأصل وبالمدهش (بالذهاب) .

(٥٣٩) الشمط : اختلاط بياض الشعر بسواده والمقصود العجز والكبر . [اللسان

(٣٣٥/٧ ، ٣٣٦ - شبط) ط. دار صادر .

يعظك الدهر ولا تقبل وحتى متى ينذرك القهر ، إنك عن قريب ترحل وتضم العيب إلى الشيب ، وبئس ما تفعل كن كيف شئت فإنما تجازى بما تفعل .

اسمع^(٥٤٠) يا هذا عليك حافظ وضابط ليس بناس ولا غالط ، يكتب الألفاظ السواقط ، وأنت في ليل الكلام^(٥٤١) خابط ، يا من شاب إلى كم تغالط؟! ، ابك على ما مضى ويكفيك الفارط ، ما للعيون قد أخلفت أنوارها كثر نظرها إلى الحرام فقل بكاءؤها ما للقلوب المريضة ؟ قد عز شفاؤها ، ساكنت إخوان الأمل فقل وفاؤها ، آه لأمراض نفوس يئس طبيها ، ولأصوات مواعظ قد خرس بجيها ، هبت والله دبور الذنوب فتركت الأجساد بلا قلوب أين الفهم والتأمل ؟ .

إخواني دنى الترحل ، لا بد وشيكا من التحول رقيكم يا غافلين لا يغفل أندركون الذنوب بلا تملل ، يا من يعد بالتوبة كم تمطل ؟ المعاصي سم اليسير منه^(٥٤٢) يقتل ، يا^(٥٤٣) من هبت على قلبه جنوب المجانية ، فلفقت غيم الغفلة فاظلم أفق المعرفة ، لاتيأس فالشمس تحت الغيم ، لو تصاعدت أنفاس الأسف دارت شمالا فقطعت السحاب ، وظهرت شمس المعرفة .

بكاء آدم عليه السلام

يا هذا دواء أجده لك البكاء اقتداء بأبينا آدم عليه السلام قيل :- كان آدم يبكي حتى يخوض في دموعه فيأتيه جبريل عليه السلام فيقول له : يا آدم لم هذا البكاء فيقول : يا جبريل ما تغير عليك أمر وأنا نقلت من نعيم الجنات إلى شظف هذا المكان .

(٥٤٠) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ١٧٤) من قوله (اسمع يا هذا عليك حافظ وضابط ... إلى قوله (المعاصي سم اليسير منه يقتل) .

(٥٤١) كذا بالأصل وبالمدحش (الظلام) والصواب ما ورد بالمدحش .

(٥٤٢) ما بين المعكوفتين سقط أثبتاه من المدحش (ص ١٧٥) .

(٥٤٣) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٤٠٥) ، من قوله (يا من هبت على

قلبه ... إلى قوله (وأنا نقلت من نعيم الجنات إلى شظف هذا المكان) .

شعر

يا عاذلين على الغرام متيماً ألف الصبابة ما لكم ولفتيسه
أنى يفيق من الهوى من نفسه رضيت نصر الحب من ولعت به

حكاية داود عليه السلام

قيل :- أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام يا داود عليك بالبكاء
فإنه يمحو السيئات ، ويثبت الحسنات ، يا داود كيف غفلت عن عينك حتى
امتدت إلى ما يحل لك ، يا داود أما علمت أنى غيور قال : فصاح داود وأخذ في
البكاء فأوحى الله عز وجل إليه : يا داود لم هذا البكاء إن كنت مظلوماً نصرتك
وإن كنت جائعاً أطعمتك وإن كنت عطشانا سقيتك وإن كنت عرياناً كسوتك ،
فقال : إلهى وكيف لا أبكى ، وقد سودت الخطيئة فى كتابى ، فبحرمة ما قد كان
بينى وبينك ألا غفرت لى ، فأوحى الله عز وجل إليه : يا داود لم تبق الخطيئة بينى
وبينك حرمة ، يا داود أنت بخطيئتك محجوب فإن أحببت أن تصير القطيعة وصلاً
فعليك بالبكاء .

شعر

برّذ غراماً بقلب أنت مُضِرُّهُ ودأوى سقما بصبٍ أنت مسقْمُهُ
ولا تكلنى على بعد الديار إلى صبرى لضعيف فصرى أنت تعلمُهُ
يا من كانت له معنا معاملة وطالت بيننا وبينه المواصله
ثم اختار البحر والمفاصلة إن لم يكن جميلاً فمجاملة .
تفكر تعرف قدر ما فاتك ، وابلك لذنب حرمك الفوز وفاتك اسكب
دموع أسفك ، قرب دم سفك واندب أطلال مالفك ، تعد فى موتفك ، ترى
العجب من إقبالنا عليك .

شعر

(٥٤٤)

فِي قُرْبِنَا نِيْلُ الْمَنَا فَتَنْبِهُوا يَا غَافِلِينَ
عَجْباً لِقَوْمٍ أَعْرَضُوا عَنَّا وَقَوْمٍ وَاصِلُونَ
نَقَضُوا الْعَهْدَ وَكَاشَطُونَا بِالصَّدُودِ وَبَارَزُونَا (٥٤٥)
يَا وَيْهِمْ إِنْ لَوْ رَأَوْا مَا فَاتَهُمْ لَاسْتَعْظَفُونَا

قيل إن الله عز وجل أوحى إلى نبي من أنبيائه : بعيني ما تحمل المتحملون من أجلى وما يكابدون في طلب مرضاتي ، فكيف بهم إذا صاروا إلى جوارى واستنزلتهم للجلوس عندي ، وسفرت لهم عن وجهي أیظنون أني أنسى لهم عملاً ؟ كيف وأنا الجواد الكريم ، أجود على الموليين عني ، فكيف لا أجود على المقبلين علي ، وما أغضب لشيء كغضبي على من خط خطيئة واستعظمها في جنب عفوي فلو عجلت العقوبة على أحد لعجلتها على القانطين من رحمتي .

« حكاية ابن شمعون »

وكان الحسن بن شمعون يقول : إذا قال العبد : إلهي عصيت ، يقول الله عز وجل : عبدي وأنا رأيت ، فإذا قال : إلهي بالفضول نطق ، يقول الله عز وجل : عبدي وأنا سمعت ، فإذا قال إلهي وإلى الحرام نظرت يقول الله عز وجل : عبدي وأنا شهدت ، فإذا قال : إلهي ندمت ، يقول الله عز وجل : عبدي وأنا علمت ، فإذا قال : إلهي اعترفت ، يقول الله عز وجل : عبدي وأنا عفوت ، فإذا قال : إلهي تبت ، يقول الله عز وجل : عبدي وأنا قبلت .

(٥٤٤) وردت هذه الأبيات بالمدحش (ص ٤٠٣) .

(٥٤٦) ورد هذا البيت في المدحش هكذا (نقضوا العهد وبارزوننا.. الصدود

كاشفونا) .

[جرحى الذنوب]

(٥٤٧)

يا جرحى الذنوب قد علمتم المراهم ، فداؤوا جراح الذنوب ، أخرجوا
من قصر الهوى ، فقد لاحت مدينة مدين ، حزيم العزم الصادق حرام على
التردد ، متى يحرم العزم .

يا هذا لو عرفت نفسك التحقيق لصارت معك فى أصعب مضيق ، لكنها
ألفت التفاتك ، فلما طلبت قهرها فاتك ، هلاً شددت الحيازم ، وقمت قيام
عازم ، وفعلت فعل حازم ، وقطعت على أمر جازم ، تقصد الخير ولكن ملا تلازم .

شعر

(٥٤٨)

ولو أنهم عند كشف القناع وحل العقود ونقض العهود
وخلعهم لعذار الحياء ولبسهم لبرود الصدود
أناخوا بأبوابنا ساعة وأجروا مدايعهم فى الحدود
لعدنا سراعاً إلى وصلهم وقلنا قلوب المحبين عود
إذا سيصلح القدر أرض قلب قلبها بمحراث الخوف ، وبذر فيها حب المحبة
وإذا رآها دولاب العين وأقام حارس المراقبة ، فترى زرع التقوى على سوقه .

(٥٤٧) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٢٤٥) ، من قوله (يا جرحى الذنوب
قد علمتم المراهم إلى قوله (لاحت مدينة مدين) .
(٥٤٨) وردت هذه الأبيات بالمدحش (ص ١٨٦) .

روى أبوذر الهوى عن حامد الأسود صاحب إبراهيم الخواص (٥٤٩) : أنه خرج معه في طريق مكة المشرفة ، فانضمَّ إليهما شاب فمشى معهما يوماً وليلة ما سجد لله سجدة واحدة ، فأعلم إبراهيم بذلك ، فقال له : يا غلام ما لك لاتصلي والصلاة أوجب عليك من الحج ، فقال له : يا شيخ ما على صلاة ، فقال له : أأنت مسلم؟ قال : لا قال : فما دينك قال : النصرانية وإشارتي في ديني إلى التوكل وادعت نفسي أنها أحكمت هذا المقام فأردت أن أختبرها ، هلى هي صادقة فيما ادعته أم لا . فقال إبراهيم : دعه يمشى معك ، فلم يزل يمشى معنا إلى أن وصلنا بطن مر (٥٥٠) ، فقام إبراهيم ، ونزع خلقانه وطهرها بالماء ثم التفت إلى الشاب وقال له : ما اسمك قال : عبدالمسيح ، قال : يا عبدالمسيح هذا دهليز مكة وقد حرم الله عليك وعلى أمثالك دخولها ثم قرأ قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ (٥٥١) . قال حامد : ثم مضينا وتركناه فبينما نحن بعرفات وإذا به قد أقبل وعلى جسده ثوب إحرامه وهو يتصفح الوجوه ، حتى وقف علينا فأكب على رأس الشيخ يقبلها فقال له الشيخ : - ما جاء بك يا عبدالمسيح فقال : يا سيدى أنا اليوم عبد من المسيح عبده ، فقال له الشيخ حدثنا بقصتك ، قال : يا سيدى لما مضيت وتركتمونى ، بقيت مكافى وأنا منكسر القلب ذليل النفس وإذا بقافلة الحج قد أقبلت فقممت وتنكرت بزى المسلمين وسرت معهم محرماً ، وفعلت كما رأيتم يفعلون ، فما هو إلا أن وقع بصرى على الكعبة ، فعند ذلك اضمحل كل دين عندى سوى الإسلام فأسلمت وتطهرت وأحرمت ، وها أنا فى طلبك .

(٥٤٩) إبراهيم الخواص : هو أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الخواص ، له فى التوكل الحال المشهور ، تبطل عن الخلق وتوكل على الحق ، صوفى كان أوحى المشايخ فى وقته ، من أقران الجنيد ، ولد فى (سر من رأى) ومات فى جامع الرى (... - ٢٩١هـ) [الأعلام (٢٨/١)] [الحلية (٣٢٥/١٠)] .

(٥٥٠) بطن مُر : وادٍ فى بطن إضم وقيل هو بطن إضم كذا ضبطه الحازمى ؛ والمر أيضاً أرض بالنجد من بلاد مهرة بأقصى اليمن [معجم البلدان (١٠٦/٥)] .
(٥٥١) سورة التوبة - الآية : ٢٨ .

شعر

ما لي إذا ذُكِرَ العذيبُ (٥٥٢) وأرضه ثم الركابُ وماؤه المورودُ
 أبدى التماسك في الأراك تجلداً ويُمدني مر الصبا فأميدُ
 يا ساكني كتب العقيق أظلكم ورق الشباب وظله الممدودُ
 أحسبتم أهدى التباعد سلوة . للوجد وأنسى الغرام صدودُ
 ولدون ما أودعتموا من الهوى نارٌ لها حبُّ القلوب وقودُ
 تزكو فتمنحها الملامة فيكم هباً فينمو وقدها ويزيدُ
 يهوى لأجلكم الحجيج وما به لولاكم تشك ولا تزهيـدُ
 ويشوقه أرج الحجاز وذكره الشد أني ومرتبغ الحجاز بعيدُ
 يا حاج بيت الله صبراً إن لي حاجاً وحملكم لها المقصودُ
 حيوا أعاريب العذيب وسائلوه إن كان سؤال العذيب يُفيدُ
 وسلوهم رد السلام عليهم وأظن أن سؤالكم مردودُ

قال : فالتفت إبراهيم وقال : يا حامد انظر بركة الصدق في النصرانية
 كيف هداه الله تعالى إلى الإسلام ، قال إبراهيم : فكان هذا الشاب من المجتهدين
 ولم يزل يصحبنا إلى أن مات .

(٥٥٢) العذيب : ماء معروف بين القادسية ومغيثة ، وهو لبني تميم .
 [اللسان (٥٨٥/١ - عذب) ط. دار صادر .

« حكاية مجوسى »

وقال الحسن البصرى : (٥٥٣) رأيت مجوسيا يجود بنفسه فقلت له : كيف أنت قال : أَلَمْ شديد ولا طاقةً لى وطريق بعيد ولا زادَ معى وقبر موحش ولا أنيس لى ، فقلت : هذا كلامٌ حكيم ، ثم أقبلت عليه وقلت له : لم لا تسلم ، فقال : يا شيخ ليس لك من الأمر شيء المفتاح بيد الفتاح والعقل ها هنا وأشار إلى صدره ثم غشى عليه . قال الحسن : فقلت إلهى إن كان سبق لهذا المجوسى عندك سعادة فعجل بها فى هذه الساعة ، وإذا به قد فتح عينيه وقال : يا شيخ إن الفتاح قد أرسل المفتاح مُد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، ثم مات من ساعته .

[اللهم نور قلوبنا بنور توفيقك]

اللهم (٥٥٤) نور قلوبنا بنور توفيقك ، واقطع أيامنا فى الاتصال بك وانظم شتاتنا فى سلك طاعتك ، فأنت أعلم بتلقيق المقترف ، اللهم قو من أطفال التوبة بلبان (٥٥٦) الصبر ، وارفق بمرض الهوى فى مارستان (٥٥٧) الجهل اللهم افتح مسامع الأذهان لقبول ماينفع ، اللهم سلم سياراة الأفكار من قاطع الطريق ، احرس طلائع المجاهدة من خديعة كمين ، وقّع على قصص الإنابة بقلم العفو ، اللهم

(٥٥٣) الحسن البصرى : الحسن بن يسار البصرى ، أبوسعيد ، تابعى ، كان إمام أهل البصرة وحبر الأمة فى زمنه وهو أحد العلماء الفصحاء الفقهاء الشجعان النساك ولد بالمدينة وشب فى كنف على بن أبى طالب كانت أمه تخدم أم سلمة زوج النبى ﷺ فربما عابث فتعطيه ثديها فيدر عليه وقد عاصر كثيراً من الصحابة فهو من كبار التابعين (٢١ هـ - ١١٠ هـ) [الأعلام (٢٢٦/٢)] [صفة الصفوة (٢٣٣/٣)] .

(٥٥٤) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٤١٤ ، ٤١٥) من قوله (اللهم نور قلوبنا ... إلى قول الله تعالى ﴿ ولا تنسوا الفضل بينكم ﴾ .

(٥٥٥) كذا بالأصل وبالمدحش (دنيا) وكلاهما صواب .

(٥٥٦) لبان : اللبان : الرضاع . [اللسان (٣٧٤/١٣ - لبن)] ط. دار

صادر .

(٥٥٧) مارستان : المستشفى أو المصححة . [الوسيط (٨٦٣/٢)] .

لا تسلط جاهل الطبع على عالم القلب لا تبدل نعيم عيش الروح بمحيم حر
النفس ، لا تمت حى العلم فى حى الجهل ، أخرجنا من ظلمة الشك إلى نور
اليقين لا تجعلنا ممن رأى الصبح فأنكره^(٥٥٨) ، لا تؤاخذنا بقدر ذنوبنا ، فأنت
قلت : ﴿ ولا تنسوا الفضل بينكم ﴾^(٥٥٩) .

شعر

إلهى فلا تهتك ذنوباً سترتها فأنت روف بالعباد رحيم
إلهى ولا تحرق بنار جهنم نفوساً رجت عفواً وأنت كريم
إلهى وأدخلنا مع الزمرة التى مثوبتها يوم الجزاء عظيم

الفصل الخامس عشر

[يا جامع المال لغيره]

يا جامع^(٢٦٠) المال لغيره إلى متى تحرص على الدنيا وتنسى القدر ، من ذا
الذى طلب ما لم يقدر فقدر ، تأمل أهل القصور والممالك ثم عد بالنظر فى حالك
لعل ينجلي القلب الحالك^(٥٦١) ، إن لذات الدنيا لفواتك وإن موج بلباها
المتدارك ، كم حج لعينها قاصد فقتلته قبل المناسك خلها واطلب خلة ذات سور
فأدائك والله ما طيب العيش إلا هنالك .

شعر

ألم تروا دول الماضين قبلكم شادوا فأحسن ما كانوا به وهبت
لا تفرحوا بهيات من زمانكم ستسترد الليالى كل ما وهبت

(٥٥٨) كذا بالأصل وبالمدهش (فنام) .

(٥٥٩) سورة البقرة - الآية : ٢٣٧ .

(٥٦٠) وردت بالمدهش (ص ٢٥٩ ، ٢٦٢) من قوله (يا جامع المال لغيره ... إلى

قوله (من ذا الذى طلب ما لم يقدر فقدر) .

(٥٦١) الحالك : الشديد الظلمة والقسوة . [اللسان (١٠/٤١٥) - حلك]

ط. دار صادر .

يا أخى (٥٦٢) : مالك تجمع مالك ، ولست تملك (٥٦٣) ما تخلف ،
والزمان يسومك (٥٦٤) الذهاب وأنت للأذهاب تؤلف ، والله لو كنت من
رياشها ، أكسى من الكعبة لم تخرج منها إلا أعرى من الحجر الأسود. فيا هذا (٥٦٥)
أوقد مصباح الفكر فى بيت العلم ، تلح لك الأعلام ، من عسر (٥٦٦) ثغور الهوى
بجند الجد ملأ عين الطمأنينة (٥٦٧) ، لله در أقوام تأملوا الوجود ففهموا المقصود .

« حكاية التسترى »

قال محمد بن أحمد : خدمت سهل بن عبدالله التسترى (٥٦٨) ثلاثين سنة
فما رأيته وضع جنبه على الأرض بليل ولا نهار وكان يصلى الصبح بوضوء
العتمة ، وهرب من الناس إلى جزيرة بين عبادان والبصرة وسبب فراره من الناس
أن رجلا حجَّ وكان له أخ فلما رجع قال لأخيه : رأيت سهل بن عبدالله فى
الموقف يوم عرفه ، فقال له أخوه : لعلك شئت به فإننا كنا عنده يوم التروية فى
رباط عند باب تستر وقال لنا : لا تجيئوني فى غد فإنى أحس بضعف عندى ،

(٥٦٢) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٢٧٩ ، ٢٦٢) من قوله (ياأخى مالك
تجمع مالك ... إلى قوله (إلا عرى من الحجر الأسود) .
(٥٦٣) (ولست تملك) كذا بالأصل وبالمدحش (ومالك منه إلا) .
(٥٦٤) كذا بالأصل وبالمدحش (يشتك) .
(٥٦٥) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٣٠٤) من قوله (يا هذا أوقد مصباح
الفكر ... إلى قوله (تأملوا الوجود ففهموا المقصود) .
(٥٦٦) كذا بالأصل وبالمدحش (سد) والصواب ما ورد بالمدحش .
(٥٦٧) (ملأ عين الطمأنينة) كذا بالأصل وبالمدحش (ملأ عين راحته نوم
الطمأنينة) .

(٥٦٨) سهل التسترى : سهل بن عبدالله بن يونس التسترى ، أبو محمد : أحد أئمة
التصوف وعلمائهم والمتكلمين فى علوم الإخلاص والرياضيات وغيوب الأفعال ، له كتاب
فى تفسير القرآن مختصر وكتاب « رقائق المحبين » وغير ذلك ميلاده ووفاته (٢٠٠ هـ -
٢٨٣ هـ) [الأعلام (٣/ ١٤٣)] .

فحلف الحاج لأخيه بالطلاق الثلاث^(٥٦٩) أنه رآه في الموقف ، فقال له أخوه :
امض بنا إليه حتى نسأله ، فقاما حتى دخلا عليه ، فقال له أخو الحاج :
يا أبا محمد كنا عندك يوم التروية وكان أخى هذا قد توجه إلى الحج وزعم أنه
رآك بعرفة وحلف على ذلك بالطلاق الثلاث فما تقول في يمينه فقال : مالكم
ولهذا الأمر اشتغلوا بذكر الله تعالى ، ثم قال للحاج : امسك زوجتك ولا تخبر
بذلك أحداً بعد ذلك ثم خرج إلى هذه الجزيرة وأقام بها إلى أن مات .

شعر

(٥٧٠)

قد كنت أطوي على الوجدِ الضلوعَ أبدى الهوى وأسوم القلب كتائباً
فخانى الصبر إذ نادبته ووفت لى الشؤون فعاد السر إعلاناً
أأكم الوجدَ والعينان تُظهره للحب أعظم ممارمه شانا

(٥٧١)

قال أبو عمران الجوبى :- أرتنى أُمى موضعاً من الدار قد انخر فقالت
لى : هذا موضع دموع أهلك .

(٥٦٩) هذه الصيغة للطلاق مخالفة للشرع وهى من الطلاق البدعى ، وقد أجمع
العلماء إلى أنه حرام ، وأن فاعله آثم ، وذهب الجمهور إلى أنه يقع وذهب آخرون إلى أنه
لا يقع ، انظر أدلة كل فريق فى كتاب فقه السنة (٢/٢٣٦ - ٢٤٣) .

(٥٧٠) وردت هذه الأبيات فى المدهش (ص ٣٠٥) .

(٥٧١) ورد هذا القول بالمدهش (ص ٣٠٥) من قوله (أرتنى أُمى موضعاً ... إلى

قوله (هذا موضع دموع أهلك) .

وكان (٥٧٢) حسان بن أبي سنان (٥٧٣) يحضر مجلس مالك بن دينار فيبكي حتى ييل ما بين يديه ولا يسمع له صوت أبدا .

شعر

[المتنبي] (٥٧٤)

أجاب دمعى وما الداعى سوى طليل دعا فلباه قبل الركب والإبل
ظللت بين أصحابى أكفكفهم فظل يسفح بين العذر والعدل
وما صباة مشتاق على أمل من اللقاء كمشتاق بلا أمل .

يا هذا (٥٧٥) : دموع المحبين غدران في صحارى الشوق ، من عادات
القوم ألف الصحارى والبرارى (٥٧٦) والجلوس إلى الشجر فى السحر فإن سمعوا
هتاف الحمام استغنوا عن كل نائح من البشر .

(٥٧٢) ورد هذا الأثر بالمدحش (ص ٣٠٥) من قوله (كان حسان ... إلى قوله
(ولا يسمع له صوت أبداً) .

(٥٧٣) حسان بن أبى سنان بن أبى أوفى بن عوف التنوخى : مترجم ، كان يكتب
بالعربية والفارسية والسراية من أهل الأنبار . كان نصرانياً وأسلم . وكان يعرب الكتب بين
يدى « ربيعة » لما ولاه السفاح الأنبار . ورأى أنس بن مالك ، وأدرك الدولتين الأموية
والعباسية . من نسله قضاة ووزراء (٦٠ - ١٨٠ هـ) [الأعلام (١٧٦/٢)] .

(٥٧٤) نسب صاحب المدحش هذه الأبيات (للمتنبي) . [المدحش (ص ٣٠٥)] .

وقال محققه فى الهامش إنه مطلع قصيدة يمدح بها سيف الدولة عام ٣٤١ ، الديوان

ص ٣٢٨ .

(٥٧٥) وردت هذه الموعظة فى المدحش (ص ٣٠٦) من قوله (دموع المحبين

غدران ... إلى قوله (استغنوا عن كل نائح من البشر) .

(٥٧٦) كذا بالأصل وبالمدحش (البرارى) .

شعر

(٥٧٧)

شوقى إليك مجاوزٌ وصفى وظهور وجدى دونَ ما أخفى
مادام ذكر منك فى خلدى إلا طرقت بدمعتى طرفى
يا هذا : إذا تمكنت المحبة من القلب ، استحال السلو .

[عجوز أضنتها العبادة]

قال بعض الصالحين : كان لى بجانبى عجوز قد أضنتها العبادة حتى
صارت كالشن^(٥٧٨) البالى ، فسألتها أن ترفق بنفسها فقالت : يا شيخ أما علمت
أن رفقى بنفسى غيبة عن بابه ، ومن غاب عن بابه عرض نفسه إلى البلاء والمحن ،
يا شيخ ما قد عملى إذا اجتهدت فكيف إذا قصرْتُ والله لا اجتهدن ثم لا اجتهدن .

شعر

قالوا مُر العينَ تمسك قلت لو فعلت قالوا مر القلب يصبر قلت لو قدرا
الوجد بعدهم حفظ لعهدهم والصبرُ غدرٌ بهم لا كان من غدرا
ثم قالت :- واسواتاه من سوء الفراق ، واحسرتاه يوم السباق ، قلت
لها : وما حسرة السباق وسوء الفراق ؟ ، قالت : أما حسرة السباق فإذا قام
الناس من قبورهم ، وركب الأبرار نجائب أعمالهم ، ورفعت لهم أعلام المحبين ،
وبقى المسبوق فى جملة المتخلفين ، فعند ذلك تنقطع قلوبهم حسرة وندامة ،
وأما سوء الفراق فعند تميز الناس بعضهم من بعض وذلك أن الله جل جلاله إذا

(٥٧٧) ورد هذان البيتان بالمدحش (ص ٣٠٦) .

(٥٧٨) الشن : الشيء الصغير القديم ، والشن الضعف [اللسان (١٣/٢٤٢) -

شنن] .

جمع الناس في صعيد واحد الأولين والآخرين أمر مناديا ينادي : أيها المجرمون امتازوا فإن المتقين قد فازوا ، فيفارق الرجل زوجته والوالد ولده ، والحبيب حبيبه ، هذا يُحمل مُكرماً إلى رياض النعيم وهذا يساق مُهاناً إلى نار الجحيم ، وقد طال بينهم التلفت والوداع ودموعهم تجري لانفاذ لها ولا انقطاع .

شعر

لو كنت ساعة بيننا ما بيننا لرأيت كيف تكرر التوديعا
لعلمت أن من الدموع محدثا وشهدت أن من الحديث دموعا.

يا أخى : اطو الدنيا وزوالك ، فكأنك بالموت وقد حيز بك ، وابدى
علالك ، وخلوت تبكى خلالك ، في زمانٍ خلا لك ، وشاهدت أمراً فظيماً ،
أفطعك وهالك ، تود أن تفتديه بالدنيا لو أنها لك فتنبه من رقاد الهوى لما هو أولى
لك ، واحذر أن تكون أعمالك وأفعالك كالأفقا لك (٥٧٩) .

قال عليه الصلاة والسلام (٥٨٠) : - يؤتى بأقوام يوم القيامة معهم من
الحسنات كأمثال تهمة حتى إذا جرى بهم جعلها الله هباءً منثوراً ثم يقذف بهم في
النار ، قالوا : يا رسول الله كيف ذلك ، قال : كانوا يصلون كما تصلون
ويصومون كما تصومون ويزكون كما تزكون غير أنهم كانوا إذا عُرض لهم شيء من
الدنيا جرام وثبوا عليه فاحبط الله أعمالهم .

وعن بنان الجمال (٥٨١) أنه قال : كنت مطروحاً على باب بنى شيبه سبعة
آيام ولم أذق شيئاً فنوديت في سرى ، من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أعمى الله
عين قلبه .

(٥٧٩) كذا بالأصل ولعل الصواب (كالأفعى لك) .

(٥٨٠) ورد بنحوه في صحيح سنن ابن ماجه (٤١٧/٢) وجاء بدل قوله « إذا عرض
لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه » قوله : « إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها » .

(٥٨١) بنان الجمال : بنان بن محمد بن حمدان الجمال ، يكنى أبا الحسن ، أصله من
واسط ، لكنه نشأ ببغداد وأقام بها ، وسمع الحديث ، إلا أنه انتقل إلى مصر فمات سنة
٣١٦ هـ .

[صفة الصفوة (٤٤٨/٢)]

اسمع يا مقهور^(٥٨٢) على الدنيا بغلبة النفس صل عليها بسوط العزم ، فإنها إن عرفت جدك أستأسرت لك ، امنعها ملذوذ مباحها ليقع الصلح على ترك الحرام ، فإذا جنحت تطلب المباح ﴿ فَأَيُّهَا مَنْ بَعْدَ وَإِنَّمَا فِدَاءٌ ﴾^(٥٨٣) ، الدنيا والشيطان جاريّتان خارجان عنك والنفس عدو مباطن ، ومن آداب الجهاد ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ ﴾^(٥٨٤) ، ليس من بارز بالمحاربة كَمَنْ كَمَنْ ، مادامت النفس حية ، تسبيح^(٥٨٥) فهي حية تسعى ، من عرف تصرف الأيام لم يغفل عن الاستعداد ، ما جرى عبد في ميدان أمله إلا عثر في الطريق بأجله .

شعر

(٥٨٦)

عجبتُ والدَّهْرُ لا تَفْنَى عَجَائِبُهُ للراكنين إلى الدنيا وقد صَدَقُوا
دار تغرُّ بها الآمالُ مهلكةٌ وذو التجارب فيها خائف فَرِيقُ
والمرء مثل هلالٍ عند طلعه يبدو بضوء^(٥٨٧) لطيف ثم يتسقُ
يزداد حتى إذا ما تم أعقبه كر الجديدين نقصاً ثم ينمحُ
يا للرجال بمخدوع بزخرفها بعد البيان ومغرور بها يثقُ
يا أهل دار فناءٍ لا بقاء لها إن اغتراراً بظل زائل حمقُ

-
- (٥٨٢) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٥٨٢) من قوله (يامقهوراً على الدنيا بغلبة النفس ... إلى قوله (فهي حية تسعى) .
(٥٨٣) سورة محمد - الآية : ٤ .
(٥٨٤) سورة التوبة - الآية : ١٢٣ .
(٥٨٥) كذا بالأصل ولعل الصواب ما ورد في المدحش (تسعى) .
(٥٨٦) وردت هذه الأبيات بالمدحش (ص ٢٥٢) .
(٥٨٧) كذا بالأصل ووردت بالمدحش (ضئيلاً) ولعل الصواب ما ورد في المدحش .

[يا من هو في حديث الدنيا أنطق من سحبان]

(٥٨٨)

يا من هو في حديثها أنطق من سحبان ، فإذا ذكرت الأخرة فأبله من باقل
حيلتك في تحصيلها أدق من الشعر وأنت في تدبيرها أصنع من النحل وفم شرهك
أشرب من الهيم ، تجمع فيها الذر كجمع الدر ، ياشبها في البله لدود القز ،
أما انتفعت بموهبة العقل .

شعر

(٥٨٩)

كدودٍ كدودِ القز يُنسج دائماً ويهلك غماً وسط ما هو ناسجُه
ويحك إن سرورها أقتل من السم ، وإن شرورها أكثر من الهم^(٥٩٠) إنها في
قلبك أعز من النفس ، وستصير عند الموت أهون من الأرض ، حرصك بعد
الشيب أحر من الجمر ، أبقى عمر ؟ يا أبرد من الثلج ، يا من هو عن نجاته أنوم
من فهد ، ضيعت عمراً أنفس من النفس^(٥٩١) ، أنت في الشر أجرى من جواد ،
وفي الخير أبطأ من أعرج ، تسعى في العاجل سعى رخ^(٥٩٢) ، وتمشي إلى الآجل

(٥٨٨) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٢٦٠ ، ٢٦١) من قوله (يا من هو في
حديثها ... إلى قوله (إلى كثرة المعاش) .

(٥٨٩) ورد هذا البيت في المدحش (ص ٢٦٠) .

(٥٩٠) كذا بالأصل وبالمدحش (التمل) . والأفضل ما ورد بالمدحش .

(٥٩١) كذا بالأصل وبالمدحش (الدر) .

(٥٩٢) رخ : اسم طائر خرافي بالغ القدامى في وصفه [الوسيط

(٣٣٦/١)] .

ولعلها توحى بسرعة السعى في الدنيا .

مشى فرزان^(٥٩٣) ، صدرك في حديث الدنيا أوسع من البحر، ووقت العبادة أضيق من عقد التسعين^(٥٩٤) ، معاصيك أشهر من الشمس وتوبتك أخفى من السماء^(٥٩٥) ، إن عرضت خطيئة وثبت وثوب الثمر فإذا لاحت طاعة رغت روغان الذئب ، ويحك تفكر قبل سلوك الهوى إلى كثرة المعاش ، فإن طائر الطمع يرى الحبة لا يرى الشرك ، أين ما حل في الفم وجل في العين ، ذهب الكل وأنت لا تدري إلى أين ضيعت سهادك بسعادك ، رمتك هند إلى الهند ، صيرت ليلى ليلاً ، دع سلماً وسل ما ينفعك .

شعر

دعه لمثلك ترك وعد في الهوى وسعادة لك هجرة لسعاد
يا صبيان^(٥٩٦) التوبة للنفس حظ وعليها حق ﴿ فلا تملوا كل
الميل ﴾^(٥٩٧) ﴿ وزنوا بالقسطاس المستقيم ﴾^(٥٩٨) ، فإن رأيتم في النفوس فتورا
فاضربوهن بسوط التخويف^(٥٩٩) ﴿ فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن
سيلاً ﴾^(٦٠٠) .

-
- (٥٩٣) فرزان : من لعب الشطرنج (الملكة) [اللسان (٣٢٢/١٣) -
فرزن] ط. دار صادر ولعلها توحى ببطء السعى إلى الآخرة .
(٥٩٤) عقد التسعين : أن تجعل الأمل السبابة في أصل الإبهام . [هامش
المدحش ٢٦٠] .
(٥٩٥) كذا بالأصل ووردت في المدحش (السهى) ولعل ما ورد في المدحش هو
الصواب .
ومعنى السهى : كوكب صغير خفى الضوء في بنات نعش الصغرى أو الكبرى .
[الوسيط (٤٥٩/١)] .
(٥٩٦) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٣١٠) من قوله (يا صبيان التوبة ... إلى
قوله تعالى ﴿ فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سيلاً ﴾ .
(٥٩٧) سورة النساء - الآية : ١٢٩ .
(٥٩٨) سورة الشعراء - الآية : ١٨٢ .
(٥٩٩) كذا بالأصل وبالمدحش (الهجر) والصواب ما ورد بالمدحش .
(٦٠٠) سورة النساء - الآية : ٣٤ .

شعر

[الشريف الرضى] (٦٠١)

يا نفسُ قد عزَّ المرادُ فخذى إن كنتِ يوماً تأخذين أو ذرى
عمر الفتى شبابه وإنما آونة الشيبِ انقضاءُ العُمُرِ

[لا طاب عيش الموت آخره]

تالله (٦٠٢) ما صبح من يطلبه مرضه ، ولا سر من سيرحل عنه غرضه ،
ولا استقام غصن يلويه كاسره ، ولا طاب عيش الموت آخره ، إن الطمع
لعذابٌ ، ومحِب (٦٠٣) الأمل كذابٌ ، وفي طريق الهوى عقابٌ ، وعاقبة المعاصي
عقابٌ ، فلا يخذعنك ضياء ضباب ، ولا يطمعنك شراب سراب ، فمجيء الدنيا
على الحقيقة ذهاب ، وعمارة الفانى إن فهمت خراب وفرح الغرور ثبور
واكتئاب ، ودبور الشيب يدفع ضباب الشباب (٦٠٤) فيا تائها في ظلمة ظلمه ،
يا موغلاً في مفازة تيهه ، يا باحثاً عن مديّة حتفه ، يا مشيداً رتبة (٦٠٥) هلكته ،
يا معمقاً مهواة مصرعه بشس ما اخترت لأحب الأنفس إليك ، ويحك تطلب
الجاده فلست على الطريق .

(٦٠١) نسب صاحب المدهش هذين البيتين (للشريف الرضى) . [المدهش (ص

٢٩٥] .

(٦٠٢) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣١٢) من قوله (تالله ما صبح من يطلبه
مرضه ... إلى قوله (ويحك تطلب الجادة فلست على الطريق) .

(٦٠٣) كذا بالأصل وبالمدهش (وحديث) ولعل ماورد في المدهش هو الصواب .

(٦٠٤) كذا بالأصل وقد وردت هذه العبارة في المدهش هكذا (ودنو الشيب ينسخ

ضياء الشباب) [المدهش (ص ٣١٣)] .

(٦٠٥) (يامشيداً رتبة) كذا بالأصل وبالمدهش (يا حافراً زيبة) .

شعر

(٦٠٦)

يا غادياً في غفلةٍ ورائحاً إلى متى تستحسنُ القبائِحاً
وكم إلى كم لا تخافُ موقفاً يستنطقُ الله به الجوارِحاً
واعجباً منك وأنت مبصرٌ كيف تنحيت^(٦٠٧) الطريقَ الواضِحاً
كيف تكون حين تلقى في غدٍ صحيفةً قد حوت الفضائِحاً
وكيف ترضى أن تكون خاسراً يوم يفوز من يكون راجحاً

الفصل السادس عشر

[يا مخدوعاً قد فتن]

(٦٠٨)

اسمع يا مخدوعاً قد فُتن ، يا مغروراً قد غبن ، من لك إذا سوى عليك
اللبن ، في بيت قط ما سكن ، سلبُ الرفيق نذير والعاقل فطن واعجباً لنفس
تدعى إلى الهدى فتأبى ثم ترى خطأها بعين الهوى صواباً ، كم أذهبت زماناً وكم
أفنت شباباً ، وكم سودت في بيض أعراضها كتاباً .

(٦٠٦) وردت هذه الأبيات في المدهش (ص ٣١٥) .

(٦٠٧) كذا بالأصل وبالمدهش (تنجيت) والصواب ما ورد بالمدهش .

(٦٠٨) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٢٤٠) من قوله (اسمع يا مخدوعاً قد

فتن ... إلى قوله (والعامل فطن) .

شعر

(٦٠٩)

يا محب الدنيا العُرُور اغتراراً راكباً في طلايها الأخطارا
 يتغنى وصلها فتأني عليه وترى أنسه فتبدى نقارا
 كم محب أرتة أنساً فلما حاول الوصل^(٦١٠) صيرته ازورارا
 شيب حلو اللذات منها بمر إن حلت مرة أمرت مرارا
 في اكتساب الحلال منها جلال^(٦١١) واكتساب الحرام يصلى النارا
 وليالى الهموم فيها طوال وليالى السرور تمضى قصارا
 كم ملك مسلط ذلته بعد عزٍ فما أطاق انتصارا
 ونعيم قد أعقبته بؤسٌ ومغان قد أعقبها^(٦١٢) قفارا
 أيها المستعير منها متاعا عن قريب^(٦١٣) ستأخذ^(٦١٤) المستعارا

(٦١٥)

لله دُرُّ أقوامٍ تأملوا غيبها ، ومازالو حتى رأو عيبها ، نزلوا من الدنيا منزلة
 الأضياف ، أخذوا الزاد وقالوا ما زاد إسراف ، رموا فضول الدنيا من وراء جبل
 قاف ، لو رأيتم في الدجا يراعون النجوم ، وخيل الفكر قد قطعت جلاب
 الهموم ، أحرقت أحزانهم أجسامهم ، وبقيت الرسوم ، بلغتهم البلف ، ورمتك

(٦٠٩) وردت هذه الأبيات بالمدحش (ص ٢٧٨) .

(٦١٠) كذا بالأصل وبالمدحش (الزور) والأصوب ما ورد بالمدحش .

(٦١١) كذا بالأصل وبالمدحش (حساب) .

(٦١٢) كذا بالأصل وبالمدحش (غادرتها) .

(٦١٣) كذا بالأصل والمدحش (قليل) . وكلاهما صواب .

(٦١٤) كذا بالأصل وبالمدحش (تسترجع) والصواب ما ورد بالمدحش .

(٦١٥) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٣١٨) ... من قوله (لله در أقوام تأملوا

غيبها ... إلى قوله (من يشتري ؟ من يسوم) .

التخم في التخوم ، سكرُوا من مناجاة الكريم ، لا من نبات الكروم ، هذه سلع
الأسحار من يشتري ؟ من يسوم ؟ .

قال الحسن : بلغنى أن ريحا من الجنة تهب وقت الأسحار خاصة فتحرك
أشجار الجنة ، فبرد السحر وطيبه إنما هو مما يخرج من خلال تلك الأشجار .

شعر

يا حبذا جبل الريان من جبل وحبذا ساكن الريان من كانا
وحبذا نفحات منه واردة تأتيك من قبل الريان أحيانا

« حكاية ذي النون المصرى »

قال ذو النون المصرى : كنت بمكة شرفها الله تعالى فقامت ذات ليلة إلى
الطواف فلما كان وقت السحر رأيت نورا قد بلغ عنان السماء فتعجبت من ذلك
النور وأتممت طوافى واستندت إلى السقاية متفكرا فى ذلك النور إذ سمعت صوت
قائل يقول :

أنت تدرى يا حبيبى من حبيبى أنت تدرى
قد كتمتُ الحب حتى ضاق بالكتمان صدرى
ونحول الجسم والدمع يوحسان بسرى

قال ذو النون : فشجاني والله ما سمعت فبكيت حتى انتحبت وقمت اتبع
الصوت فإذا هى امرأة فسمعتها تقول : إلهى بحبك لى ألا غفرت لى فتعاضمنى
ما سمعته منها فقلت لها : لا تقولى هكذا ولكن قولى بحبى لك ألا غفرت لى ،
فقالت : يا ذا النون أما سمعت قوله تعالى ﴿ فسوف يأتى الله بقوم يحبهم
ويحبونه ﴾ (٦١٦) يا ذا النون لو لم يحبنى ما اختارنى لمحبه فقلت : أراك نحيفة
الجسم صفراء اللون أبك علة فقالت :

(٦١٦) سورة المائدة - الآية : ٥٤ .

محب الله . في الدنيا عليلٌ تطاول سقمُه فدواه داؤه
كذا من يدعى لله حياً يهيمُ بوجده حتى يراه
ثم قالت : انظر من خلقت فلا أدري السماء رفعتها أم الأرض ابتلعتها .

[احذروا الهوى]

(٦١٧)

إخواني : زودوا هممكم عن مرعى الهوى فإنه يزيد لها عجباً ، لا تولوا
فرعون الهوى على مدن الأبدان ، ﴿ إلى أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في
الأرض الفساد ﴾ (٦١٨) ، زنوا حلوا المشتبهى بمر العقاب ، يبين لكم التفاوت إلى
كم يقودكم الهوى ، إلى كم تستعبدكم الدنيا .

شعر

[الشريف الرضى] (٦١٩)

كم اضطبار على ضيم ومنقصةٍ وكم على الذل إقرارٌ وإذعانُ
ثوروا لها ولتهن فيها نفوسكم إن المناقب للأحرار (٦٢٠) أثمانُ

إخواني (٦٢١) :- تيقظوا فالأيام دائبة ، وتحفظوا فالسهام صائبة ،
واحذروا دنياكم فما هي مواتية ، واذكروا آخراكم فما هي آتية ، أما رأيتم الدنيا

(٦١٧) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٣٢٢) من قوله (إخواني : ذودوا
هممكم عن مرعى الهوى ... إلى قوله (إلى كم تستعبدكم الدنيا ؟) .

(٦١٨) سورة غافر - الآية : ٢٦ .

(٦١٩) نسب صاحب المدحش هذين البيتين (للشريف الرضى) [المدحش (ص

٣٢٣)] .

(٦٢٠) كذا بالأصل وبالمدحش (للأرواح) .

(٦٢١) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٣٢٦) من قوله (إخواني تيقظوا فالأيام

دائبة ... إلى قوله (فكيف بمن يهوى الدنيا) .

قد أبانت خداعها ومكرها ، إذا أبانت من جمعها بمكرها ، أين الارتياح للسلامة ،
أين الاستعداد قبل الندامة أبدا ! عباد الله من تعلق قلبه بالجنة لم يصلح لنا ،
فكيف بمن يهوى الدنيا .

شعر

(٦٢٢)

أردناكم صرفاً فلما مزجتم بعدتم بمقدار التفاتكم عنا
وقلنا لكم لا تُسكنوا القلب غمرا فأسكنتم الأغيار ما أنتم منا

« حكاية عبدالواحد »

قال عبدالواحد الواعظ :- ذكر لي عن جارية مجنونة أنها تتكلم بالحكم
والمواعظ الحسنة فلم أزل أطلبها حتى وجدتها يوماً بفلاة من الأرض وهي جالسة
على حجر وعليها جبة من صوف ، وهي مخلوقة الرأس قال : فلما نظرت إليها
قالت لي من قبل أن أكلمها : مرحبا بك يا عبدالواحد فتعجبت من معرفتها لي
ولاسمى ولم ترني قبل ذلك فعلمت أنها من الصالحات إلا أنها قد غلب عليها الوله ،
ثم قالت : ما جاء بك يا عبدالواحد قلت : جئت لتعطيني فقالت : سبحان الله
كيف أعظك وأنت تعظ الناس ، قلت لها : إن بي جرحاً قد نفل بي وأعيى الأطباء
دواؤه فإن رأيتي أن تمنى على بمرهم يلائمه كان لك أجر ذلك ، فقالت : اعلم أن
العبد إذا كان من الله في كفاية ومال إلى الدنيا سلبه الله حلاوة الطاعة فيظل والهأ
حيراناً فيقول الله عز وجل : عبدي أردت أن أرفع قدرك عند ملائكتي وحمة
عرشي فملت إلى عرض الدنيا وتركتني ، فأورثتك تلك الوحشة بعد الأنس ،
والذل بعد العز ، عبدي ارجع إلى ما كنت تعهده من نفسك ، ارجع إلى
ما عهدته من إحساني ثم تركتني وانصرفت .

(٦٢٢) ورد هذان البيتان في المدهش (ص ٣٢٦) .

[أرباب العزائم]

(٦٢٣)

إخواني :- أين أرباب العزائم القوية ؟! امتلأت بالأبرار البرية ، رحلوا
وفاتوا ، ونحن متنا وهم ماتوا .

شعر

(٦٢٤)

وما وجد أعرابية قذفت بها	صروف الهوى من حيث لم تك ظنت
إذا ذكرت ماء العذيب ^(٦٢٥) وطيبه	وبرد حصاه آخر الليل جنت
بأكثر منى لوعة غير أننى	أجمجم ^(٦٢٦) أحشاي على ما أجنت
فلا أنه وقت العشاء وأنة	سحرا فما لي راحة غير أنتي

(٦٢٣) وردت هذه الموعظة في المدهش (ص ٣٢٤) من قوله (إخواني أين أرباب
العزائم ... إلى قوله (ونحن متنا وهم ماتوا) .
(٦٢٤) وردت هذه الأبيات في المدهش (ص ٢٨٤) .
(٦٢٥) العذيب : ماء لبنى تميم . [اللسان (١/٥٨٥ - عذب)] ط. دار
صادر .

(٦٢٦) أجمجم : أخفى ولا أبدى وهى كناية عن حبس لوعته . [الوسيط
(١/١٣٣)] .

[نسيم الأسحار]

(٦٢٧)

يا هذا : كرب المحب بالنهار ، يشتد لمزاحمة رقباء المخالطة ، فإذا هب
نسيم السحر وجد روحه روحا ، تصل من قصر مصر المنى^(٦٢٨) ، إلى أرض
كنعان الأمل ، فيقوم راكب الشوق يتجسس النسيم من فرج الفرح طال الرجا
على الأبدان وقصر على القلوب .

شعر

(٦٣٠)

شكونا إلى أحبابنا طولَ ليلنا فقالوا لنا ما أقصرَ الليلَ عندنا
وذلك أن اليوم يغشى عيونهم سريعا ولا يغشى لنا النومُ أعينا
فلو أنهم كانوا يلاقون مثلَ ما نلاقى لكانوا في المضاجع مثلنا
دموع الخائفين يحبسها بالنهار مراقبة الخلق فإذا جن الليل انفتح سد
الدموع ﴿ فسالت أودية بقدرها ﴾^(٦٣١) رياح الأسحار [أقوات الأرواح]^(*) .

(٦٢٧) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٣٢٧) من قوله (كرب المحب
بالنهار ... إلى قوله (رياح الأسحار أقوات الأرواح) .
(٦٢٨) مصر المنى : قليلها . [الوسيط (٨٧٣/٢)] .
(٦٢٩) كذا بالأصل وبالمدحش (الدجى) .
(٦٣٠) ورد البيت الأول فقط من هذه الأبيات في المدحش (ص ٣٢٨) .
(٦٣١) سورة الرعد - الآية : ١٧ .
(*) ما بين المعكوفتين سقط أثبتناه من المدحش .

شعر

(٦٣٢)

سلوا بعدكم وادى الحما ما أساله دمي ودموعي في هواكم أم القطر

(٦٣٣)

بعضهم كان يقول لولده : يا بني طال والله حزني على دار خرجت منها
فلو رأيته زهقت نفسك .

شعر

(٦٣٤)

كيف لا أبكى على عيش مضى بعثُ روعي برخيص^(٦٣٥) الثمن
كيف أرجو البرء من داء الهوى وطيبى في الهوى أمرضنى

(٦٣٦)

يا أئحى : اكتب قصة الندم بمداد الدمع وابعثها مع ريح الزفرات لعل
الجواب يصل برفع الجوا .

(٦٣٢) ورد هذا البيت في المدهش (ص ٣٣١) .

(٦٣٣) ورد هذا الأثر في المدهش (ص ٣٣١) .

(٦٣٤) ورد هذان البيتان في المدهش (ص ٣٣٢) .

(٦٣٥) (روعي برخيص) كذا في الأصل وفي المدهش (عمري بحقير) .

(٦٣٦) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣٣٢) من قوله (يا أئحى اكتب قصة

الندم ... إلى قوله (لعل الجواب يصل برفع الجوى) .

شعر

(٦٣٧)

خَلَّ دَمْعَ الْعَيْنِ يَنْهَمِلُ بَانَ مِنْ تَهَوَاهِ وَارْتَحَلَ (٦٣٨)
كُلَّ دَمْعٍ صَانَةً صُلْفٍ (٦٣٩) فَهُوَ يَوْمَ الْبَيْنِ مَبْتَذَلٌ

[انْتَبِهْ لِنَفْسِكَ]

(٦٤٠)

يا أَخِي : انتبه لنفسك ، يا من كلما حرك نام ، قلبك محبوس في سجن
طبعك ، يا مقيداً بقيود جهلك ، البس لامة عزمك ، وسر في جند جدك لعلك
تخلصه من أيدي أعاديهِ ، يا جامد الدمع اليوم ، غدا تدنو الشمس من الرؤوس
فتنفث أفواه مسام العروق ، فتبكي كل شعرة بعين عرقها ، أين الذين نصبوا
الآخرة بين أعينهم ، فنصبوا وندبوا أنفسهم للبكاء ، فمُحيت سيئاتهم إذ ندبوا .

« حكاية ذي النون المصري »

قال ذو النون المصري : بينا أطوف ذات ليلة وإذا بجارية معلقة بأستار
الكعبة وهي تناجي ربها فقلت لها : السلام عليك يا أمة الله فقالت : وعليك
السلام يا ذا النون ، فقلت لها : ومن أين عرفتيني فقالت : جالت روحي
وروحك في الملكوت فعرفني بك ذي العزة والجبروت ، ثم ولت وطافت حول
البيت ورجعت فنظرت إليها فإذا هي من كثرة البكاء لا تبصرني ، فقلت لها :
يا جارية إن معي كحلا صنعته لنفسى ، وإني أرى عينيك قد أضرت بهما البكاء

(٦٣٧) ورد هذان البيتان بالمدحش (ص ٣٣١) .

(٦٣٨) كذا بالأصل وبالمدحش (فاحتملوا) .

(٦٣٩) كذا بالأصل وبالمدحش (كلف) .

(٦٤٠) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٣٣٢) . من قوله (يا أخى انتبه

لنفسك ... إلى قوله (فمُحيت سيئاتهم إذا ندبوا) .

أفأتيك منه بشيء قال : فمضت ولم تكلمنى وطافت حول البيت ثم رجعت فتأملتها فإذا هى كالشن البالى تكاد الريح تحملها لدقة جسمها ، فقلت لها : يا جارية إن لربك عليك حقاً ولبدنك عليك حقاً فأد لكل ذى حق حقه وعليك بالرفق لنفسك فقد يُنال ما عند الله بدون هذا الجهد فقالت : يا ذا النون : قد كان لى دمع فأفنيته وجسم فأبليتة ونظر فأعميته ، قلب فأضنيته ومن عرف ما يطلب هان عليه ما يئذل فدع عنك ما يضرنى ولا ينفعك ، ثم غابت عني فلم أرها .

شعر

(٦٤١)

مهلاً عذول صليت نار جوانحي وغرقت فى تيار دمعى المسبل
هذا حشاي لديك فانظر هل ترى قلباً فان صادفت قلباً فاعذل

الفصل السابع عشر

[كفى بالموت واعظاً]

(٦٤٢)

اسمع : يا من يمشى على ظهور الحفر ، ويرى السابقين إلى بيوت
المدر^(٦٤٣) ، لو أصغى سمع التدبر سمع العبر ، كفى بالموت واعظاً يا عمر .

(٦٤١) ورد هذان البيتان فى المدهش (ص ٤٤٣) .

(٦٤٢) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٢١٦) . من قوله (اسمع : يا من يمشى على ظهور الحفر ... إلى قوله (كفى بالموت واعظاً يا عمر) .

(٦٤٣) المدر : قطع الطين اليابس . والمقصود المقابر . [اللسان (٥/١٦٢) -

مدر] ط. دار صادر .

شعر

[لأبي العتاهية] (٦٤٤)

وعظمتك أجداث ضمت ونعتك أزمنة خفت
وأرتك قبرك في القبور وأنت حي لم تمت

[أين أرباب المناصب]

(٦٤٥)

أين أرباب المناصب ، أبادهم الموت الناصب (٦٤٦) ، أين المتجبر الغاصب
أذله عذاب واصب (٦٤٧) ، لفت والله الأكفان كالعصائب ، على تلك العصائب ،
وحلت بهم آفات المصائب ، إذ حل بفنائهم سهم صائب فيا من بين يديه هذه
المصائب ، أحاضر عندنا أم غائب ؟ كم عاص بات في ذنوبه ، يتقلب على فراش
عيوبه ، بين مزمار ومزهر ، ومسكر ومنكر ، فجاءه الموت فجاءة ، فأنساه ولده
ونساه والده (٦٤٨) ، فنقل إلى اللحد ذميماً ، ولقى من غب (٦٤٩) المعاصي أمراً
عظيماً .

(٦٤٤) نسب صاحب المدهش هذين البيتين (لأبي العتاهية) . [المدهش (ص ٢١٦)] .

ديوان شعره (ص ٧٨ ، ٧٩) [هامش المدهش (ص ٢١٦)] .
(٦٤٥) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣٣٤) . من قوله (أين أرباب
المناصب ... إلى قوله (ولقى من غب المعاصي أمراً عظيماً) .
(٦٤٦) الناصب : المتعب والمجهد . [اللسان (١/٧٥٨ - نصب)] ط. دار
صادر .

(٦٤٧) واصب : أي دائم . [اللسان (١/٧٩٧ - وصب)] ط. دار صادر .
(٦٤٨) (نساه والده) كذا بالأصل وبالمدهش (ونسائه) .
(٦٤٩) غب : الغب : الكثير من الماء ، والمراد هنا الكثير من المعاصي [الوسيط
(٢/٦٤٢)] .

شعر

(٦٥٠)

أُمسى وأُستِ عنده قينةٌ فأصبحت تندبه نائحة
فكُنْ من الدنيا على أهبة فإنها ليست له صالحة
من كانت الدنيا به برةً فإنها يوما له ذابحة

اسمعوا (٦٥١) يا معاشر الأصحاء ، اغتنموا نعمتى السلامة والإمهال ،
واحذروا خديعة المنى والآمال ، فقد جربتم على النفس تذييرها فى بضاعة العمر ،
فانتبهوا لحفظ الباقي ، ﴿ وَلَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُم ﴾ (٦٥٢) ، أيام العمر
معدودة ، وسيفنى العَدَدُ ، وطريق صعبة على قلة العَدَدُ ، أتراك تظن أنك تبقى
إلى الأبد ؟ ، أما يعتبر بالوالد الولد ، أين المتحرك فى الهوى همد ؟ أين ماء
الأعراض ؟ جمد ، تساوى فى الممات الثعلب والأسد وشارك الموهى بين الحديد
والمسد (٦٥٣) ، واستقام قياس النقض للكل واطرد ، أفلا ينتبه من رقدته من
رقد .

شعر

[الشريف الرضى] (٦٥٤)

تفوز بنا المنون وتستبد ويأخذنا الزمان ولا يردُّ
وأُنظر ماضياً فى عقب ماضٍ لقد أيقنت أن الأمر جدُّ

(٦٥٠) وردت هذه الأبيات بالمدحش (ص ٣٣٤) .

(٦٥١) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٣٤٢) من قوله (يا معاشر
الأصحاء ... إلى قوله (أفلا ينتبه من رقدته غافل) .

(٦٥٢) سورة النساء - الآية : ٥ .

(٦٥٣) المسد : الليف . [الوسيط (٨٦٨/٢)] .

(٦٥٤) نسب صاحب المدحش هذه الأبيات (للشريف الرضى) [المدحش

(ص ١٥٩)] .

رويدا بالفرار من المنايا فليس يفوتها السارى المجد
أغارهم الزمان نعيم عيش وحاول رده منهم فردوا^(٦٥٥)
فأين ملوكنا الماضون قدماً أعدوا للنوائب واستعدوا؟

هم فرط لنا فى كل يوم ، يمدهم وإن لم يستمر وياشاربين^(٦٥٦) من منهل
الهوى شرب الهيم^(٦٥٦) ، يا جاعلين نهار الهدى كالليل البهيم^(٦٥٨) ، يا مقيمين على
الدنس وليس فيهم مقيم ، يا سالمين من أمراض البدن وكلهم سليم^(٦٥٩) .

قال بعض السائحين : رأيت فى تيه بنى إسرائيل رجلاً يتمايل ضعفاً ونحولاً
فسألته عن حاله فقال : أنا رجل عليل فقلت له : وما يصنع العليل فى البرية ؟
فقال : يا هذا إني تفكرت فى نفسى وتأملت فى حالى فلم أر لى معيناً على براء
علتى غير وحدتى ، فقلت له : يا أخى كم لك بهذه العلة قال : منذ عرفت نفسى ،
قلت : ما بالك لا تتداوى فقال : لم أترك دواء إلا استعملته ولا طبيباً إلا سألته ،
فلم أجد لدائى عندهم دواء فقلت له : يا هذا إني أعرف طبيباً حاذقاً ليبياً فإن
وصفت لى داءك أتيتك منه بدوائك فنظر إلى ثم قال :

قل للطبيب دوائى لست تعرفه فخلّ عنك . علاجى أيها الرجل
هل فى دواء من يطب الناس منفعة لمن أضرب به التسوية والأمل

ديوان شعره (٣٦٦/١) [هامش المدهش (ص ١٥٩)] .
(٦٥٥) ورد الشطر الثانى من هذا البيت فى المدهش هكذا (فيا سرعان ما استلبوا وردوا)
[المدهش ١٥٩] .
(٦٥٦) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣٤٢) من قوله (ياشاربين من منهل
الهوى ... إلى قوله (ياسالمين من أمراض البدن وكلهم سليم) .
(٦٥٧) الهيم : العطش . [الوسيط (٢/١٠٠٤ ، ١٠٠٥)] .
(٦٥٨) البهيم : الذى لا ضوء فيه إلى الصباح [الوسيط (١/٧٤)] .
(٦٥٩) سليم : أظن أن هذه الكلمة (سقيم) بمعنى مريض حتى يستقيم المعنى ، والله
أعلم .

ثم قال : يا أخى عزمت على الكى ، فقلت له ، وما الكى قال : مخالفة النفس والهوى فإنه الطب الذى فيه الشفاء ثم تركنى ومضى .

(٦٦٠)

اسمع يا ثقیل النوم يا بطيء اليقظة يا عديم الفهم ، أما ينبهك الآذان أما تزعجك الحداة ، أترى تخاطب عجماء أو تكلم صماء ، يامطلق النواظر فى محرم المنظور ، ﴿ لترون الجحيم ﴾ (٦٦١) .

يا إخوانى : لا يغرنكم إمهال العصاة ﴿ إن إلينا إيابهم ﴾ (٦٦٢) .

[حكاية ذكوان البصرى]

قال بعض الصالحين :- كان بالبصرة رجل يعرف بذكوان (٦٦٣) ، وكان سيدا فى زمانه ، فلما توفى لم يبق بالبصرة رجل إلا شهد جنازته ، فلما انصرف الناس من دفنه ، نمت بين القبور فإذا ملك نزل من السماء وهو يقول يا أهل القبور قوموا ، لأجوركم ، فانشقت القبور عن أهلها وكل من كان فيها وذكوان من جملتهم وعليه حُلَّتَان يفوقان الوصف وعلى رأسه تاج من الذهب الأحمر مرصع بأنواع الدُرّ والجوهر ، فقامت مسلما عليه ومهثئا له فرأيت فى وجهه نقطة سوداء فسألته عن تلك النقطة فبكى بكاء شديدا وقال : يا أخى كنت قبل موتى بأيام يسيرة ماشيا فى بعض شوارع البصرة فرأيت جارية لم أر أحسن من عينها فقلت لها يا جارية هل أنت خالیه من زوج فقالت لى : يا شيخ وما حملك على ما ذكرت لى فقلت لها : حسن عينيك فقالت : إن كنت صادقا فاتبعنى فاتبعها

(٦٦٠) وردت هذه الموعظة بالمدھش (ص ٣٤٣ ، ٢٤٤ ، ٣٤٤) ، من قوله (اسمع يا ثقیل النوم ... إلى قول الله تعالى : ﴿ إنا إلينا إيابهم ﴾ .

(٦٦١) سورة التكاثر - الآية : ٦ .

(٦٦٢) سورة الغاشية - الآية : ٢٥ .

(٦٦٣) ذكوان : هو أبوصالح السمان [تقريب التقريب (٤٣٦/٢)] .

[هامش طبقات الصوفية (ص/٤٢٨)]

حتى أتت إلى دار فدخلت وخرجت إلى عجز فأذنت لي في الدخول ، فدخلت ، فوجدتها خلف ستر فقالت لي : يا شيخ أنت مقيم على حالتك وصادق في مقالتك فقلت نعم ، فقالت : والله لا فتنك بعدك مسلماً أبداً ، ثم أدخلت أصبعيها في عينيها ورمت بهما إليّ وقالت يا شيخ هذا الذي فتنك مني قد رميت بهما إليك قم في حفظ الله قال ، فخرجت من عندها هاربا وأتيت إلى محرابي ولم أزل في بكاء وانتحاب حتى قبضت فلما نفخ في الصور نفخة البعث وقمنا من قبورنا وطفنا حول العرش نادى ملك : يا أهل الاجتهاد إن الله يستحي أن يناقشكم الحساب جوزوا الصراط بفضل الله ورحمته ومغفرته فقام المجتهدون فسرت معهم فلما توسطنا الصراط جاز الناس وبقيت أنا فجعلت أنادى يا أحبائي فلا يجيبوني فأيقنت بالهلاك فبينما أنا كذلك وإذا بلسان من نار قد خرج من جهنم فلفح في وجهي ما رأيته ونادى منادى يا ذكوان هذا يوم الجزاء لفحة بنظرة ولوزدت لزدناك .

شعر

جنبوني خطب البعاد وسهل كل خطب سوى النوى والبعاد
يا من (٦٦٤) عهدنا معه يوم (ألست) لاتحل عقدة العهد بأنامل الزلل فما يليق
بشرف قدرك خيانة .

شعر

(٦٦٥)
بجرمة الود الذي بيننا لا تفسدوا الأول بالآخر
(٦٦٦)

اسمع يا من أبعدته الذنوب عن ديار الأنس ، ابك وطر الوطن عساك
ترد .

(٦٦٤) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٣٤٤) من قوله (يا من عهدنا معه يوم
(ألست) ... إلى قوله (فما يليق بشرف قدرك خيانة) .
(٦٦٥) ورد هذا البيت بالمدحش (ص ٣٤٤) .
(٦٦٦) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٣٥٧) من قوله (يا من أبعدته
الذنوب ... إلى قوله (عساك ترد) .

« شاب مات متأسفاً على ما فعل »

(٦٦٧)

قال بعض السلف :- رأيت شاباً في سفح جبل عليه آثار القلق ودموعه تتحادر فقلت له من أنت ؟ فقال : آبق من مولاه قلت : تعود وتعتذر فقال : العذر يحتاج إلى حجة فكيف يعتذر المفرط قلت له : تتعلق بشفيح فقال : كل الشفعاء يخافون منه فقلت من هو قال : مولى رباني كبيراً^(٦٦٨) فعصيته كثيراً^(٦٦٩) فواحيائي منه ومن حسن صنيعه وقبح فعله ، ثم صاح صيحة خرجت فيها روحه فخرجت عجوز إليه وقالت : من أعان على قتل البائس الحيران ؟ فقلت لها : أقيم عندك أعينك عليه ، فقالت : نَحْلَه . ذليلاً بين يدي قاتله^(*) عساه يراه بغير معين فيرحمه .

(٦٦٧) وردت هذه القصة بالمدحش (ص ٣٥٧) .

من قوله (رأيت شاباً في سفح جبل ... إلى قوله (عساه يراه بغير معين فيرحمه) .

(٦٦٨) كذا بالأصل وبالمدحش (صغيراً) وما ورد بالمدحش هو الصواب .

(٦٦٩) كذا بالأصل وبالمدحش (كبيراً) وما ورد بالمدحش هو الصواب .

(*) ما ينبغي لأحد أن يصف الله تبارك وتعالى بأنه قاتل . فهذا يتعارض مع التنزيه المطلق لله سبحانه .

شعر

(٦٧٠)

يا حادى الأضغان^(٦٧١) عج^(٦٧٢) متوقفاً وانظر دم العشاق كيف يراق
صبروا على ألم التهاجر واللقاء^(٦٧٣) وتجرعوا ألم الفراق وذاقوا

[يا معاشر التائبين]

(٦٧٤)

يا معاشر التائبين من أقامكم وأقعدنا ؟ من قربكم وأبعدنا ؟ ﴿ إِنَّ لِحُنْ
إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنْ عَلَىٰ مِنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾^(٦٧٥) كم وعظمتنا الدنيا ،
وأبلغت إذ قالت وخبرت برحيلها قبل أن يقال زالت وما سقطت جدرانها . حتى
أنذرت ومالت ، وحذرت ، لقد قرب الاغتراب في التراب ، ودنى سل السيف من
القرب ، يا من زمانه الذى يمضى عليه ، يا من ذنبه أوجب أن لا يلتفت إليه ،
أتلهو برند^(٦٧٦) الصبا وبانه ويروكم برق الهوى بلمعانه وتغتر بعيش فى عيش

(٦٧٠) ورد هذان البيتان فى المدهش (ص ٣٥٨) .

(٦٧١) كذا بالأصل وبالمدهش (الأطعان) .

والأضغان : ناقة ذات ضغن أى حنين إلى وطنها . [اللسان (١٣/٢٥٥ -
ضغن) ط. دار صادر .

(٦٧٢) عج : ارفع صوتك بالصياح . [اللسان (٢/٣١٨ - عجج) ط. دار
صادر .

(٦٧٣) كذا بالأصل وبالمدهش (القل) وما ورد بالمدهش هو الصواب .

(٦٧٤) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣٥٨ ، ٣٦٠) من قوله (يا معاشر
التائبين ... إلى قوله (أما يستدل على نار العقاب بدخانته) .

(٦٧٥) سورة إبراهيم - الآية : ١١ .

(٦٧٦) رند : هو شجر من أشجار البادية طيب الرائحة يستاك به . [اللسان
(٣/١٨٦ - رند) ط. دار صادر .

عنوانه وتمد يد الغفلة إلى جنى أغصانه وتنسى أنك في حريم خطره وامتحانه
أما لقمة أبيك آدم أخرجته من مكانه ، أما نودي عليه بالفطر في رمضان أما شأنه
[شأنه] (٦٧٧) لولا وكف شأنه أما يستدل على نار العقاب بدخانته .

شعر

(٦٧٨)

قل للمفـرط يستعد ما من ورود الموت بد
قد أخلق الدهر الشباب وما مضى لا يُسترد
فإلى متى شغل الفتى في لهو والأمر جد
(٦٧٩)

يا هذا لا تبرح من الباب وإن طردت ، لا تنزل عن الحجاب (٦٨٠) ولو
أبعدت ، وقل بلسان التملق (٦٨١) إلى من أذهب ؟ يا من كان له قلب فمات ،
يا من كان له وقت ففات ، احضر في السحر فإنه وقت الإذن العام ، واستصحب
رفيق البكاء فإنه مساعد صبور .

يروى أن العبد إذا بكى من خشية الله عز وجل بكى معه المملكان
الموكلان به فإذا صعدا إلى السماء قال الله تعالى لهما : وهو أعلم : من ماذا بكيتما ؟
فيقولان إلهنا عبدك بكى من خشيتك فساعدناه فيقول الله عز وجل لهما : قد
عفوت عنه بمساعدتكما إياه .

(٦٧٧) ما بين المعكوفتين ليس بالأصل استدركناه من المدهش (ص ٣٦٠) .

(٦٧٨) وردت هذه الأبيات بالمدهش (ص ٣٦٠) .

(٦٧٩) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣٦٢) ، من قوله (يا هذا لا تبرح من

الباب وإن طردت ... إلى قوله (واستصحب رفيق البكاء فإنه مساعد صبور) .

(٦٨٠) كذا بالأصل وبالمدهش (الجناب) .

(٦٨١) التملق : التودد والتضرع بكلام لطيف . [التوسيط (٨٨٥/٢)]

شعر

[المصنف] (٦٨٢)

قِفْ صاحبي إن كنت تُسعدني عند الكئيب فتم لي غرض
فرضوا على الأجفان أن لاتلتقى (٦٨٣) أو نلتقى فاصبر لما فرضوا
كيف اصطباري بعد فرقتهم واحسرتي (٦٨٤) ما عنهم عوض

الفصل الثامن عشر

[يا من شاب وما تاب]

(٦٨٥)

السمع يا من شاب وما تاب وما أفلح ، يا معرضا إلى مايؤذى عن الأصلح
ليت شعري بعد الشباب بماذا تفرح ؟ ما أشنع الخطايا في الصبا (٦٨٦) وهي في
الشيب أقبح إذا نزل الشيب ولم يزل العيب فبعد أن يرح .

شعر

حتى متى لا تستفيق من الصبي والقلب منك إلى الجهالة مائل
ما لاح شيب في المفارق ظاهر إلا وأخبر أن حتفك عاجل

(٦٨٢) نسب صاحب المدهش هذه الأبيات (للمصنف) [المدهش (ص

٣٦٢)] .

(٦٨٣) كذا بالأصل وبالمدهش (إذ هجروا) .

(٦٨٤) كذا بالأصل وبالمدهش (يا جيرة) .

(٦٨٥) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣٤٣) من قوله (يا من شاب

وماتاب ... إلى قوله (فبعد أن يرح) .

(٦٨٦) ما بين المعكوفتين سقط استدركناه من المدهش .

دنيا إلى حال الذهابِ مصيرُها وجميعُ ما تُخويه منها ذائلُ
فانظر لنفسك في جهازِكَ مُسرعا واعلم بأنك من قريبٍ راحلُ
(٦٨٧)

اسمع يا مستتباً عن أهله وماله يا خاليا في القبر بأعماله ليته خلاك ما منه
تخلت ليته ولّى عنك ، أثم ما عنه توليت .

[حكاية شاب منحدر من مقبرة]

(٦٨٨)

قال أحمد بن أبي الخوارى (٦٨٩) : رأيت شاباً قد انحدر من مقبرة فقلت له
من أين ؟ قال : من هذه القافلة النازلة ، قلت وإلى أين ؟ ، قال : أتزود وألحقها
قلت : فأى شيء قالوا لك ؟ وأى شيء قلت لهم ؟ قال : قلت متى ترحلون ؟
قالوا : حتى تقدمون .

[عمر بن عبدالعزيز في الجبانة]

(٦٩٠)

وقيل :- دخل عمر بن عبدالعزيز الجبانة فبكى بكاء شديداً حتى احمرت
عيناه ، فقبل له في ذلك ، فقال : أتيت قبور الأحبة فسلمت عليهم فلم يردوا

(٦٨٧) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٣٤٧) من قوله (اسمع يا مستتباً من
أهله ... إلى قوله (ولى عنك أثم ما عنه توليت) .

(٦٨٨) هذا الأثر ورد بالمدحش (ص ٣٤٧) .

(٦٨٩) أحمد بن أبي الخوارى : يكنى أبا الحسن وهو أحمد بن أبي الخوارى عبدالله
ابن ميمون أبو العباس الدمشقى صاحب الداراني وغيره ، سكن دمشق وكان له ابن يقال له
عبدالله من الزهاد وأخ يقال له محمد يشبهه في الورع والتقوى وأبوه أبو الخوارى من أهل الورع
أيضاً فبيت الورع والزهد وتوفي سنة ثلاثين ومائتين . [صفة الصفوة (٢٣٧/٤)] ،
[طبقات الأولياء : ٣١] .

(٦٩٠) وردت هذه القصة في التبصرة (٤٩/٢) بمعناها .

جواباً ، فلما ذهبت لأنصرف ناداني التراب : يا عمر ألا تسألني ماذا ألقوا^(٥)
الأحبة ؟ قلت : بلى قال : خرقت الأكفان ومزقت الأبدان وتغيرت الألوان
فبكيت لذلك بكاء شديداً .

شعر

فهم في بطون الأرض بعد ظهورها محاسنهم فيها بوال دوائر
دخلت دورهم منهم وأسفت عراصهم^(٦٩١) وسقامهم نحو التراب المقاور^(٦٩٢)

[النظر في العواقب]

يا هذا إن المستيقظين نظروا في العواقب بعين البصيرة فتحقق كل منهم أن
إلى الفنى مصيره ، فجنبوا جنوبهم الفرش الوثيرة وغسلوا الذنوب بفيض الأدمع
القريرة ورقبوا في الملأ والخلاء عالم الجهر والسريرة فقطعوا الليل بالسهاد وهجروا
اللذات خوف المعاد ، فإذا أظلم عليهم الليل وصلوا بالزفير أنينهم ، وأقرحوا
بالدموع جفونهم ، فقطعوا الأطماع بسيف الأخلاق ، وقمعوا الأهواء بذكر
يوم التلاق ، فكرعوا من المصافات كوش^(٦٩٣) حلوة المذاق .

(*) كذا بالأصل ولعلها [لقي] .

(٦٩١) عراصهم : العرصة ساحة الدار أو البقعة الواسعة بين الدور ولا بناء فيها .

[الوسيط (٥٩٣/٢)] .

(٦٩٢) المقاور : أى المجتمع أو المتجمع . [اللسان (١٢٤/٥ - قور)] ط .

دار صادر .

(٦٩٣) كوش : رأس الفيشلة : والفيشلة رأس كل مدور ، ومعناها أيضاً نوع من
الشجر وله معنى ثالث هو ماء لبنى حصين سمي بذلك لإكام حمر عنده حوله يقال لها
الفياشل ، والمعنى الأخير أصوب . [اللسان (٣٤٤/٦ - كوش)] ، [اللسان (٥٢١/١١)]
- فشل () ط . دار صادر ، [والوسيط (٦٩٠/٢)] .

شعر

أطاعَ اللهَ قومٌ فاستقاموا على طرقِ الودادِ فلمَ يناموا
سَقَاهم بالصفاءِ كؤوسَ ودٍ فتاهوا من محبتهِ وناموا
أناخت بهم مطايا الهم في رياض الحكم ، فهم بأفياء أشجارها يستظلون
وبنسيم أرواحها يتنعمون ، وفي فلوات الخلوات يسبحون ، وبمحبوبهم في وحدتهم
يأنسون .

[حكاية شيخ سقط حاجباه]

قال أبوفروة السائح : بينا أنا أسير في جبل لبنان وقد جن الليل إذ سمعت
صوت حزين وهو يقول يا من آنسني بذكره ، وأوحشني من خلقه ، أجبر الليل
غربتي ، وارحم غربتي ، يا عظيم الصنع لأوليائه ، اجعلني من أوليائك وأصفيائك
قال : فاتبعت الصوت ، فلما دنوت منه إذ هو شيخ قد سقط حاجباه على عينيه
فلما أحس بي نفر وقال : إنسى ورب الكعبة ، فقلت لا بأس عليك قف لتخبرني
فقال : إليك عنى فمنكم هربت ثم مضى وتركني .

شعر

(٦٩٤)

ولقيتُ في حبِّك ما لم يلقه في حبِّ ليلى قيسُها المجنونُ
لكنني لم أتبعَ وحشَ الفلا كفعالِ قيسِ والجنونُ فنونُ

(٦٩٤) هذان البيتان وردا في المدهش (ص ١٨١) .

« حكاية في أقوام نادمين على ذنوبهم »

قيل :- مر عيسى عليه السلام بجانب جبل فقطرت عليه منه قطرات من ماء فصعد إلى الجبل لينظر من أين ذلك الماء فرأى قوما عليهم مسح الشعر والأغلال في أعناقهم فسألهم عن أمرهم فقالوا : يا روح الله قتلت أنفسنا الذنوب فأقمنا عليها مآتم الحزن والبكاء فقال لهم : كم لكم على هذه الحالة ؟ قالوا : لا ندري لكثرة ما مر علينا من الزمان ، فقال لهم : فمن أين تأكلون ؟ قالوا : يا روح الله وهل نتفرغ لأكل أو شرب غير أنا إذا غلب علينا الجوع آتينا هذه الصخرة عند شدة الفاقة فتنفلق لنا عن رمان على عددنا وهو طعامنا فانصرف عيسى عليه السلام عنهم وقال حقيق لمن فعل مثل فعلكم أن يكون له مثل ما لكم .

شعر

[المهيار] (٦٩٥)

دَغ مَلَامِي فِي الْهَوَى (٦٩٦) أَوْرُخْ وَدَغْنِي	وَاقِفَا أَنْشُدْ قَلْبًا ضَاعَ مِنِّي
أَنَا يَا دَارُ عَلَى عَهْدِ الْوَفَاءِ (٦٩٧)	فِيكَ مِنْ خَانَ وَعَزَمِي لَمْ يَخْنِي
وَلَيْتَنِي غَالٌ (٦٩٨) مَغَانِيكَ الْبَلَى	عَادَةُ الدَّهْرِ فَشَخَصَ مِنْكَ يَغْنِي
إِنْ خَبِثَ نَارٌ فَهَذَا كَبْدِي	أَوْ جَفَى الْغَيْثُ فَهَذَا لَكَ جَفْنِي

(٦٩٥) نسب صاحب المدهش هذه الأبيات (للمهيار) [المدهش (ص ٣٦٣)] .

الديوان (٧٧-٧٢/٤) [هامش المدهش (ص ٣٦٣)] .

(٦٩٦) كذا بالأصل وبالمدهش (الحمى) .

(٦٩٧) ورد الشطر الأول من هذا البيت بالمدهش هكذا (أنا يادار أنحو وحش

الفلا) .

(٦٩٨) غال : أهلك وأفنى [الوسيط ٢/٦٦٦] .

[سلطان المعرفة]

(٦٩٩)

يا هذا إذا خيم سلطان المعرفة بقاع القلب بث جنوده في بقاع البدن
فصارت السباح رياضاً بالرياضة [ساكن في القلب يعمره]^(٧٠٠) .

[مذهب تاب فقبله الله سبحانه وتعالى]

يروى أن رجلاً من بنى إسرائيل كان كثير المعاصي والذنوب ثم أنقذه الله
عز وجل منها فأقبل على طاعة الله وأعرض عن معاصيه فلما كان في آخر عمره
قال لأهله : هل تعرفون لى من شفيع عند الله ؟ قالوا : أما الأنبياء فلا يقبلون
عليك ، وأما الصالحون فلا ينظرون إليك ، فعلى من ندلك بعد هؤلاء ؟ قال :
فلما سمع كلامهم خرج هائماً على وجهه حتى أتى بعض الأودية فوضع خده على
الأرض ورفع طرفه إلى السماء وأخذ يتضرع إلى الله عز وجل ويقول : إلهى أنت
العالم بضرى وقد جئت بك بفقر قادح ، وعمل غير صالح ، فاصنع لى ما يليق
بكرمك يا كريم قال : فناداه هاتف من أقصى الوادى ، ما يصنع الرعوف الرحيم
بمن وقف بين يديه هذا الوقوف ؟ قد بدلنا السيئات بالحسنات ورفعنا لك
الدرجات فى الجنات يا هذا^(٧٠١) : من لم يذق مرارة الفراق .. لم يدر ما حلاوة
التلاق ، ما لم يقع سهم فى مقتل فالعلاج سهل .

(٦٩٩) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٣٦٤) ، من قوله (يا هذا إذا خيم
سلطان المعرفة إلى قوله (ساكن بالقلب يعمره) .

(٧٠٠) ما بين المعكوفتين سقط استدركناه من المدحش .

(٧٠١) وزدت هذه العبارة بالمدحش (ص ٣٤٩ ، ٣٥٧) ورد نصفها الأول بيت
شعر إلى قوله (التلاق) والباقي جاء على أنه موعظة إلى قوله (فالعلاج سهل) .

كانت محبة (٧٠٢) آدم للحق أصلية وتعبد إبليس تكلفاً والعرق نزاع لأنه ﴿كان من الجن﴾ (٧٠٣) وإنما يعالج الرمد لا الأكمه (٧٠٤) . ما دامت نفسك عند التوبيخ منكسرة وعينك وقت العتاب تدمع ففى قلبك يعو حياة فإنما المعاصي أوجبت هجرك (٧٠٥) فابك وطر (٧٠٦) الوطن عساك تصل (٧٠٧) .

يروى عن رسول الله ﷺ أنه قال :

« ما من ليلة يجن (٧٠٨) ظلامها وتهجع (٧٠٩) العيون فيها إلا نادى الجليل جل جلاله : من أعظم منى جوداً وكرماً ؟ ، عبادى يعصوننى ، وأنا أحفظهم فى مضاجعهم كأنهم لم يذنبوا ، أجود على العاصي وأتفضل على المسيء وأنا ذو الفضل ومنى الفضل وأنا الجواد ومنى الجود وأنا الكريم ومنى الكرم ، فأين تذهبون عبادى عن بائى ، إن دعانى العاصي أجبته وإن سألتى أعطيته ، وإن هرب منى أدنيتة ، وأنا عند ظن عبدى بى ولا أعاجل العبد بالعقوبة ، وإن عصى وإن عصى . »

-
- (٧٠٢) كذا بالأصل وبالمدهش (صحبة) والصواب ما ورد بالأصل .
(٧٠٣) سورة الكهف - الآية : ٥٠ .
(٧٠٤) الأكمه فى التفسير : العمى الذى يولد به الإنسان [اللسان (١٣/٥٣٦ كمه)] والمعنى إنما يعالج المرض الطارىء على العين لا العمى .
(٧٠٥) كذا بالأصل وبالمدهش (سكتة) .
(٧٠٦) وطر : الحاجة فيها مأرب وهمّة [الوسيط (١٠٤١/٢)]
(٧٠٧) كذا بالأصل وبالمدهش (ترد) .
(٧٩٨) يجن ظلامها : أى يشتد ظلامها بحيث يستر من فيها . [اللسان (١٣/٩٣) - جنن] ط. دار صادر .
(٧٠٩) تهجع : أى تنام . الهجوع النوم ليلاً . [اللسان (٣٦٧/٨ - هجع)] ط. دار صادر .

شعر

(٧١٠)

بما بيننا من حرمة هل رأيثما أرق من الشكوى وأقسي من الهجر
يا معاشر التوابين هلموا لقرع الباب ، اسمع يا من يقول : إذا شئت تبت
اليوم^(٧١١) عهدكم ، فأين الموعد [هيهات ليس ليوم عهدكم غد]^(٧١٢)

[عجلوا بالتوبة]

يا أخى :^(٧١٣) وقوع الذنب على القلب كوقوع الدهن على^(٧١٤)
الثوب ، إن لم تعجل غسله انبسط ، ﴿ وإن منكم لمن ليبطئن ﴾^(٧١٥) ، أيها
التائبون بألسنتهم لا يدرون ما تحت نطقهم ، لا يحكم بإقراركم ﴿ حتى تعلموا
ما تقولون ﴾^(٧١٦) إذا صدقت توبة التائب بنى بيت التعبد بصخور العزائم ولم
يفده في أساسه دون الماء ، إن التائبين كاتبوا الله بدموعهم وهم ينتظرون
الجواب .

(٧١٠) ورد هذا البيت بالمدحش (ص ٣٥٩) .

(٧١١) هذا شطر بيت ذكر في المدحش (ص ٣٥٧) .

(٧١٢) سقط استدركناه من المدحش وهو ما بين المعكوفين .

(٧١٣) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٣٥٧ ، ٣٥٨) ، من قوله (وقوع الذنب

على القلب ... إلى قوله (وهم ينتظرون الجواب) .

(٧١٤) سقطت لفظة (على) استدركناها من المدحش .

(٧١٥) سورة النساء - الآية : ٧٢ .

(٧١٦) سورة النساء - الآية : ٤٣ .

شعر

(٧١٧)

يا حادى الأضغان^(٧١٨) عج متوقفاً وانظر دم العشاق كيف يراق
صبروا على ألم التهاجر والقلى وتجرعوا مرَّ الفراق وذاقوا .
أهل الله^(٧١٩) وجوهم أضوء من البدر ، جباهم أنور من الشمس ،
نوحهم أفضل من التسبيح ، سكوتهم أبلغ من فصيح ، فلو علمت الأرض قدر
خوفهم تزلزلت ، ولو سمعت الجبال ضجيجهم تفلقت .

شعر

(٧٢٠)

أمسى وأصبح من تذكاركم قَلَقاً يرثى لى الشفقانُ الأهلُ والولد
قد خدَّد^(٧٢١) الدمع خدى من تذكركم واعتادنى المضنياتُ الشوقُ والكمْدُ
وغابَ عن مقلتي نومي ونافرها وخاننى المسعدان الصبرُ والجلْدُ
لم يبق إلا خفى الروح من جسدى فداؤك الباقيان الروحُ والجسدُ

(٧١٧) ورد هذان البيتان بالمدحش (ص ٣٥٨) .

(٧١٨) كذا بالأصل وبالمدحش (الأطعان) .

(٧١٩) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٣٥٩) من قوله (أهل الله وجوهم

كالبدر ... إلى قوله (ولو سمعت الجبال ضجيجهم تفلقت) .

(٧٢٠) وردت هذه الأبيات فى المدحش (ص ٣٥٥) .

(٧٢١) خدد الدمع : خد المدع فى خده : أثر فيها والمعنى جعل فى خدى مثل

الأخاديد من كثرة البكاء [اللسان (١٣/١٦١ - خدد) ط. دار صادر .

[أول الطريق سهل]

(٧٢٢)

يا هذا أول الطريق سهل ثم يأتي الحزن ، في البداية وهو (٧٢٣) إنفاق
البدن وفي التوسط إنفاق النفس فإذا نزل ضيف المحبة نازل (٧٢٤) القلب فأملق
المنفق قلق النوم بلا سكون ، إنزعاجهم بلا إتياب (٧٢٦) حلفت جنوبهم على جفى
النوم فلو سمعت ضجيجهم في دياجى الليل يقولون :-

(٧٢٧)

من لقلب لازم الفكر ولعين لا تذوق الكرا (٧٢٨)
ولصب (٧٢٩) بالغرام قضى ما قضى في حبكم وطرا (٧٣٠) .

(٧٢٢) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣٥٥) ، من قوله (أول الطريق
سهل ... إلى قول الله تعالى ﴿ لا يستطيعون ضرباً في الأرض ﴾
(٧٢٣) هذه اللفظة ليست بالمدهش .
(٧٢٤) كذا بالأصل وبالمدهش (تناول) .
(٧٢٥) أملق : أى أخرج ما بيده ولم يحبسه [اللسان (١٠/٣٤٨ - ملق)] ط. دار
صادر .

(٧٢٦) إتياب : أى انقطاع . [الوسيط (١/٨١)] .
وقد وردت في المدهش (ص ٣٥٥) .
(٧٢٧) ورد هذان البيتان في المدهش (ص ٣٥٥) .
(٧٢٨) الكرا : الكرى : النوم أو النعاس . [اللسان (١٥/٢٢١) -
كرى] ط. دار صادر .
(٧٢٩) صب : محب مشتاق عاشق [اللسان (١/٥١٨ - صيب)] ط. دار
صادر .
(٧٣٠) وطرا : أى حاجته وبغيته . [اللسان (٥/٢٨٥ - وطر)] ط. دار
صادر .

أحضروا (٧٣١) القلوب (٧٣٢) في سبيل المحبة فأشغلهم عن كل مطلوب ﴿لا يستطيعون ضرباً في الأرض﴾ (٧٣٣) .

(٧٣٤)

ورد أنه لاحت لبعض التائبين نظرة فصاح وجعل يقول :
حلفت بدين الحب لا خنت عهدكم وتلك يمين لو علمت غموس
إذا لاحت للتائبين نظرة لا تحل فامتدت عين الهوى ، تزلزلت أرض التقوى
فهبط معمار الإيمان ، ﴿وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم﴾ (٧٣٥) ،
أكثر (٧٣٦) فساد القلب من تخليط العين ، مادام باب عين البصر موثقاً بالغض ،
فالقلب سليم من كل آفة ، فإذا فتح طار الطائر وربما يعد (٧٣٧) .

[عاقبة إطلاق البصر]

اسمعوا يا متصرفين في إطلاق الأبصار ، جاء توابع المعزل (٧٣٨) ﴿قل
للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ (٧٣٩) إطلاق البصر ينقش في القلب صورة
المنظور والقلب كورة تسعى (٧٤٠) وما يرضى المعبود بمزاحمة الأصنام .

(٧٣١) كذا بالأصل وبالمدهش (أحصر) .

(٧٣٢) كذا بالأصل وبالمدهش (القوم) .

(٧٣٣) سورة البقرة - الآية : ٢٧٣ .

(٧٣٤) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣٦٤) من قوله (ورد أنه لاحت لبعض
التائبين نظرة ... إلى قول الله تعالى ﴿وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم﴾ .

(٧٣٥) سورة النحل : الآية : ١٥ .

(٧٣٦) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣٦٣) من قوله (أكثر فساد القلب ...
إلى قوله (وما يرضى المعبود بمزاحمة الأصنام) .

(٧٤٧) كذا بالأصل وبالمدهش (لم يعد) .

(٧٣٨) (توابع المعزل) كذا بالأصل وبالمدهش (توقيع العزل) .

(٧٣٩) سورة النور - الآية : ٣٠ .

(٧٤٠) (كورة تسعى) كذا بالأصل وبالمدهش (كعبة « ويسعني ») .

عيناي (٧٤١) أعانت على سفك دمي بالذة نظرة (٧٤٢) أطالت ندمي
كم أندم حين لا يغنى ندمي ويلي ثبت الهوى وزلت قدمي .
(٧٤٣)

يا هذا لا تجزع من ذنب مضى ، قرب زلة أورثت تقويما ، « لو لم
تذنبوا لذهب الله بكم ، ثم أتى بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم » (٧٤٤) .

« في رجل عاصى فعل حسنة كانت سببا لتوبته »

سئل بعض الصالحين عن سبب توبته فقال : كنت في حادثة سني
لا أقف على زلة فرأيت في بعض الأيام جارية لم أر أحسن منها وجهها ففتنت بها
فأشرت إليها فلما صارت بالقرب مني أدركها جزع شديد فقلت لها لا تخافي
لابأس عليك فلم ينقص ذلك من خوفها شيئا وجعلت ترعد كسعفة في يوم ريح
فقلت لها : أخبريني بخبرك فقالت : والله يا أخي هذا موقف ما وقفته قبل يومى
هذا قط ولى ثلاث بنات ولى ولهن ثلاثة أيام لم نستطعم فيها طعاما فلما كان في
هذا اليوم حملنى الجوع والشفقة على ما ترى ، قال : فعند ذلك رق لها قلبى
وسألته عن مسكنها فأعلمتني به فحملت إليها ما قدر الله عز وجل من دراهم
وكسوة وقمح وغير ذلك ثم عمدت إلى ما في بيتي فبعته ودفعته لوالدتي وأخبرتها
بالقصة وكان عندي سجل أثبت فيه سيئاتي ، فقالت : يا ولدي أنت رجل لم
تعمل قط حسنة غير هذه وعندك سجل تثبت فيه سيئاتك فقم وأثبت فيه هذه
الحسنة فقامت إلى السجل وفتحته فوجدته أبيض من أوله إلى آخره وفيه سطر

(٧٤١) وردت في المدهش (٣٦٣) .

(٧٤٢) كذا بالأصل وبالمدهش (لحظة) .

(٧٤٣) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣٤٩) ، من قوله (يا هذا لا تجزع من

ذنب مضى ... إلى قوله (ويستغفرون فيغفر لهم) .

(٧٤٤) الحديث رواه مسلم في صحيحه بشرح النووي (٧١/١٧) رقم ٢٧٤٩ ،

كتاب التوبة .

واحد ﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾^(٧٤٥) فرفعت يدي إلى السماء وقلت :
وعزتك وجلالك لاعصيتك بعد يومى هذا أبدا .

اسمع^(٧٤٦) أنخبارهم يا مطلقا طرفه لقد عقلك ، يا مرسلا سبع فمه لقد
أكلك ، يا مشغولا بالهوى مهلاً قتلك ، بادر رمقك فقد رمقك بالرحمة من
عذابك^(٧٤٧) أول منازل القوم « عزفت عن الدنيا » وأوسطها « لو كشف الغطاء
ما ازددت يقينا » ، ونهايتها « ما رأيت شيئا ، إلا رأيت الله قبله »^(٧٤٨) .

شعر

(٧٤٩)

شغلت نفسى عن الدنيا ولذتها	فأنت والروح [شئ] ^(٧٥٠) غير مفترق
فكم تعذبها نفسى ^(٧٥١) فيا أملى	ارحم بقية ما فيها من الرمي
وما تطابقت الأجفان عن سنة	إلا رأيتك بين الجفن والحدق
فارحم محباً كثيلاً موجعاً ^(٧٥٢) قلقاً	أجفانه وكلت بالسهد والأرق

(٧٤٥) سورة هود - الآية : ١١٤ .

(٧٤٦) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٣٦٣ ، ٣٦٤) ، من قوله (اسمع
أنخبارهم يا مطلقاً طرفه ... إلى قوله (إلا رأيت الله فيه) .

(٧٤٧) كذا بالأصل وبالمدحش (عدلك) .

(٧٤٨) كذا بالأصل وبالمدحش (فيه) .

(٧٤٩) وردت هذه الأبيات فى المدحش ٣٦٥ بغير هذا الترتيب الثالث فالرابع
فالأول فالثانى .

(٧٥٠) ما بين المعكوفتين سقط استدركناه من المدحش .

(٧٥١) كذا بالأصل وبالمدحش (بالصد) .

(٧٥٢) ورد الشطر الأول من هذا البيت فى المدحش هكذا (وهل ينام حزين موجع

قلق) .

الفصل التاسع عشر

[يا مؤخراً توبته حتى شاب]

(٧٥٣)

اسمع يا مؤخراً توبته حتى شاب ، خرج وقت الاختيار يا ابن السبعين لقد
أمهل المتقاضى فالبدار البدار .

شعر

(٧٥٤)

ولم يبق من أيام جمع إلى منى إلى موقف التجمير غير أمانى
يا هذا عقلك يحثك على التوبة ، وهواك يمنعك منها والحروب بينهما
قائمة، فلو جهزت [جيش] (٧٥٥) العزم فر العدو، وتنوى قيام الليل فتنام، وتسمع
المواعظ فلا تخشع ، ثم تقول : ما السبب ؟ ، ﴿ قل هو من عند
أنفسكم ﴾ (٧٥٦) عصيت بالنهار ، فنمت بالليل ، أكلت الحرام ، فأظلم القلب ،
فلما فتح باب الوصول للمقبولين طردت ، ويحك فكر القلب في المباحات يحدث
[له] (٧٥٧) ظلمة فكيف في تحصيل الحرام ، إذا غير المسك الماء منع من التوضؤ
به فكيف بالنجاسة .

(٧٥٣) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٣٥٤) من قوله (اسمع يا مؤخراً
توبته ... إلى قوله (فكيف بالنجاسة) .

(٧٥٤) ورد هذا البيت في المدحش (ص ٣٥٤) .

(٧٥٥) مابين المعكوفتين سقط واستدركناه من المدحش .

(٧٥٦) سورة آل عمران - الآية : ١٦٥ .

شعر

[الشريف الرضى] (٧٥٧)

متى تفيق اليوم من لوعةٍ وأنت نشوانٌ بغيرِ المدام
(٧٥٨)

يا هذا إذا رأيت جنازة فأحسبها أنت وإذا عاينت قبرا فتوهمه قبرك ، وعد
بأقى الحياة ربها .

شعر

[متمم بن نويرة] (٧٥٩)

لَقَدْ لَأْمَنَى عِنْدَ الْقُبُورِ عَلَى الْبُكَاءِ رفيقى لتذراف الدموع السوافك
وقال أتبكي كل قبرٍ رأيته لقبر ثوى بين اللوى والدكادك (*)
فقلت له إِنَّ الشجى يبعث الشجى دعونى فهذا كله قبر مالك .

(٧٥٧) هذا البيت نسبه صاحب المدهش (للشريف الرضى) [المدهش (ص ٣٥٥)] .

ديوان شعره (٣١٣/٢ - ٣١٧) [هامش المدهش (ص ٣٥٥)] .
(٧٥٨) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣٥٦) من قوله (يا هذا إذا رأيت
جنازة ... إلى قوله (وعد بأقى الحياة ربها) .

(٧٥٩) نسب صاحب المدهش هذه الأبيات (المتمم بن نويرة) [المدهش
(ص ٣٥٦)] .

(*) الدكادك : جمع دكداك وهى أرض فيها غلظ [الوسيط (٢٩١/١)] .

« تذكر القبر »

(٧٦٠)

إخواني : تفكروا في الذين رحلوا أين نزلوا ؟ وتذكروا أنهم نوقشوا
وسئلوا واعلموا أنكم ترحلون كما رحلوا واعلم فأنهم ودوا لو ردوا فعملوا .

شعر

[أبو العتاهية] (٧٦١)

سألت الدار تُخبرني	عن الأحباب ما فعلوا
فقلت لي أناخ القوم	أياماً وقد رحلوا
فقلت وأين أطلبهم	وأى منازل نزلوا .
فقلت بالقبور وقد	لقوا والله ما عملوا
أناس غرهم أمّل	فبادرهم به الأجل
وأثبت في صحائفهم	قبح الفعل والزلل
فلا يستعجبون ولا	لهم ملجأ ولا حيل
ندامى في قبورهم	وما يغنى وقد حصلوا

إخواني : أين من كانت الألسن تهذى بهم لتهديهم ، أضحت فلك
الاختبار تجرى بهم لتجريهم ، وقام منادى الرحيل يغرى بهم لتغريهم فباتوا في
القبور لا أنيس لغريهم .

(٧٦٠) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٣٦٧) من قوله (إخواني تفكروا في
الذين رحلوا ... إلى قوله (وهو الواعظ الكافي) .

(٧٦١) نسب صاحب المدحش هذه الأبيات [لأبي العتاهية] [المدحش (ص

٣٦٧)] .

شعر

(٧٦٢)

أَعِذْ عَلَيَّ كُلِّ فِكْرٍ أَسْلَافُ^(٧٦٣) الأُمَمِ وقف على ما في القبور من الرميم
ونادهم أين القوى فيكم ذو القهر أم أين الضعيف المهتضم
تفاضلت أقدامهم فوق الثرى ثم تساوى تحته كل قدم .
قبرُ البخيل والكريم واحدٌ ما نفعَ البخل ولا ضرَّ الكرم
واعجباً لغافل أمامه هموم ما لا يتقى إذا هجم
إذا تخطاه على عهد الصبي أو الشباب لم يفته في الهرم
أى خيلين أقاما أبداً ما افترقا وأى حبل ما انصرم

[أين أهل الوداد الصافي]

يا إخواني : أين أهل الوداد الصافي ، أين قصورهم الذين ضمنت الشعراء
مدحها في القوافي ، ذاقوا طعام الأمل فانتزع من أفواههم يوم المآل لذة النعم
الخوافي ، ولقوا في قبورهم أمرا مرا ، لا تبلغه أوصافي ، وعوى في ديارهم ذئب
السقام بتكرير^(٧٦٤) العوافي ، فاعتبر بحالهم فإنه يكف كف الهوى وهو الواعظ
الكافي .

يروى أن ملك^(٧٦٥) الموت إذا قبض روح الميت وقف على باب الدار
ينظر ماذا يفعل أهله فيرى الناصرة شعرها واللاطمة خدها والداعية بويلها

(٧٦٢) هذه الأبيات وردت بالمدحش (ص ٢٨٥) .

(٧٦٣) (كل فكر) كذا بالأصل وبالمدحش (فكرك) .

(٧٦٤) كذا بالأصل وبالمدحش (بتكذيب) .

(٧٦٥) الناصرة شعرها : أى المفرقة لشعرها الكاشفة له [الوسيط (٢/٩٢١)] .

شعر

أيها الباكي على خلّهِ نَفْسَكَ فابكِها ولا تبكِه
إنّ الذي يبكي على غيره يُوشِكُ أن يسْلُكَ في سِلْكِه
فيقول لهم يا أهل الدار ما هذا الجزع الذي أراكم به والله ما نقصت من رزقه ،
ولا قبضته دون أجله فإن يكن هذا من أجلى ، فإنني عبدٌ مأمور ، وإن يكن
تسخطا على ربكم فالسخطُ لا يرد المقدور ، ألا وإن لي فيكم عودة ، ثم عودة
حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، والذي نفسي بيده لو ترون مكانه وتسمعون
صوته ، لأذهلكم ذلك عن ميتكم وشغلکم بأنفسكم .

شعر

(٧٦٦)

ما دار دنيا للمقيم بدارٍ وبها النفوسُ فريسةُ الأقدارِ
ما بين ليلٍ عاكفٍ ونهارٍ نفسان مرتشفان للأعمارِ
خطب تضاءلت الخطوب لهوله أخطاره تعلوا على الأخطارِ
أين (٧٦٧) الأبصار الحدائد ، قبل إحضار الشدائد ، أما استلبت القلائد من
تراثب الولايد ، سبق (٧٦٨) الفراق بين فريق الفراق ، يا موثقا في حبائل الصائد ،
والله ما كذبك الرائد ، يا أعمى البصيرة ولا قائد ، كم تضرب في حديد بارد ،
كم بليت مصباح الحياة على نكباء النكبات .

(٧٦٦) وردت هذه الأبيات بالمدحش (ص ٣١٢) .

(٧٦٧) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٣٦٨ ، ٣٦٩) من قوله (أين الأبصار
الحدائد ... إلى قوله) كم بليت مصباح الحياة على نكباء النكبات (.

(٧٦٨) كذا بالأصل ووردت بالمدحش (فيقع) .

[تنبيه رجل من غفلته]

قال إبراهيم اليسار : كنت أماشي إبراهيم بن أدهم نريد الكوفة إذ عدل في بعض الطريق إلى قبر فترحم عليه وتأسف ، فقلت : قبر من هذا ؟ ، قال : هذا قبر حميد بن جابر أمير هذه المدائن كلها ، قلت : فما كان شأنه ؟ قال : سر ذات ليلة بشيء من ملاحيه ثم نام فرأى في منامه رجلا قائما على رأسه بيده كتاب فتناوله منه وفضه ، فإذا فيه مكتوب بالذهب لا تأثرن نارى على نورى ، ولا يغرّنك ما ملكت يداك في دنياك فإنه يصدق عما ادخرته لك في عقباك فإن الذى أنت فيه جسيم لولا أنه وخيم وهو ملك لولا أنه هلك وهو فرح وسرور لولا أنه يعقبه هم وثبور ، فحذارك أن تستهويك هذه الزخارف فتلحقك بالهالكين ، وسارع إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، قال : فانتبه من منامه فزعا مرعوبا وأقبل على ربه وخرج عن ملكه وقصد هذا الجبل يتعبد فيه فسمعت به وأتيته فوجدته خير رجل ، فكنت أختلف إليه حتى مات .

(٧٦٩)

من رأى بعين فكره معاول النقض في هذه الدار ناح على السكان ، يا هذا مشكاة بدنك في مهاب قواصف الهلاك ، وزجاجة نفسك في معرض الانكسار ، فاغتتم زمان الصفو فأيام الوصال قصار ، كم يلبث قنديل الحياة على عواصف الآفات ، أنفاس الحى خطاه إلى أجله ، درجات الفضائل كنيرة المراقى ، وفي الأقدار ضعف ، وفي الزمان قصر ، فمتى تنال الغاية .

[الزاد على قدر السفر]

قيل : وقف جماعة على راهب فقالوا له : إنا سائلوك أفمجينا أنت ؟ ، فقال : سلوا ولا تكثروا فإن الماضى من العمر ليس بمعاد والطالب حثيث في طلبه

(٧٦٩) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٣٦٩) من قوله (من رأى بعين فكره معاول النقض ... إلى قوله (فإن خير الزاد ما أبلغ المحل) .

وهو ذو اجتهاد ، قالوا : أوصنا ، قال : تزودوا على قدر سفركم فإن خير الزاد ما أبلغ المحل .

شعر

(٧٨٠)

يا ساهياً لاهياً عما يراؤ به آن الرحيل وما قدمت من زاد
ترجوا البقاء صحيحاً سالماً أبداً همها أنت غدا فيما غدا غادى

[الأيام صحائف الأعمار]

(٧٨١)

إخوانى : الأيام صحائف الأعمار فجلدوها أحسن الأعمال ، كم دارس
عليك إن الربع دارس ، كم واعظ ناطق وآخر هامس ، كم غمست حبيباً في
البلاء^(٧٨٢) كف رامس ، كم طمس وجهها صحيحاً في البلاء طامس ، فيا أيها
الظن اللبيب والنقص^(٧٨٣) القائس ، أتشتري أخس الخسائس بأنفس النفائس !!
غداً ترى لذة لحظة تجنى حرب البسوس وداحس ؟ يا مقترين من التقى بل
يا مفالس ، يا منهمكين في الخطايا ما تنفع الملابس ، اشتروا أنفسكم عن الذنوب
تشتروا لها السنادس .

(٧٨٠) ورد هذان البيتان في المدهش (ص ٣٥٣) .

(٧٨١) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٣٦٩ ، ٣٧١) من قوله (إخوانى الأيام
صحائف الأعمار ... إلى قوله (تشتروا لها السنادس) .

(٧٨٢) كذا بالأصل وبالمدهش (الثرى) والصواب ما ورد بالمدهش .

(٧٨٣) كذا بالأصل وبالمدهش (اليقظ) والصواب ما ورد بالمدهش .

(٧٨٤) (غدا ترى) كذا بالأصل وبالمدهش (أتؤثر) .

قال حبيب العابد : دخلت البصرة فإذا أسواقها مغلقة وسككها خالية
فقلت : يا أهل البصرة أعندكم عيد لا أعرفه ؟ ، قالوا : لا ولكن الحسن بن أبي
الحسن البصرى فى الجامع يعظ الناس ، قال حبيب العابد : فبادرت إلى مجلسه
فوجدته جالسا على نشز من الأرض مرتفع وهو يقول : أيها الناس استعدوا
للرحيل فلم يبق من الدنيا إلا القليل ، وخذوا أهبة التحويل ، فليس إلى البقاء من
سبيل ، أما علمتهم أنكم على أسيرة المنايا تحملون ، وإلى البلاء فى دار البلاء عن
قريب تسلمون ، وبأعمالكم التى عملتموها تفردون ، وعلى ديان يوم الدين
تعرضون ، أمركم بالطاعة فما أطعتم ، ونهاكم عن المعصية فما انتهيتم ، وخوفكم
فما خفتم ولا ارعويتم ، وشوقكم إلى الجنة فما اشتقتم ، ولا اشتيتم ، فيا ذا
الشبهة المؤذنة باقتراب الأجل ، ما انتظارك ، ويا ذا الشبهة القادرة على اكتساب
العمل ما اعتذارك ، ويا أيها المطيع لفيه وهواه المضيع ، فى حظه دنياه من أخراه
المقيم على ذنوبه وخطاياها ، ليت شعرى ما عذرکم ، إذا أوقفتم بين يديه
وما حجتكم إذا قدمتم عليه ، لقد ضل سعيكم وخاب قصدكم فاستغفروا الله
العظيم لى ولكم .

شعر

(٧٨٥)

قل لمن فاخر فى الدنيا وحاما	قتلت قبلك ساما ثم حاما
ندفن الخل وما فى دفننا	بعده شك ولكن نتعابا
إن قدومك يوم توبه	هددت شمس الضحى صارت ظلام
فانتبه من رقدة النوم وقم	وانف عن عين تماديك المناما

(٧٨٥) هذه الأيات وردت فى المدهش (ص ٢٤٤) .

[اذكروا الفناء]

(٧٨٦)

إخواني : لو ذكرتم أنكم تبادون ، ما كنتم إلى المعاصي تبادون ، لقد
صوت فيكم الحادون وماكانكم للخير ترادون ، واعجبا تصادون المواعظ
ولا تصادون ، إلى متى تراوحون الذنوب وتغادون ، يا مقيمون وهم حقا
غادون ، أتعادون من يقول إنكم تعادون ؟ ، أما سمعتم كيف نادى المنادون ؟ ،
كل شيء دون المنى دون ، الدهر خطيب كاف والفكر طيب شاف .

شعر

(٧٨٧)

هو الدهر أغنا خُطْبُهُ عن خطابه	بوعظ شفا ألبابه بلبابه
فها هو (٧٨٨) لم تسلم حلاوة شهبه	أصاب إليه من مرارة صابه
مناد أمانيه (٧٨٩) تَعِزُّ وإنما	عواقبه محفوفة (٧٩٠) بعقابه
ألم تر من ساس الممالك قادرا	وسارت ملوك الأرض تحت ركابه
ودانت له الدنيا وكادت تحله	على شهبها لولا خمود شهبه
لقد أسلمته خبره (٧٩١) وحصونه	غداة غدا عن كسبه واكتسابه

(٧٨٦) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٣٧١) ، من قوله (إخواني لو ذكرتم
أنكم تبادون ... إلى قوله (وزليخا الهوى تتلمح العاجل) .
(٧٨٧) وردت هذه الأبيات في المدحش (ص ٣٧١) .
(٧٨٨) (فها هو) كذا بالأصل وبالمدحش (هيات) . والصواب ما ورد بالأصل .
(٧٨٩) (مناد أمانيه) كذا بالأصل وبالمدحش (مبيد مباديه) والأفضل ما ورد
بالأصل .

(٧٩٠) كذا بالأصل وبالمدحش (مخنومة) .
(٧٩١) كذا بالأصل وبالمدحش (حصنه) والراجح أنها (حصنه) .

فلا فضة أنجته عند انقضاذه ولا ذهب أغناه عند ذهابه
 سلا شخصه ورأاه بترابه وأسلمه أترابه بترابه
 من عرف الستين أنكر نفسه ، من بلغ السبعين اختلفت إليه رسل المنية ، يوسف
 العقل ينظر إلى العواقب وزليخا الهوى تتلمع العاجل .

قيل :- أن امرأة جاءت إلى رجل من الصالحين فقالت له : أيها العبد
 الصالح هل لك في الزواج ؟ ، فقال لها : وما تريدني مني ؟ قالت : لأشياء غير
 خدمتك أصب الماء على يديك إذا توضأت وأصنع لك طعامك وأغسل ثيابك ليكون
 لي ذلك ذخيرة عند الله عز وجل فقال لها : وأنا الآخر أشرت عليك أن
 لاتضاجعيني ، فقالت : لك ذلك ، فتزوج بها قال : فلما كان الليل قام إلى محرابه
 فصلى ما قدره الله له ثم أخذ مضجعه ونام ، فقامت المرأة ونزعت ثيابها ودخلت
 معه في فراشه فلما أحس بها استيقظ وقال لها : أين الشرط الذي شرطناه بيننا
 فقالت : ياسيدي كل شرط ليس في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ فهو
 باطل ، ثم إنها ألصقت جسدها بجسده ثم قامت عنه ، وقالت : والله ماجئتكم
 لشهوة عرضت ولا للذة خطرت وإنما قصدت أن يمس بدني بدنك ليكون لي
 ذلك وقاء من النار .

شعر

إن تشق عيني بهم فقد سعدت عين رسول وفزت بالنظر
 فكلما جاءني رسولهم رددت شوقاً في طرفه نظر
 رأيت في طرفه محاسنهم قد أثرت فيه أحسن الأثر
 خذ مقلتي يا رسول الله عازية فانظر بها واحتكم على بصرى .

الفصل العشرون

[يا من غره امتداد الأمل]

يا من غرّه امتداد الأمل وطوله وطمع في البقاء وقد دنا رحيله ، اسمع وافهم ماسأذكره وأقوله : قال الله جل جلاله وصدق قيله فيما ورد على تنبيه تنزيله ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله ﴾ (٧٩٢) .

« سؤال الله تعالى لعبده يوم القيامة »

يروى عن رسول الله ﷺ أنه قال لأصحابه :

« أتدرون كيف يحاسب الله أهل التوحيد ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : ينادى مناد من قبل العرش فلا يسمع أحد ذلك الصوت إلا وتضطرب فرائضه ، فتقول الملائكة لذلك الشخص أنت المطلوب هلم إلى العرض على خالق السموات والأرض ، قال : فتشخص (٧٩٣) الخلق بأبصارهم تجاه العرش ، ويوقف ذلك الشخص بين يدي الله تعالى فيلقى الله تعالى عليه من نوره حتى يستره عن المخلوقين ، ويقول له : عبدى أما ذكرت موقفك بين يدي فيقول : بلى فيقول الله عز وجل : عبدى أما سمعت بنقمتى وعذابي لمن عصانى ، فيقول : بلى فيقول الله عز وجل : فيا عبدى لم عصيتنى ؟ ، فيقول : يارب قد كان ذلك فيقول الله عز وجل : يا عبدى فما ظنك اليوم بى؟ فيقول : يارب [ظنى بك] (*) أن تعفو عني ، فيقول الله عز وجل : تحققت أنى أعفو عنك ؟ فيقول : نعم يارب لأنك رأيتنى فى دار الدنيا على المعصية فسترتها على ، فيقول الله عز وجل : قد عفوت عنك وغفرت لك وحققت ظنك بى ، خذ كتابك يمينك فما كان من حسنة فقد

(٧٩٢) سورة التوبة - الآية : ١٠٥ .

(٧٩٣) فتشخص : أى فتحوا أعينهم ولم يطرفوها منزعين . [الوسيط

(٤٧٥/١)] .

(*) بالأصل (ظنك) والصواب ما أثبتناه .

قبلتها منك ولك عشر أمثالها وما كان من سيئة قد غفرتها لك وأنا الجواد
الكريم » .

[القوى فى التقوى]

(٧٩٤)

يا معاشر الشباب انتبهوا القوى فى التقوى ، ولا تغرنكم السلامة فمع
الخطاىء سهم صائب ، الشباب باكورة الحياة والشيب رداء الردى إذا قرع المرء
باب الكهولة فقد استأذن على البلاء .

كان بعض الأشياخ يقول : إلهى من عادة الملوك إذا كبر عندهم مملوك
أعتقوه وقد كبرت فاعتقنى .

شعر

(٧٩٥)

لما أتونا والشيب شافعهم وقد توالى عليهم المهل^(٧٩٦)
قلنا لتلك الصحائف انقلبى بيضاء فإن الشيوخ قد عقلوا
« عفى الله عن عاص لحسن ظنه به »

وقيل :- يؤتى بشيخ يوم القيامة لم يعمل حسنة قط فيقول الله عز وجل
له : ما الذى أعددت للقائى ، فيقول الشيخ : حسن ظنى بك يارب فيقول الله
عز وجل : أنا عند حسن ظن عبدى بى ، ثم يقول الله عز وجل يا ملائكتى
وعزتى وجلالى لم يحسن ظنه بى ولكن أستحى أن أكذب ذو شيبة شابت فى
الإسلام ، وأنا ذو رحمة واسعة اذهبوا به إلى الجنة .

(٧٩٤) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٢٧٢ ، ٢٧١) ، من قوله (يامعاشر
الشباب انتبهوا ... إلى قوله (وقد كبرت فاعتقن) .
(٧٩٥) ورد هذان البيتان فى المدحش (ص ٢٧٢) .
(٧٩٦) كذا بالأصل وبالمدحش (الخجل) .

شعر

وإذا الكريم أتته بخديعة ورأته فيما أردت يسارع
فاعلم بأنك لم تخادع جاهلا لكنه كرم الكريم يخادع^(٧٩٧)
(٧٩٨)

يا قومنا : الفوائد فوايت من زرع بذر العمل في أرجاء الرجاء ولم تقع
عليه شمس الحذر جاءت ثماره فجأة ، الجاهل ينام على فراش الأمن فيكثر نومه ،
فتكثر أحلام أمانيه ، والعالم يضطجع على مهاد الخوف وحارس اليقظة يوقظه ،
ومن فهم معنى الجود^(٧٩٩) ، علم عزة النجاة ، ما ترى عين المحب إلا المحبوب ،
« فبى يسمع وبنى يبصر » .

شعر

(٨٠٠)

أنت عين العين إذ نظرت ولسان الذكر إن ذكرنا
أنت سمعى إن سمعت به أنت سر السر إن خطرا
ما بقى لى قط جارحة كلها يا قاتلى أسرا .
يا هذا^(٨٠١) : إذا تمكنت قدم المرید وطاب له ارتضاع [ثدى]^(٨٠٢)
الصل نزل ضيف ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ ﴾^(٨٠٣) .

(٧٩٧) يخادع : أى يظهر أنه قد خدع . [الوسيط (٢٢١/١)] .
(٧٩٨) وردت بالمدحش (ص ٢٧٢) ، والجمللة الأخيرة فى المدحش (ص ٣٦٥) .
من قوله يا قومنا الفوائد فوايت ... إلى قوله (ما ترى عين المحب إلا المحبوب) (فبى
يسمع وبنى يبصر) .

(٧٩٩) كذا بالأصل وبالمدحش (الوجود) .
(٨٠٠) هذه الأبيات فى المدحش (ص ٣٦٥) .
(٨٠١) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٣٧٤) من قوله (يا هذا إذا تمكنت قدم
المرید .. إلى قوله (ارتضاع ثدى الوصل) .
(٨٠٢) ما بين المعكوفتين سقط استدركناه من المدحش .
(٣) سورة البقرة - الآية : ١٠٥ .

إِنَّ هَوَاكَ الَّذِي يَقْلِبُنِي صَيَّرَنِي سَامِعاً مَطِيعاً
أَخَذْتَ قَلْبِي وَغَمَضْتَ عَيْنِي سَلَبْتَنِي الْقَلْبَ وَالْهَجُوعَا
فَذَرِ فُؤَادِي وَخُذِ رِقَادِي فَقَالَ لَا بَلْ هُمَا جَمِيعَا

قال سعيد المقدسي وكان من الأولياء : خرجت من المسجد الأقصى طالبا
للسياحة ، فلما صرت بين الجبال رأيت امرأة عليها ثوب من شعر وخمار من
صوف ، فظننت أنها راهبة ، فقلت لها : أنت مسلمة قالت : يا سعيد ما هذا
الكلام ، فقلت لها : من عرفك اسمي ، قالت : الذي حجب عنك حقيقة أمرى ،
فعلمت أنها ولية لله تعالى فقلت لها ما الذي أخرجك إلى هذا المكان قالت :
خوف القطيعة والأحزان ثم رفعت طرفها إلى السماء وقالت :

يا سرورى إذا عدمتُ سُرورى أنت فى سر خاطرى وضميرى
أنت أنت الرجاء جد لى بعفى وأجرنى من حر نار السعير
ثم قالت لا اعتراض عليك ، اللهم إن كان عذابى من رضاك فعذب ،
وسقطت إلى الأرض فحركتها فإذا هى قد ماتت رحمة الله تعالى عليها .

شعر

ظن عداة الخيف أن قد سلما لما رمى بينهما وما أجرى دما
فكاد يستقرى حشاه فإذا فؤاده من بيتها قد عدما
لم يدر من أين يصيب قلبه وإنما الرامى دار كيف رما

وأسفا ذهب أهل التحقيق وبقي بنيات الطريق ، وخلت البقاع من
الأحباب ، وتبدلت العمارة بالخراب .

(٨٠٤) وردت هذه الأبيات فى المدهش (ص ٣٧٤) .

(٨٠٥) وردت هذه الموعظة بنصها بالمدهش (ص ٣٩٩) من قوله (وأسفاً

ذهب) ... إلى قوله (... بالخراب) .

قيل لعون بن عبدالله^(٨٠٦) : مالك لا تجلس مع إخوانك فقال : أخاف
بعضنا بعضا فتباغض .

(٨٠٧)

يا معاشر العلماء قد كتبتم ودرستم ثم إن طلبتم^(٨٠٨) في بيت العمل فلستم
ثم لو ناقشكم الإخلاص فلستم^(٨٠٩) .

(٨٠٦) عون بن عبدالله بن عتبة بن مسعود الهذلي ، خطيب ، راوية ، ناسب ،
شاعر ، كان من آدب أهل الكوفة فاشتهر فيها بالعبادة والقراءة ، وكان يقول بالإرجاء ثم
رجع وخرج مع ابن الأشعث ثم هرب وصحب عمر بن عبدالعزيز في خلافته (... -
١١٥هـ) [الأعلام (٩٨/٥)] .

(٨٠٧) وردت هذه الموعظة بتغيير في بعض ألفاظها بالمدحش (ص ٣٩٨) من قوله
(يا معاشر العلماء ... إلى قوله (لو ناقشكم الإخلاص فلستم) .

(٨٠٨) كذا بالأصل وردت بالمدحش (ص ٣٩٨) بلفظ (طلبكم العلم) .

(٨٠٩) فلستم : من الإفلاس ، يقال فلس من الشيء أى خلا منه وتجرد [الوسيط

(٧٠٠/٢)] .

« حكاية أمة من أهل الله »

قال أبو سليمان الداراني^(٨١٠) : سمعت أبا الربيع يقول : كنت مقيما في بيت المقدس أجمع المباحات^(٨١١) من الجبال وكان لي إخوان بالرملة أزورهم في كل عام مرتين فلما كان في بعض السنين خرجت لزيارتهم فلما صرت بين الجبال والأودية على ثلاثة أميال من بيت المقدس سمعت صوتا تنزوا وهو يقول : ما أبعد الطريق على من لم تكن أنت دليله وأوحشها على من لم تكن أنت أنيسه فقفوت الصوت واتبعت أثره ، وإذا أنا بجارية علمها مدرعة من شعر ، خمار من صوف ، وفي رجلها نعلين من ليف ، فقلت لها : سبحان الله مثلك في المكان بغير محرم ، فقالت : ما أحب أن أشتغل بمن يشغلني عن طاعة ربي ، قال : فرق لها قلبي وكان معي دريهمات فقسمتها شطرين وناولتها أحدهما فلما رأت لمعان الدراهم ، تبسمت وقالت : يا أبا الربيع من أين لك هذه الدراهم قلت لها : إني أجمع المباحات من جبال بيت المقدس وأبيعها في المدينة فقالت : كسب حلال لرجل ضعيف ، فقلت لها : كيف تصفيني بالضعف وأنا قوى البدن ؟ قالت : أنت ضعيف اليقين لا ضعيف البدن قلت : وكيف السبيل إلى القوة ؟ قالت : تضع ميزان القسط على جوارحك حتى يخرج منها كل شيء لغير الله ويبقى القلب صافيا ، ويطلع الحق عليه فلا يدرى فيه مذكورا ولا محبوبا سواه ، فإذا كنت كذلك نوديت قف بالباب فقد كتبناك من الأحباب وأمرنا الخزان لا يعصون لك أمرا ، قلت لها : فما بيان ذلك ، فقبضت بكفها في الهواء ثم فتحتها ووضعت في كفي دنائير فقلت سبحان الله ما أحسنه من كف ، فسمعت قائلا يقول : من

(٨١٠) أبو سليمان الداراني : عبدالرحمن بن أحمد بن عطية العنسي المدحجي ، أبو سليمان : زاهد مشهور من أهل داريا (بغوطة دمشق) رحل إلى بغداد وأقام بها مدة ثم عاد إلى الشام وتوفي في بلده ، وكان من كبار المتصوفين ، له أخبار في الزهد (... - ١٥٠ هـ) [الأعلام (٢٩٣ / ٣)] .

(٨١١) المباحات : الفصيد الذي كانت العرب تأكله في الأزمة . [اللسان (٢١٠ / ٢ - مجع) ط . دار صادر .

ع . لاه أعطاه . تمناه ثم قالت : يكفيك أم أزيدك ، فقلت لها : ومن يشبع
هو من عند الله فضربت بكفها الأرض ثم فتحتها فإذا هي مملوءة دنائير ثم
قالت : يا . ربيع في ماذا جئت من بيت المقدس ؟ قلت : في حاجة عرضت لي
بالرملة ، فقالت : هل سألت قاضي الحاجات أن يقضيها لك وأنت مقيم ببيت
المقدس ؟ قلت : ومن لي بذلك ؟ ، فعند ذلك رفعت طرفها إلى السماء
وقالت : يا من البعيد عليه قريب قرب له البعيد ، ثم قالت لي : ارفع رأسك فهذه
حيطان الرملة ، فقلت : سبحان الله بيني وبين الرملة ثمانية عشر ميلا للمجد في
السير وأنا الساعة خرجت من بيت المقدس ، قالت : وما يكون هذا في جنب
قدرة الله تعالى ، ثم ولت ، فتبعها فقالت : إليك عنى لا تشغلنى ، قلت لها : فهل
من موعد قالت : الموعد بيني وبينك الموقف تحت لواء محمد ﷺ .

شعر

هذى ديارهم وهذا مأواهم فاحس ورد وشرقت إن لم تسقنى
رحل والله أولئك السادة ، وبقي قرنا المهاد والوسادة ، أولئك الباكون
إذا ضحك الغافلون والتاركون إذا أحب الجاهلون ، والساھرون إذا اضطجع
النائمون ، قطعوا مفاوز الدنيا وعقبات الآخرة فوجههم بالنعيم ناضرة إلى ربها
ناظرة ، إذا تليت أوصاف محبوبهم قاموا إليه ، وإذا دعاهم داعى الشوق أجابوا
مسرعين .

« أوصاف ذى النون فى بعض نعيم الجنة »

قيل : وعظ ذو النون المصرى يوما فأتت إليه امرأة يقال لها ريحانة (٨١٢)
فقالت له : يا مصرى صف لى الجنة وما أعد الله تعالى فيها لأوليائه قال : يا هذه
إن الجنة ما لا تحيط به معرفة عارف ، ولا يأتى عليه وصف واصف لكن سأذكر

(٨١٢) ريحانة : لعلها ريحانة المجنونة وهى من عابدات أهل الأبله رضى الله عنهم

[صفة الصفوة (٥٧/٤)]

لك بعض ما أعد الله تعالى فيها لولى من أولياء الله عز وجل ثم قال ذو النون
المصرى : إن في الجنة مرجاً^(٨١٣) أفيح^(٨١٤) من الفضة البيضاء في وسط المرج
قصر من الذهب الأحمر في وسط القصر قبة من الياقوت الأحمر في وسط القبة
سرير من الذهب مرصع بالجوهر يخرج من تحت السرير أربعة أنهار ، نهر من ماء
غدير آسن ، ونهر من لبن لم يتغير طعمه ونهر من خمر لذة للشاربين ، ونهر من
عسل مصفى ، وعلى السرير فرش من السندس والإستبرق ، وعلى الفرش جارية
لو أطلعت معصمها في ليلة مظلمة لأضاءت الدنيا على من فيها وإلى جانبها غلام
أبيض أمرد أغيد له طرف أحور وخذ أزهر ووجه أنور ودلال مليح ولسان فصيح
على طول آدم وحسن يوسف وسن عيسى وخلق محمد ﷺ ، فيا حسنه في
خلوته مع كهوب لعوب وقد هبت الأرياح وعاشت الأرواح وتضاعف
الخبور^(٨١٥) وداوم السرور واطمأنوا في جوار الغفور ، قال : فلما سمعت ريحانة
ما وصفه ذو النون قالت : يا مصرى يكفيك إلا قتلتنى ثم شهقت شهقة خرجت
فيها روحها .

شعر

أبى الحب أن يخفى وقد ما كتمته فأصبح عندى قد أناخ وطبنا^(٨١٦)
فلما أسرى عزف النسيم بذكركم سرت نحوه روحى إلى معهد الصبا

(٨١٣) مرجاً : أرض واسعة ذات نبات . [اللسان (٢/٣٦٤ - مرج)] ط. دار صادر .

(٨١٤) أفيح : واسعة كثيرة الاتساع . [اللسان (٢/٥٥١ - فيح)] ط. دار صادر .

(٨١٥) الخبور : السرور والنعمة . [اللسان (٤/١٥٨ - خبر)] ط. دار صادر .

(٨١٦) طبنا : أى أطلال رجلاه في استرخاء [اللسان (١/٥٦١ - طنب)] ط. دار صادر .

الفصل الحادى والعشرون

[يا من بين يديه الأهوال والعجائب]

(٨١٧)

اسمع : يا من بين يديه الأهوال والعجائب ، وقدما أعدت (٨١٨) له
النوائب أما سهم المصائب كل يوم صائب ، أحاضر تحمل من عتبنا كلا ؟ بل
أنت غائب ، أين الزاد (٨١٩) يا مسافر ، أنت درع التقوى يا سافر ، لقد أنشب الموت
فيك الأظافر ، ولا شك أنه الظافر ، هذه النبل فأين المغافر (٨٢٠) يا مبارزاً
بالقبيح ، أمؤمن أنت أم كافر ؟

شعر

(٨٢١)

فَكَمْ مِنْ عِثْرَةٍ أَصْبَحَتْ فِيهَا يَلِينُ لَهَا الْحَدِيدُ وَأَنْتَ قَاسِي
إِلَى كَمْ وَالْمَعَادُ إِلَى قَرِيبٍ تَذْكُرُ بِالْمَعَادِ وَأَنْتَ نَاسِي

(٨١٧) وردت هذه الموعظة في المدهش (ص ٢٦٦) بتغير في بعض ألفاظها (من
قوله « يا من بين يديه الأهوال ... إلى قوله « بل أنت غائب ») .

(٨١٨) (أعدت له) كذا بالأصل وبالمدهش (نوى له الدهر) وما بالمدهش هو
الأصوب .

(٨١٩) هذه الموعظة وردت بالمدهش بنفس نصها ص ٣٧٥ ، من قوله (أين الزاد
يا مسافر ... إلى قوله « أمؤمن أنت أم كافر ») .

(٨٢٠) المغافر : زرد يصنع وينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت
القلنسوة .

[اللسان (٢٦/٥ - غفر) ط. دار صادر .

(٨٢١) ورد هذان البيتان بالمدهش (ص ٣٤٧) .

إن قمت سددت من ثياب كبرك ، وإن أقمت سكرت من شراب خمرك ،
تقف في الصلاة بغير خضوع ، وتقرأ آية التخويف وما ثم خشوع ، وتتملق
الدنيا بقلبك ، وتعتذر بلفظ مصنوع . وتفرح بدخول العام ولعلك لاتبلغ
أسبوع .

شعر

[لأبي العتاهية (٨٢٣)]

ألا أيها الفاني وقد نحانَ حينُهُ	أُتطمع أن تبقى ولست هناك
تسمُّع ودغ من أفسد الغي سمعه	كأنى بداع قد أتى فدعاك
أراك وما يَنفك تَهْدَى جنازة	ويُوشِكُ أن يهدى هديت كذاكا
سَتَمُضَى ويبقى ما تراه كما تَرَى	وينساك من خلفته هوذاكا
تَمُوتُ كما مات الذين نسيتهم	وتنسى ، ويهوى الحى بعد هواك

(٨٢٢) هذه الموعظة تابعة للموعظة السابقة (رقم ٨١٩) الواردة في المدهش (ص ٣٧٥) ، من قوله (إن قمت سددت إلى قوله ... ولعلك تبلغ الأسبوع) مع بعض الاختصار غير المختل لبعض جملها .

(٨٢٣) نسب صاحب المدهش هذه الأبيات (لأبي العتاهية) [المدهش ص ٣٠٠] .

ديوان شعره ص ٢٦٥ - ٢٦٦ . [هامش المدهش ٣٠٠] .

[يا نائماً عن صلاته]

اسمع يا نائماً عن صلاته كم هذا الهجوع كيف تبقى مع كسر الأصول
ضعاف الفروع ، إصرارك كالصحيحين وإقلاعتك حديث موضوع ، يا هذا إن
كان قد أصابك داء داود ، ففتح نوح [نوح]^(٨٢٥) تحيا بحياة يحيى .

« حكاية عن عاصي مسرف »

(٨٢٦)

قال إبان عفا الله تعالى عنه :- خرجت يوما من عند أنس بن مالك^(٨٢٧)
نتمشى فلما كنت بسوق البصرة إذا أنا بأربعة من الرجال يحملون جنازة فقلت :
واعجبا أسواق البصرة عامرة وطرقها مشتكة^(٨٢٨) بالناس ، ولم يصحب هذه
الجنازة غير أربعة من الرجال لأكونن خامسهم ، فسرت معهم حتى أتوا إلى الجبانة

(٢٨٤) هذه الموعظة أيضا جزء من الموعظة السابقة (رقم ٨١٩) من قوله (يا نائماً
عن صلاحه ... إلى قوله حديث موضوع) . أما العبارة الأخيرة من قوله (يا هذا إن كان قد
أصابك ... إلى قوله تحيا بحياة يحيى) فقد وردت أيضاً في نفس الموعظة ص ٣٧٧ .

(٨٢٥) ما بين المعكوفتين سقط أثبتناه من المدهش ص ١٧٧ .

(٨٢٦) هو إبان بن صالح بن عمر بن عبيد القرشي مولاهم ، وقد روى عن أنس وغيره ولد
سنة ٦٠ هـ ومات بعسقلان سنة بضعة عشرة ومائة هـ [تهذيب التهذيب (٩٤/١)] .

(٨٢٧) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النجاري الخزرجي الأنصاري ،
أبو ثمامة ، أبو حمزة ، صاحب رسول الله ﷺ وخادمه من رواة الحديث مولده بالمدينة وأسلم
صغيراً ، رحل إلى دمشق ومنها إلى البصرة فمات فيها وهو آخر من مات بالبصرة من
الصحابة (١٠ق هـ - ٩٣ هـ) .

[الأعلام (٢٤/٢)]

(٨٢٨) مشتكة : اشتك الشيء : شكه أو ضم أجزائه ، وشك القوم بيوتهم
ونحوها : جعلوها مصطفىة متقاربة على نظم واحد .

[الوسيط (٤٩٠/١) - شك ، اشتك]

فقلت لهم : يا قوم أيكم ولى هذا الميت فليصل عليه فقالوا : كلنا فيه سواء فتقدم أنت فصل عليه ، فصليت عليه وواريناه التراب ، فقلت لهم : بالله عليكم ألا ما صدقتموني بخبر هذا الميت فقالوا : ما منا من يعلم له خبراً غير أن هذه المرأة اكثرتنا (٨٢٩) لحمله ، فالتفت إليها وإذا أنا بامرأة مقبلة فجاءت حتى جلست عند القبر ساعة ثم قامت وهى تضحك فقلت لها : يا الله العجب امرأة تضحك على قبر ميتها ثم قلت لها : بالله عليك ألا ما أخبرتيني مم ضحكت ؟ فقالت لى : يا هذا ما لك وما لا يعنيك ؟ ، قلت لها : أخبريني فإني إبان خادم أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ ، فقالت : يا إبان لو لم تكن ذاك ما أخبرتك بمحدث أبدا ، اعلم أن هذا الميت ولدى ، وكان مسرفا على نفسه ، فلما كان البارحة اشتد به الأمر فنادى يا أماه : فاجبته فقال : سألتك بالله إلا ما فعلتى بى ما أمرك به ، فقلت له : قل ما بدا لك فقال : إذا أنا مت فلا تعلمى بى أحد جيرانى وخذى خاتمى هذا وانقشى عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله واجعليه بين جلدى وكفى فإذا وضعت فى قبرى فضعى يدك على ظفيرة شعر وارفعها إلى الله واضرعى إليه أن يغفر لى ، وقولى : إلهى قد رضيت عنه فارض عنه ، ثم قال : يا أماه قومى وضعى رجلك اليمنى على حر وجهى وقولى هذا جزاء من عصى الله عز وجل ، فقامت والله يا إبان ووضعت رجلى هذه المشومة على حر وجهه وجعلت أنادى هذا جزاء من عصى الله عز وجل ، فما رفعها من على وجهه حتى مات فاكثرى هؤلاء الأربعة فغسلوه وكفنوه وحملوه إلى قبره وواروه كما رأيت ، فلما انصرفوا جعلت شعرى فى يدى كما قال ورفعته إلى الله عز وجل وقلت : يا أرحم الراحمين يا أكرم الأكرمين يا خير منزول به ، قد علمت منا السر والعلن ، واطلعت على ما ظهر وبطن وقد توسل ولدى العاصى المذنب الخاطىء إليك برضى والدته المسكينة الذليلة وقد رضيت عنه ، فارض عنه ، فسمعت صوتا من داخل القبر يقول : انصرفى يا أماه فقد قدمت على ربك كريم وقد غفر لى ذنوبى ، فهذا الذى أضحككنى ثم ولت وهى مسرورة .

(٨٢٩) اكثرنا : بمعنى استأجرنا .

[الوسيط (٧٨٥/٢)]

[اعرفوا الدنيا]

(٨٣٠)

إخواني : اعرفوا الدنيا وقد سلمتم ، ثم اعملوا فيها بما علمتم ، أما نفعكم
التجارب ، أما ترون الدنيا كيف تحارب ، أما سيف الهلاك في يد الضارب ، تالله
لقد جلا اليقين ظلام الغياهب .

شعر

(٨٣١)

ما بَالُنَا نَتَّعَمَى عَنْ مَصَائِرِنَا نُنْسِي بِغَفْلَتِنَا مِنْ لَيْسَ يَنْسَانَا
نزداد حرصاً وهذا الدهر يزجرنا كأن زاجرنا بالحرص أغرانا
أين الملوك وأبناء الملوك ومن كانت تخرُّ له الأذقان إذعانا
صاحت بهم حادثات الدهر فأنقلبوا مُستبدلين من الأوطان أوطانا
خلوا مدائنَ كان العز يفرشها واسكنوا حفرا غرباً وقيعانا
ياراكضا في ميادين الهوى مرحا ورافلاً في ثياب الغى نشوانا
مضي الزمان وولّى العمرُ في لعبٍ يكفّيك ما قد مضى يكفّيك ما كانا

يا هذا (٨٣٢) مزق أملك فالعمر قصير ، وحقق عملك فالناقد بصير ،
وزد زاد سفرك فالطريق بعيد ، وردد نظر (٨٣٣) مكرك فالحساب شديد ، صبح
بالقلب لعله يرعوى ، سلمه إلى الرائض عساه يستوى .

(٨٣٠) وردت هذه الموعظة في المدهش (ص ٣٨٦) مع بعض الاختصار في جملها ،
وأيضاً هناك بعض الاختلاف غير الخلل في بعض ألفاظها (من قوله « اعرفوا الدنيا ... إلى
قوله « ظلام الغياهب ») .

(٨٣١) وردت هذه الأبيات في المدهش (ص ٣٧٥) .

(٨٣٢) هذه الموعظة وردت في المدهش (ص ٣٧٦) ، وهي جزء من موعظة من
قوله (مزق أملك ... إلى قوله (عساه يستوى) وردت بنفس نصها .

قيل : أوحى^(٨٣٤) الله عز وجل إلى نبي من أنبياء بنى إسرائيل : بعينى ما يتحمل المتحملون من أجلى ، وما يكابدون فى طلب مرضاتى ، فكيف بهم إذا صاروا إلى جوارى ، واستنزلتهم للجلوس عندى ، وسفرت لهم عن وجهى ، أيقظون أنى أنسى لهم عملا ، كيف وأنا الجواد الكريم أجود على الموليين عنى ، فكيف لا أجود على المقبلين علىّ ، ولو رأوا عبادى كيف استوهمهم ممن عدوا عليه بالظلم فى دار الدنيا ، ثم أوجب على نفسى لمن وهبهم ذلك النعيم المقيم ، لكثرة تعجبهم من ذلك واعجب أطار حكم حديث العذيب وأنتم وراء النهر .

(٨٣٥)

يا هذا اخلّ بنفسك فى بيت الفكر ، واعذ لها فى الهوى فإن لم يكن^(٨٣٦) فاخرج بها إلى عسكر المقابر فإن لم ترعوى فاضربها بسوط الجوع واحبسها فى سجن العزلة فالخالطة نهاية .

شعر

(٨٣٧)

سهر [العيون]^(٨٣٨) لغمر وصلك باطل^(٨٣٩) وبكاؤهن لغير وصلك ضائع^(٨٤٠)

(٨٣٤) أخرجه ابن أبى الدنيا فى حسن الظن (ص ٨٠) رقم ٩٠ ، وقال محققه إسناده معضل وهو من أقسام الضعيف .

(٨٣٥) هذا جزء من موعظة وردت فى المدهش (ص ٣٧٩) من قوله (يا هذا اخل بنفسك ... إلى قوله ... فالخالطة نهاية) مع تغيير فى بعض ألفاظها .

(٨٣٦) كذا بالأصل وبالمدهش (تلن) وكلاهما صواب .

(٨٣٧) ورد هذا البيت فى المدهش (ص ٣٧٦) .

(٨٣٨) ما بين المعكوفتين سقط أثبتناه من المدهش .

(٨٣٩) كذا بالأصل وبالمدهش (ضائع) .

(٨٤٠) كذا بالأصل وبالمدهش (باطل) .

« حكاية راهب »

يسروى عن أويس القرنى^(٨٤١) : أنه قال : مررت فى بعض سياحتى
براهب فقلت له : يا راهب ما أقل درجة يرقاها المريد ، قال : رد المظالم وخفة
الظهر من التبعات فإنه لا يصعد للعبد عمل وعليه تبعة أو مظلمة ، ثم قال :
سبحانك ، عجباً للخلائق كيف أرادوا بك بدلاً وعجباً للقلوب كيف استأنست
بسواك ، إلهى نظرت فى محصول أمرى فلم أجد دليلاً عليك إلا أنت فلا أسأل
غيرك ، إلهى آنست أوليائك بصرف همهم إليك وخصصتهم بكفاية التوكل
عليك ، فشاهدوك بضمايرهم باطلاعك على سرائرهم ، إلهى فأنقلنى من ضيق
الوحشة منك إلى سعة الأُنس بك .

شعر

[المهيأر]^(٨٤٢)

أجارتنا بالغور والركبُ متهم أيعلم خال كيف بات المتيم ؟
تناوئن يوم البين عنا وخلفوا^(٨٤٣) قلوباً أبت أن تعرف الصبر عنهم

(٨٤١) أويس القرنى : هو أويس بن عامر بن جزء بن مالك القرنى ، من بنى قرن بن
رديمان بن ناجية بن مراد : أحد العباد النساك المقدمين ، من سادات التابعين ، أصله من
اليمن ، يسكن القفار والرمال ، وأدرك حياة النبى ﷺ ولم يره ، سكن الكوفة، وشهد موقعة
صفين مع على ويرجع أنه قُتل فيها (... - ٣٧ هـ) [الأعلام (٣٢/٢)] .

(٨٤٢) نسب صاحب المدهش هذه الأبيات (للمهيأر) [المدهش (ص ٣٧٧)] .

ديوان شعره (٣٤٤/٣ - ٣٤٧) [هامش المدهش (ص ٣٧٧)] .

(٨٤٣) ورد هذا الشطر من البيت هكذا (بنا أنتم من ظاعنين وخلفوا) [المدهش

(ص ٣٧٧)] .

كان عمر بن عبدالعزيز وفتح الموصلى يكيان الدم ، وقليل في جنب
ما نطق به لسان الوعيد .

[أهل الجنة وأهل النار]

قيل : إذا كان يوم القيامة واستقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار
- أعادنا الله تعالى منها - نادى أهل النار : يا أهل الجنة يا معشر الآباء والأمهات
والإخوة والأخوات إنا أخرجنا من الدنيا عطاشا ودخلنا النار عطاشا فأفيضوا
علينا من الماء أو مما رزقكم الله ، فيقول لهم مالك كم تستغيثون فلا تغاثون ،
اخشسوا فإنكم ماکثون ، قال : فعند ذلك يكون الدموع حتى تفنى ثم يكون
القيح حتى يفنى ، فتقول لهم الزبانية^(٨٤٥) : يا أشقياء تركتم البكاء في الدار التي
يرحم فيها من بكى وبكىتم في دار لا ينفع فيها البكاء .

شعر

أَتْرُكُ مِنْ تَحَبُّ وَأَنْتَ جَارٌ وَتَطْلِبُهُمْ وَقَدْ بَعْدَ الْمَزَارِ
وَتَبْكِي بَعْدَ نَائِمِهِمْ اشْتِاقًا وَتَسْأَلُ فِي الْمَنَازِلِ أَيْنَ سَارُوا
تَرَكْتَ سَوَاهِمَ وَهُمْ حُضُور وَتَرْجُوا أَنْ تُخْبِرَكَ الدِّيسَارُ
فَنَفْسُكَ لَمْ وَلَا تَلِمِ الْخَطَايَا^(٨٤٧) وَمَتَ كَمَدًا فَلَيْسَ لَكَ اعْتِدَارُ

(٨٤٤) ورد هذا الأثر بنفس نصه في المدهش (ص ٣٧٧) ، من قوله (كان عمر ...
إلى قوله : لسان الوعيد) .

(٨٤٥) الزبانية : ملائكة يدفعون أهل النار إليها . [الوسيط (١/٣٨٨) ،
٣٨٩] .

(٨٤٦) وردت هذه الأبيات في المدهش (ص ٢٩٣) .

(٨٤٧) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (المطايا) .

(٨٤٨)

يا هذا : عاتب نفسك على تقصيرها ، وحاسبها على تخليطها ، حدثها
بما ينفعها^(٨٤٩) ونخبرها ، واشر عليها بمصلحتها ودبرها وقل لها بلسان الزجر :
(٨٥٠)

استعدّي يا نفسُ للموتِ واسعى لنجاةٍ فالحازمُ المستعدُّ
قد علمنا^(٨٥١) بأنه ليسَ للحى خلودٌ ولا من الموتِ بدُّ
أى ملك في الأرض وأى حظ لا مرئٍ حظه من الأرض لحدُّ
كيف لا مرئٍ لذاقة عيش^(٨٥٢) وعليه الأنفاس فيها تعد .
(٨٥٣)

يا هذا : إذا خلى الفكر باليقين ثارت عجاجة الدمع ، فإذا قرع الحزن
القلب استحالت الدموع دماً .

(٨٤٨) هذه الموعظة مقدمة موعظة وردت في المدهش (ص ٣٧٩) مع تغيير في لفظ
واحد سنذكره .

وقد وردت من قوله (يا هذا عاتب نفسك) ... إلى قوله (ودبرها) .

(٨٤٩) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (بين يديها) .

(٨٥٠) وردت هذه الآيات في المدهش (ص ٣٧٩) .

(٨٥١) كذا بالأصل وبالمدهش (تبينت) وكلاهما صواب .

(٨٥٢) ورد الشطر الأول من هذا البيت في المدهش هكذا (كيف يهوى امرؤ

لذاقة أيام) .

(٨٥٣) هذه الموعظة بنصها وردت كجزء من موعظة بالمدهش (ص ٣٧٧) من قوله

(يا هذا إذا خلى ... إلى قوله : استحالت الدموع دماً) .

شعر

[المهيار] (٨٥٤)

ولما دَنَى (٨٥٥) التوديعُ مِن أَحبِّهِ (٨٥٦) ولم يبق إلا ساعة (٨٥٧) تتغنمُ
بكيت على الوادى فحرمت مأوئُهُ وكيف يحلُّ الماءُ واكثره دُمُ ؟
يا منقطعين عن الأحباب تعالوا نمشِ رَفَقَةً فمجمعنا مَأْتَمُ الأسى موعِدنا
مقابر الأسف .

شعر

(٨٥٩)

والذى بالبين والبعد بلانى ما تذكرت (٨٦٠) الحمى إلا شجائى
حبذا أهل الحمى من ساكنى شفى الشوق إليهم وبرانى
كلما رمت سلوا عنهم جَذَبَ الشوق إليهم بعنائى
أحسد الطير إذا طارت إلى أرضهم أو أقلعت للطيران
أتمنى أننى أصبح بها نحوهم لو أننى أعطى الأمانى

(٨٥٤) نسب صاحب المدهش هذين البيتين (للمهيار) [المدهش (ص ٣٧٧)] .

ديوان شعره : (٣٤٤/٣ - ٣٤٧) .

(٨٥٥) كذا بالأصل وبالمدهش (انجلي) والصواب ما ورد بالأصل .

(٨٥٦) (ممن أحبه) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (عما حذرت) .

(٨٥٧) كذا بالأصل وبالمدهش (نظرة) .

(٨٥٨) وردت هذه الموعظة أيضا تالية للموعظة السابقة فى المدهش (ص ٢٧٧) ،

من قوله (يا منقطعين ... إلى قوله (مقابر الأسف) .

(٨٥٦) وردت هذه الأبيات فى المدهش (ص ٢٠٥) .

(٨٦٠) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (ما جرى ذكر) .

لا تزيدوني غراماً بعدكم حل لي من بعدكم ما [قد] كفاني (٨٦١)
 ذهب العمر ولم أحظ بكم وتقضى في تمنىكم زمانى
 يا خليلي احفظا عهدى الذى كنتما قبل النوى عاهدتماني
 واذكراني مثل ذكرى لكما فمن الإنصاف أن لا تنسياني
 واسألا من أنا أهواه على أى جرم صدّ عني وجفاني

[غيم الغفلة]

(٨٦٢)

يا إخواني : لما انقشع غيم الغفلة عن قلوب أهل اليقين لاح لهم هلال
 الهدى فى صحو اليقظة فبيتوا نية الصوم وانضوا رواحل الأبدان فى سفر الشوق
 حبا لتعجيل اللقاء فكم طرق (٨٦٤) منزلا على الظماء حتى كل المطى .

شعر

[المهيأ] (٨٦٥)

نفرها عن وردِها بجاجر شوق يسوق الماء (٨٦٦) فى المحاجر

(٨٦١) ما بين المعكوفتين سقط استدركناه من المدهش وهو الصواب حتى لا يكسر
 وزن البيت .

(٨٦٢) وردت هذه الموعظة بالمدهش فى صفحتين هما ٣٨٠ ، ٣٨١ ، وأسقط كثيراً
 من الجمل بينهما .

والموعظة من قوله (لما انقشع ... إلى قوله (كل المطى) .

(٨٦٣) كذا بالأصل وبالمدهش (عيون) .

(٨٦٤) كذا بالأصل وبالمدهش (طوا) .

(٨٦٥) نسب صاحب المدهش هذا البيت (للمهيأ) [المدهش (ص

٣٨٢)] .

ديوان شعره (٦٣/٢ - ٦٦) [هامش المدهش (ص ٣٨٢)] .

(٨٦٦) (يسوق الماء) كذا بالأصل وبالمدهش (يعوق الدمع) .

[صبي يهب نفسه لله]

قال الدينوري : قال صبي لوالدته : يا أماه هبيني لله ليسقط عني فرضك ، وأشتغل بعبادة ربي ، فقالت له : يا ولدي أى مقام بلغت من مقامات الرجال ؟ فقال : لا شيء ، فقالت : أما تستحي أن تطلب مني أن أهبك لله وأنت لا تصلح ، وإنما يهدى للملوك ما جل قدره وعظم خطره قال : فعند ذلك خجل الصبي من كلامها ودخل منزلها وأقام يجتهد عشرين سنة ثم خرج ، وقد أفاضت عليه الطاعة أنوار القبول فسلم على والدته ، فردت عليه السلام ، وقالت له : يا ولدي إنه قد ظهر عليك آثار العبادة ، وأنا أرجو من الله الزيادة ، اذهب فقد وهبتك لله عز وجل ، قال : فخرج ولدها وغاب عنها عشرين سنة وهو يسبح في البرية وهو يعبد الله عز وجل ، ثم عاد إلى أمه فقرع عليها الباب فقالت : من هذا ؟ قال : ولدك ، فقالت : يا ولدي إني قد علم الله إني أحبك غير أني وهبتك لله تعالى ، وأنا أكره أن أهب لله شيئاً وأرجع فيه اذهب إلى حال سبيلك فوالله لا رأيك بعد هذا اليوم إلا بين يديه ، قال : فعند ذلك رجع وكان ذلك آخر عهداها به .

شعر

(٨٦٧)

يا نسيم الشمال بالله بلغ ما يقول المقيم المستهم
قل لأحبائنا لديكم^(٨٦٨) محب ليس يسلو ومقلة لا تنام
كل أنس^(٨٦٩) ولذة وسرور قبل لقاءكم على حرام

(٨٦٧) وردت هذه الأبيات بالمدحش (ص ٢٢١) .

(٨٦٨) كذا بالأصل وبالمدحش (فداكم) وكلاهما صواب .

(٨٦٩) كذا بالأصل وبالمدحش (عيش) وكلاهما صواب .

[التأثر بالقرآن]

وقال بعض الصالحين : كنت أمشي في شوارع البصرة وإذا أنا برجل يحمل قربة على ظهره ، فبينما هو يمشي وإذا بقارئ يقرأ قوله تعالى : ﴿ ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين ﴾ (٨٧٠) فلما سمعه رمى بالقربة عن ظهره وقال نعم على الرأس والعين ثم بكى بكاءً شديداً ، ورفع طرفه إلى السماء وقال : يا سيدي هذا حملي الذي قدرت عليه قد وضعت ، وهذا فراغي الذي وصلت إليه فعلته والأمر بعد ذلك إليك فيما أردته ، لا ما أردته ، ثم إنه ترك القربة وولّى هائماً على وجهه في البرية بعد ذلك ، قال : فلما كان في بعض الليالي رأيت في النوم ، فقلت له : ما فعل الله بك قال : لما قبضني أوقفني بين يديه وقال لي : أهلاً بمن فرّ إليّ : يا عبدي أزل وحشة الخوف عنك فقد قبلتك على ما كان منك واشوقاه (٨٧١) إلى تلك الأشباح سلام الله على تلك الأرواح .

شعر

(٨٧٢)

وبالحمى (٨٧٣) منازل تعودت مني إذا شأفتها التسليماً
وقفت منها سالماً وقت (٨٧٤) الضحى ورحت من وجد بها سليماً
يا نفعه الشمال من تلقائهم ردّي على ذلك التسليماً

(٨٧٠) سورة الذاريات - الآية : ٥٠ .

(٨٧١) وردت هذه الموعظة كجزء من موعظة بالمدحش (ص ٣٨٢) ، بنصها من قوله (واشوقاه ... إلى قوله (الأرواح) .

(٨٧٢) وردت هذه الأبيات بالمدحش (ص ٣٨٢) .

(٨٧٣) كذا بالأصل ووردت بالمدحش (هاإنها) .

(٨٧٤) كذا بالأصل وردت بالمدحش (راد) .

الفصل الثاني والعشرون

[يا مشغولاً بتلقيق ماله]

(٨٧٥)

اسمع يا مشغولاً بتلقيق ماله عن تحقيق أعماله من خطر ذكر الموت بيباله
قنع بالبلغ ولم يباله .

شعر

ما لك للحادثات نهب أو الذى حازة ورائه
أو لك أن تتخذه ذخرا فلا كنت أعجز الثلاثة

[قنطرة القبور]

لا بد والله من العبور على قنطرة^(٨٧٦) القبور تسفى^(٨٧٧) عليك الصبا^(٨٧٨)
والدبور^(٨٧٩) آه من طول الثبور ، بعد طيب الجبور فى موطن لا ينفع فيه صبر
الصبور ويندم على عثرته العثور ، ويفترش الدثور حتى يشور ، أين المتقلبون فى

(٨٧٥) وردت هذه الموعظة بنصبها فى المدهش (ص ٣٨٣) مع حذف بعض الجمل
بغير إخلال ، من قوله (يا مشغولاً بتلقيق ماله ... إلى قوله (فمن بشر ومن طيفور) .
(٨٧٦) كذا بالأصل وبالمدهش (منزل) والصواب ما ورد بالأصل .
(٨٧٧) تسفى : تسرع وتخف . [اللسان (٣٨٨/١٤ ، ٣٨٩ - سفا) ط. دار
صادر .

(٨٧٨) الصبا : ريح مهبها من مشرق الشمس إذا استوى الليل والنهار .

[اللسان (٤٥١/١٤ - صبا) ط. دار صادر .

(٨٧٩) الدبور : ريح تهب من المغرب وتقابل ريح الصبا .

[اللسان (٢٧١/٤ - دبر) ط. دار صادر .

ججور الفجور ، أين الظباء الكنس والأتراب الحور ، كيف يزين بدر البحور
بيد^(٨٨٠) النحور ، غرق الكل في يم التلف زخور ، واستوى الوضيع والفخور ،
تحت التراب والصخور ، ولا فرق بين ذوات الإماء وذوات الخدور ، في ذلك
المهبط الخدور ، لقد بان للكل أن الدنيا غرور ، وعرفوا في المصير شرور
السرور ، وتيقنوا أن تزوير الأمل للخلد غرور وتيقنوا أن تزوير الأمل للخلد غرور ،
تنافسوا على مساكنة سعة القصور ، فاسكنوا بعد ذلك في ضيق القبور ، وهذا هو
المصير ولو عمرتم عمر النصور ، فإذا انقضت تلك العصور ، ونفخ في الصور ،
وخرجت أطياف الأرواح من أعجب الكور وباتت الأرض تموج والسماء تمور ، ولقى
الكفور نار تلتهب وتفور ، وانزعج الخليل والكليم فمن بشر^(٨٨١) ومن
طيفور^(٨٨٢) ؟ .

« في أهوال يوم القيامة »

يروى عن رسول الله ﷺ أنه قال :

« إذا انقضى الأجل المحدود أمر الجبار جل جلاله إسرافيل عليه السلام
أن ينفخ في الصور نفخة الصعق فينفخ فيه على حين غفلة من الناس فمنهم من
هو في حرثه ومنهم من هو في سوقه ، ومنهم من هو في هوه ﴿ لا تأتكم
إلا بغتة ﴾^(٨٨٣) فلا يبقى شيء فيه روح إلا صعق ونهد فتبقى السموات
والأرض خالية من سكانها ما شاء الله تعالى ، ثم يرسل الله عز وجل ماء كمنى
الرجال فيسط على وجه الأرض فينبث الأجسام كما ينبث الزرع المطر ، ثم
يأمر الله تعالى إسرافيل عليه السلام أن ينفخ نفخة البعث فينفخ إسرافيل باذن
الله تعالى فتخرج الأرواح من ثقب في الصور على عدد أرواح الخلائق حتى تملأ
ما بين السماء والأرض ثم ينادى مناد على صخرة بيت المقدس أيتها العظام
النخرة والعروق المتقطعة والجلود المتمزقة التئمي بقدره الله عز وجل ، قال :

(٨٨٠) هذه الكلمة ليست بالمدحش ولا موضع لها ههنا .

(٨٨١) بشر : المقصود به بشر الخافى وقد سبق التعريف به .

(٨٨٢) طيفور : هو أبويزيد البسطامي وقد سبق التعريف به .

(٨٨٣) سورة الأعراف - الآية : ١٨٧ .

فيرجع إلى كل جسد ما كان منه ، وتأقى روحه فتدخل فيه ويأمر الله الأرض أن تنشق عنهم ﴿ فإذا هم قيام ينظرون ﴾ (٨٨٤) قال : فينظرون إلى الشمس وقد كورت وإلى النجوم وقد انكدرت وإلى الجبال وقد سيرت وإلى العشار (٨٨٥) وقد عطلت ، وإلى الوحوش وقد حشرت فعند ذلك تطيش الأحلام وتنزل الأقدام وتزفر جهنم زفرة ، فيتضاعف الخوف والقلق والفرع ويشتد الكرب والعرق والجزع ثم يخرج عنق من النار ويقول بصوت يسمعه جميع من في المحشر : قد أمرت بكل جبار عنيد ، فيلتقطهم من بين الناس كلقط الحمام الحب ثم توضع الموازين وتنشر الدواوين ، وتتطاير الصحف بالآيمان والشمائل ثم يمد الصراط على متن جهنم وهي سوداء مظلمة يأكل بعضها بعضا ثم يلقي فيها فوج بعد فوج ، فلو رأيتهم لرأيت أمراً فظيعاً وأمرأ مهولاً طعامهم الزقوم وشرابهم الحميم ليسوا من شدة العذاب بميتين ولا هم منها بمخرجين .

شعر

(٨٨٦)

كَمْ لِلْمَنَآيَا فِي بَنَى آدَمَ تَوْسِعَ مِنْهُ تَضِيقُ الصُّدُورُ
لَوْ قَنَّعَ (٨٨٧) النَّاسُ بِدُنْيَاهُمْ لَاقْتَنَعُوا مِنْ (٨٨٨) اقْتِنَاعِ الطُّيُورِ

(٨٨٤) سورة الزمر - الآية : ٦٨ .

(٨٨٥) العشار : العشاء من النوق ونحوها : ما مضى على حملها عشرة أشهر .

[الوسيط (٦٠٢/٢)] .

(٨٨٦) ورد هذان البيتان في المدهش (ص ٣٨٤) .

(٨٨٧) كذا بالأصل وفي المدهش (فطن) والصواب ما ورد بالمدهش .

(٨٨٨) كذا بالأصل وفي المدهش (منها) .

يا أخى ويحك^(٨٨٩) إن الدنيا تضر^(٨٩٠) ولا بد لك منها فخذ قدر الحاجة
فالدنيا فى مقام امرأة ، واللمس ناقض ، طريق المتقين^(٨٩١) يفتقر فيها إلى رواحل
وإبل عزائمك كلها كالة^(٨٩٢) إنما يصلح للملك قلب فارغ عما سواه .
وقلبك^(٨٩٣) خازن كل يوم يرتحل منه ساكن وينزله ساكن .

قال زيد بن مروان : مررت بجارية متعبدة وقد ولعت فى شدة المحبة
فسمعتها وهى تقول :

سَلَبَ الرُّقَادُ مِنَ الْجَفُونِ تَشَوُّقِي فَمَتَى اللِّقَاءُ يَا جَامَعَ الْأُمُورِ
قال : فسلمت عليها فردت على السلام ، ثم قالت أأست زيدا ؟ قلت :
بلى فبم عرفتينى ؟ ، فقالت : يا هذا اتصلت المعرفة بالأسرار فعرفتلك بمعرفة
الجبار ، ثم قالت : يا زيد ما السخاء عندكم ؟ قلت : البذل والعطاء ، قالت :
هذا السخاء فى الدنيا ، فما السخاء فى الدين ؟ قلت : المسارعة إلى طاعة الله
تعالى قالت : إلى متى ؟ قلت : إلى أن تفوز بالجنة ، فقالت : إنما المسارعة إلى
طاعة الله تعالى إلى أن يطلع على قلبك فلا يجد فيه غيره ، ثم قالت :

حسبت المحب من الحبيب يعلمه إن الحبيب بباله مطروح
وإذا تَقَلَّبَ فى الدُّجَى ففؤاده بسيهام لوعاتِ الهوى مجروح

(٨٨٩) هذه جزء من الموعظة السابقة وهى تالية لها مباشرة وردت فى المدهش (ص ٣٨٤)
من قوله (ويحك إن الدنيا ... إلى قوله (قلب فارغ مما سواه) .
(٨٩٠) كذا بالأصل وبالمدهش (تغر) .
(٨٩١) كذا بالأصل وبالمدهش (المتيقن) .
(٨٩٢) كالة : أى متعبة منهكة . [اللسان (١١/٥٩١ - كلال) ط. دار
صادر .

(٨٩٣) هذه العبارة كلها من قوله (وقلبك ... إلى قوله (وينزله ساكن وردت
كبيت شعر فى المدهش (ص ٣٨٤) وقد ورد هكذا (وقلبك خان كل يوم وليلة ... يفارقه
ركب وينزله ركب) .

وقيل : في بعض الأخبار إن الله تعالى يقول للطائعين يوم القيامة عبادي
آثرتوني على شهواتكم فأبشروا اليوم بكرامتي فوعزتي وجلالي ما خلقت الجبر
إلا لكم .

(٨٩٤)

اسمع يا مظهرا من الخير ما ليس في قلبك^(٨٩٥) لا تبع ما ليس عندك ،
تبكي ساعة الحضور على الخيانة والمسروق في فمك^(٨٩٦) ، كم نهاك عن نظرة ؟
وتعلم أنه بالحضرة ولا تراقب الناظر ، برد الناظر ، فكأنك لا تعلم أن الحاضر
حاضر .

« في ميت عاتب المغسل في المنام »

قيل : لما توفي سهل بن عبدالله وكان أوصى إلى سالم وأبى عبدالله الخياط
أن يغسله ، قال سالم : فلما وضع على المغسل رأيت يده اليسرى على عورته
فأخذت اليسرى فوضع اليمنى على عورته وفتح عينيه في وجهي فغشيت على هيبه
له ، ثم أفقت من غشيتي فجعلت عليه إزاراً ثم غسلته فرأيت في المنام فقال لي :
يا سالم أتكشف عن عورة ما كشفتها لحلال ولا لحرام منذ ستين سنة ، ولقد
بلغت فلم أنظر إلى عورتي بعد ذلك حياء من الله عز وجل .

(٨٩٤) هذه الموعظة أيضاً جزء من الموعظة السابقة وقد وردت في المدهش (ص
٣٨٤) وقد وردت جملها مع بعض التغيير في ترتيبها . من قوله (يا مظهراً من الخير ... إلى
قوله (إن الحاضر حاضر) .

(٨٩٥) (في قلبك) كذا بالأصل وبالمدهش (له) .

(٨٩٦) كذا بالأصل وبالمدهش (جييك) .

شعر

(٨٩٧)

الناسُ من الهوى عَلَى أصناف هذا نَقَضَ العهدَ وهذا وافى
هَيْهَاتَ من الكدورِ تبغى الصافي ما يصلح للحضرة قلب جافى

(٨٩٨)

يا هذا أكبر دليل علينا ، أنت كنت مبدوداً (٨٩٩) في ظهور الأصول
فنظمت بالقدرة نظماً عجيباً ، فما تنقض إلا لأمر هو أعجب منه ، مدت أطناب
العروق ، وحفرت خنادق الأعصاب ، وضربت أوتاد المفاصل ، وأقيم عمود
الصلب ، ثم مد السرادق ، فنصب سرير القلب في الباطن للملك « ويسعنى قلب
عبدى المؤمن » (٩٠٠) .

شعر

إذا لم تجد صباً على النأى مخبراً عَن البعدِ (٩٠١) بعد البين أين أقاموا
فعند النسيم الرطب أخبار منزلٍ به لِسُلَيْمَى في العقيق خيام

(٨٩٧) ورد هذان البيتان في المدهش (ص ٣٨٥) .

(٨٩٨) هذه الموعظة بما ورد فيها من شعر وردت في المدهش (ص ٣٨٥) مع بعض
الاختصار لبعض العبارات والأشعار . وهى من قوله (يا هذا أكبر دليل علينا .. إلى قوله
(طاقات المنى) .

(٨٩٩) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (مبدداً) .

(٩٠٠) هذا الأثر موجود في الإحياء (١٤/٣) وقال العراقي في تخرجه لم أر له أصلاً ،
وقال ابن تيمية : هو مذكور في الإسرائيليات . انظر (كشف الخفاء ٢/٢٧) .

(٩٠١) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (الحى) والصواب ما ورد بالأصل .

يا هذا إذا أقفر القلب من ساكن « ويسعنى » ، فتحت النفوس بابه
لعناكب الغفلة ، فنسجت فى زواياه من لعب الآمال ، طاقات المنى . يا من^(٩٠٢)
له فى حديث القوم ذوق ، أين آثار القلق^(٩٠٣) والشوق ؟ أشد الناس حبا لحديث
الحجاز من سافر إليه .

شعر

يا نسيم الشمال بلغ خطاى واشف منى الجوى برّد الجواب
قف بساحات ذلك الربع واحمل ذرة من تراب ذاك الجناح
قل لى مولاي يا منى الروح والقلب ومن فيه ذلتى واكتئابى
كنت أخشى الوشاة فيك ولكن جفوة الحب لم تكن فى حساب

[زكام الكسل]

يا هذا كنت تدعى حيناً وتؤثر القرب حيناً ، فما هذا الصبر الذى قد غنّ
عنا^(٩٠٤) ؟

كنت تستطيب رياح الأسحار وما تغير المهب ، ولكن دخل فصل الفتور
ولم تحترز فأصابك زكام الكسل كنت فى الرعيل الأول ، فما الذى ردك إلى
الساقاة ؟ قف الآن على جادة^(٩٠٥) التأسف والزّم البكاء على التخلف .

(٩٠٢) هذه الموعظة جزء من موعظة أكبر وردت بالمدهش (ص ٣٩٥) . مع
اختصار بعض عباراتها ولم ترد أبيات الشعر الواردة هنا التى تبدأ بقوله (يا نسيم
الشمال ... إلى (لم تكن فى حساب) لم ترد فى المدهش وهذه الموعظة تبدأ من قوله (يا من
له فى حديث القوم ذوق ... إلى قوله (والزم البكاء على التخلف) .

(٩٠٣) كذا بالأصل وبالمدهش (الوجد) .

(٩٠٤) (عن عنا) أى انصرف عنا وأعرض . [اللسان (٢٩١/١٢) -

عنن] ط. دار صادر .

(٩٠٥) الجادة : وسط الطريق أو الطريق الأعظم الذى يجمع الطرق . [الوسيط

(١٠٩/١)] .

ورد في بعض الأخبار : أن العبد إذا تغيرت أحواله بركوب المعاصي وشكا ذلك إلى ربه فيقول الله عز وجل : يا عبدي أنت بالقطيعة بدأت هل لا أقمت على طاعتك وجريت في القرب منّا على عادتك ، وإنما يطلب برّي وإحساني من ترك مخالفتي وإحساني .

[احذروا الدنيا]

(٩٠٦)

إخواني : احذروا الدنيا فإنها أسحر من هاروت وماروت ذانك يفرقان بين المرء وزوجه ، وهذه تفرق بين العبد وربّه ، وكيف لا وهى التى سحرت سحرة بابل ، إن أقبلت شغلت وإن أدبرت قتلت .

شعر

ويلاه إن نظرت (٩٠٧) وإن هى أعرضت وَقَعَ السهام ونزعهن أليم
يا هذا إن الدنيا إذا صفت حلالها كدرت الدين ، فكيف إذا أخذت من حرام ؟

ما زالت (٩٠٨) الظلمة فى الظلمة ، يمشون فى جمع الخطام ، ويمسّون على فراش الآثام ﴿ فما ربحت تجارتهم ﴾ (٩٠٩) أتراهم نسوا طي الليالى سالف الجبارين ؟ ﴿ وما بلغوا معشار ما آتيناهم ﴾ (٩١٠) فما هذا الاغترار ﴿ وقد

(٩٠٦) وردت هذه الموعظة بنصها مع إسقاط بعض العبارات فى المدهش (ص ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨) من قوله (إخواني : احذروا الدنيا.. إلى قوله تعالى ﴿ حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ .

(٩٠٧) كذا بالأصل وبالمدهش (عرضت) .

(٩٠٨) ليست هذه اللفظه بالمدهش .

(٩٠٩) سورة البقرة - الآية : ١٦ .

(٩١٠) سورة سبأ - الآية : ٤٥ .

خلت من قبلهم المثالات ﴿٩١١﴾ ﴿فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم﴾ ﴿٩١٢﴾ ، كم دارّ دارت بهم نعم النعم ، فدارت عليها دوائر النقم ، ﴿فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس﴾ ﴿٩١٣﴾ ، كم جار في حلية المنى قد استولى طرفه على طرف الأمل ﴿٩١٤﴾ صدمه قهر عقوبة فألقاه أسرع من طرفة عين بينا القوم يبسطون في بسط البسطة إذ كفت أكفهم بمقامع القمع لبستهم ﴿٩١٥﴾ عقارب ظلمهم ، نفخهم ثعبان جورهم ، عقرتهم أسود بطشهم ، نسفتهم عواصف كبرهم ، وفي الغير عبر ، لقد ودّوا لو ردوا فيعلمون ﴿٩١٦﴾ ولكن ﴿حيل بينهم وبين ما يشتهون﴾ ﴿٩١٧﴾ ويحك إذا كانت الراحة اللذة تعقب تعب العقوبة فدع الدعة تمضي في غير الدعة ، ما تساوى لذة سنة بغم ساعة ، فكيف والأمر بالعكس ؟

رئى عمر بعد موته بائنى عشر سنة فقال : الآن تخلصت من حساى .
واعجباً : أقيم أكثر من سنى الولاية أفيتبته بهذا راقد الغفلة ؟ ﴿٩١٨﴾
أحسن شرائع ﴿٩١٩﴾ الشرائع ، العدل ، الظلم ظلمة في نهار الولاية ، والعدل صوت في صور الحياة ، يبعث به موقى الجور ، أيها الظالم ، تذكر عند جورك عدل العادل ﴿٩٢٠﴾ ، تفكر حين تصرفك في سرفك يا أرباب الدول لا تعربدوا في

-
- (٩١١) سورة الرعد - الآية : ٦ .
(٩١٢) سورة يونس - الآية : ١٠٢ .
(٩١٣) سورة يونس - الآية : ٢٤ .
(٩١٤) كذا بالأصل وبالمدهش (الأمد) .
(٩١٥) كذا بالأصل وبالمدهش (لبستهم) .
(٩١٦) (لقد ودو لو ردوا فيعلمون ولكن) كذا بالأصل وبالمدهش (فهل ينتظرون من لهم إذا طلبوا العود) .
(٩١٧) سورة سبأ - الآية : ٥٤ .
(٩١٨) كذا بالأصل وبالمدهش (الهوى) .
(٩١٩) كذا بالأصل وبالمدهش (شعائر) .
(٩٢٠) كذا بالأصل وبالمدهش (الحاكم) .

سكر القدرة فصاحب الشرطة بالمقدرة^(٩٢١) ، الحذر الحذر ﴿ أن تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله ﴾^(٩٢٢) ﴿ ولات حين مناص ﴾^(٩٢٣) وأنت أيها المظلوم تذكر من أين أتيت ؟ فإنك لا تلقى كدراً إلا في طريق خيانة ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾^(٩٢٤) .

ورد في بعض الأخبار : أن العبد لا يزال يحفظ ويرى ويلطف ويغذى حتى يبلغ الحلم ويأمر وينهى فإذا أذنب واسى وخالف وعصى يقول الله تعالى للملائكة اطرّدوا هذا العبد عن بابي فإنه سيء الأدب لم يدع الجميل الجسيم ، ولا ذكر الإحسان القديم ، يا هذا أنفع^(٩٢٥) دواء أجده لى ولك نقض أخلاط التخليط بتسرية الدمع فإن بضاعة المذنب دمة ، ورأس مال المقرط حزنه ، وراحة الأول قلقه وعيشة التواب حرقة .

« في رجل ندم على ذنبه فقبله الله سبحانه وتعالى »

قال وهب بن منبه^(٩٢٦) : كان أول عابد من عباد بني إسرائيل قد عبد الله تعالى أربعين سنة ثم أخطأ خطيئة فخرج هارباً من ذنبه طالباً عفوَ ربه حتى أتى البحر فوقف ونادى أيها البحر هل فيك من مخبأ ؟ فأوحى الله عز وجل إليه أيها البحر أن أجب عبيدى ، فقال : ممن تريد المخبأ ؟ فقال : من رب العالمين ، فإنى استحى منه لما كان خطيئتي فقال البحر : سبحان الله وكيف أستطيع ولا فى قطره إلا وهى موزونة بميزان مكيّلة بمكيال مع ملك موكل بها مع علم الله بى وبها ، فولّى العابد وهو يقول : سبحانك ما أعظم سلطانك فأين المفر ثم ولّى

(٩٢١) كذا بالأصل وبالمدّش (بالمرصاد) .

(٩٢٢) سورة الزمر - الآية : ٥٦ .

(٩٢٣) سورة ص - الآية : ٣ .

(٩٢٤) سورة الرعد - الآية : ١١ .

(٩٢٥) وردت هذه الموعظة بتغيير فى بعض ألفاظها تغييراً غير مغل فى المدّش (ص

٤٠٥) . من قوله (أنفع دواء أجده إلى قوله (عيشة التواب حرقة) .

(٩٢٦) سبق الترجمة له .

حتى وقف في فلاة من الأرض حتى [قطع] (*) ما شاء الله منها ثم قال: أيتها الأرض الطويل طولك العريض عرضك هل فيك من مخبأ؟ فأوحى الله تعالى إليها أن أجيبى عبدى، فقالت الأرض ممن تريد المخبأ؟ قال: من رب العالمين، فقالت الأرض: سبحان الله وكيف أستطيع ولا في حجر ولا مدرة صغيرة ولا كبيرة إلا وقد أحصيت عدداً وحققت وزناً مع ملك موكل بها مع علم الله بى وبها، فولّى وهو يقول، سبحانك ما أعظم شأنك وأعز سلطانك فأين المهرب؟ ثم لحق بالجبال وجعل ينخللها حتى وقف على أطولها جبلاً وقال: أيها الجبل هل فيك مخبأ؟، فأوحى الله تعالى إليه أن أجب عبدى فقال له الجبل: ممن تريد المخبأ؟ قال: من رب العالمين فقال الجبل: سبحان الله وكيف أستطيع ذلك ولا في صخرة صغيرة ولا كبيرة إلا وعليها ملك موكل بها مع علم الله بى وبها؟، فرفع طرفه إلى السماء وقال: إلهى فر منى كل شىء وأسلمنى وتباعد عنى، إلهى أسألك إياك وأعوذ بك منك فأرسل الله إليه ملكاً في صورة ملك من بنى آدم فقال له: الحق يقرئك السلام، ويقول لك: أنا الله من عصانى أمهلتك، فإن تمادى نهيتك، فإن تاب قبلته، فإن سوف دعوته، فإن أبى وأصر أخرته إلى الأجل الذى أجلته، فأخذه بعدلى وأغفر له بفضلى، قد قبلت توبتك برجوعك إلىّ وأنا التواب الرحيم.

شعر

فلا تحسبوا أنّى نسيْتُ وُدَّادَكم فإنى وإن طال المدى لستُ أنساكم
حفظنا وضيعنا وُدَّاداً وحرمة فلا كان من فى هجرنا اليوم أغراكم

(*) بالأصل: [ما قطع] والصواب ما أثبتناه .

الفصل الثالث والعشرون

[يا مشغولاً بأمله]

(٩٢٧)

اسمع يا مشغولاً بأمله عن أجله ، راضياً في صلاح خلاله بخلله ، هل أتى
الساكنين^(٩٢٨) لسكنه^(٩٢٩) إلا من قبله .

شعر

(٩٣٠)

سَلِ الْأَيَّامَ مَا فَعَلْتَ بِكِسْرَى وقِصِرِ وَالْقُصُورِ وَسَاكِينِهَا
أَمَا اسْتَدْعَتْهُمُ لِلْمَوْتِ طَرَا فلمْ تَدْعِ الْحَلِيمِ وَلَا السَّفِيهَا
دَنَّتْ نَحْوَ الدُّنَى بِسَهْمِ خُطْبٍ وَأَصْمَتِهِ وَوَاجِهَتِ الْوُجُهَا
أَمَا لَوْ يَبْعَثُ الدُّنْيَا بِفَلَسٍ أَنْفَتَ لِعَاقِلٍ أَنْ يَشْتَرِيهَا

يروى عن عبد الله بن المعلل أنه قال : خرجنا حجاجاً من المدينة فلما نزلنا
منزلة وقف علينا رجل عليه أثواب رثة فقال : من يبتغي ساقياً يملأ له قربة أو
إداوة ؟ فقلنا له دونك هذه القربة فأخذها وانطلق فلم يكن إلا قليلاً حتى أتى بها
فلما وضعها رأيت الحبل قد أثر في كتفيه فأدركتني عليه رقة فقمت إلى رحلى
فأخرجت منه قرصاً وناولته إياه فاعتزل وأكل أكل جائع فرحت ثانية وأتيت بطعام
طيب كان معي وقلت له : كُلْ رَحِمَكَ اللَّهُ فَإِنَّ الْقُرْصَ لَمْ يَقَعْ مِنْكَ بِمَوْقِعٍ ، فنظر

(٩٢٧) وردت هذه الموعظة بتغيير في بعض ألفاظها بالمدحش (ص ٣٩٠) .

(٩٢٨) كذا بالأصل ووردت بالمدحش (الساكن) .

(٩٢٩) كذا بالأصل ووردت بالمدحش (لكسله) .

(٩٣٠) وردت هذه الأبيات في المدحش (ص ٣٩١) .

إلى طويلا ثم قال وهو مبتسم : إنما هي فورة هذه النار وقد أطفأتها بما أمكن ثم ضرب يده على بطنه وقال : لا حاجة لي فيه ، فرجعت متعجبا ، فقال لي رجل : أتعرف هذا ، قلت : لا قال : هذا رجل من ولد العباس بن عبد المطلب من نسل سليمان بن أبي جعفر المنصورى كان يسكن البصرة وقد فقدته منها ولم يعلم له خبرا فاتبعته حتى لحقته وقلت له : يرحمك الله قد علمت مكانك ودار إقامتك فإن شئت رجعت معي أدفع لك ما تركبه وما تحتاج إليه من زاد وغيره حتى أبلغك دار إقامتك فقال : يا هذا لو أردت ما ذكرت كان لي معد ثم أنشأ يحدث قال : كنت أسكن البصرة وكنت ذا كبرٍ وتجبٍ وتكاثٍ وتفاجرٍ فأمرت جارية من خدمي ذات ليلة أن تفرش لي فراشا ففعلت ونثرت فوقه نثر الورد بعد أن نزعته أقماعه وحشت منه وسائده ومخاد ثم اضطجعت فينا أنا نائم إذ تقلبت لجنبى فحسست بقمع وردة أغفلته الجارية فبت أتقلب كأنى على شوك القتاد ، فأصبحت وقد امتلأت عليها غيظا فقممت إليها وأوجعتها ضرباً وأخرجت ذلك القمع وعدت إلى مضجعى فأتانى آتٍ فى منامى فوكزنى برجله وقال : أفق من غشيتك وانتبه من رقدتك :

شعر

يا خدان وسيدة فراشا ناعما وشدت بعد الموت صم الجندل
فامهد لنفسك صالحا تنجو به فلتندمن غدا إذا لم تفعل
قال : فعند ذلك انتهت فرعا مرعوبا ورأيت كل ما أنا فيه زائلا فخرجت
دابيا فى تحصيل ما لا بد لي منه ، قال : فلما قضى حديثه أتخش منى فلم أعلم أين
ذهب .

(٩٣١)

إخوانى : المستقر يزول والمقيم منقول والأحوال تحول والعتاب على الفانى
يطول ، فكم تعذل وكم تقول :

(٩٣١) هذه الموعظة وردت بالمدحش (ص ٣٩٣) مع الاختصار غير المختل ، من قوله
(إخوانى المستقر يزول إلى قوله) (على ما سلف تأتلف) .

شعر

سَيَقْطَعُ رَبُّ الدَّهْرِ^(٩٣٢) بين الفريقين لِكُلِّ اجتماع فرقة من يد البين
وَكُلُّ يَنْقُضِ^(٩٣٣) ساعةً بعد ساعة تُحَايِلُهُ^(٩٣٤) عن نفسه ساعة الحين
وما الحشرُ إلا كالصباح إذا انجلي يقوم له الوسنان من رقدة البين^(٩٣٥)

[أين الأطفال والشمطان]

أين قطان الأوطان ؟ أين الأطفال والشمطان^(٩٣٦) أين الجائع
والمبطان^(٩٣٧) أين العبيد والسلطان تعرف وتصدف^(٩٣٨) ﴿ هذا من عمل
الشیطان ﴾^(٩٣٩) .

يا معشر العصاة قد عم الجذب أرض القلوب ، وأشرقت زروع التقوى
على النوى ، فأخرجوا من حضر الذنوب إلى صحراء الندم ، وحلوا أردية^(٩٤٠)

-
- (٩٣٢) كذا بالأصل ووردت بالمدحش (البين) .
(٩٣٣) كذا بالأصل ووردت بالمدحش (يقضى) .
(٩٣٤) كذا بالأصل وبالمدحش (تخاتله) والأفضل ما ورد بالمدحش .
(٩٣٥) كذا بالأصل وبالمدحش (العين) والصواب ما ورد بالأصل .
(٩٣٦) الشمطان : مأخوذ من الشمط : وهى الشعرات البيض فى الشعر الأسود
والمراد العجائز أو كبار السن . [الوسط (٤٩٤/١)] .
(٩٣٧) المبطان : أى عظيم البطن من كثرة الأكل . [اللسان (٥٤/١٣) -
بطن] ط. دار صادر .
(٩٣٨) تصدف : تعرض . [الوسيط (٥١٠/١)] .
(٩٣٩) سورة القصص - الآية : ١٥ .
(٩٤٠) أردية : جمع رداء : ما يلبس فوق الثياب كالجبة والعباءة . [الوسيط
(٣٤٠/١)] .

الغدر عن مناكب العهود ، ونكسوا رؤوس الكبر على أذقان الذل لعل غيوم
الهموم^(٩٤١) على ما سلف^(٩٤٢) تأتلف ، فقد قيل « أن العبد إذا أقبل على طاعة
الله وأعرض عن معصيته نادته ملائكة الرحمة : وقفت وهديت هذا طريق الأبرار
ومسلك الأنخيار وإذا أقبل على معصيته وأعرض عن طاعته نادته ملائكة العذاب
خاب قصدك وضل سعيك هذا طريق الأشرار وسبيل الفجار » .

وقيل^(٩٤٣) : أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام يا داود لو يعلم
المدبرون عنى كيف انتظاري لهم ورفقى بهم وشوقى إليهم ومحبتى لترك معاصمهم
لماتوا شوقا إليّ ، يا داود هذه إرادتى للمدبرين عنى فكيف إرادتى للمقبلين عليّ ،
يا داود أحوج ما يكون العبد إلى إذا استغنى عنى وأرجى ما يكون لعفوى إذا
أدبر عنى وأجل ما يكون إذا رجع إليّ خوفا منى .

« في رجل لم تحرقه النار لدعوة امرأة شريفة »

قال بعض الصالحين : دخلت إلى مصر فوجدت حدادا يخرج الحديد بيده
من النار ويقبله على السندال ولا يجد لذلك ألماً فقلت فى نفسى هذا عبد صالح
لا تعدو عليه النار فدنوت منه وسلمت عليه فردّ عليّ السلام فقلت له :
يا سيدى بالذى منّ عليك بهذه الكرامة إلا ما دعوت لى فبكى وقال : والله
يا أخى ما أنا كما ظننت ، فقلت له : يا أخى إن هذا الذى تفعله لا يقدر عليه
إلا الصالحون ، فقال : إن لهذا الأمر حديثاً عجيباً فقلت له : إن رأيت أن تعرفنى
به فافعل ، قال : نعم ، قال : كنت يوماً من الأيام جالسا فى هذه الدكان وكنت
كثير التخليط ، إذ وقفت على امرأة لم أرقط أحسن منها وجهها ، فقالت : يا أخى
هل عندك شىء لله ، فلما نظرت إليها فتننت بها وقلت لها : هل لك أن تمضى معى
إلى البيت وادفع لك ما يكفيك فنظرت إلى زمانا طويلا فذهبت وغابت عنى

(٩٤١) كذا بالأصل وبالمدهش (الغموم) .

(٩٤٢) كذا بالأصل وبالمدهش (تلف) .

(٩٤٣) هذا الأثر من قوله (أوحى الله عز وجل إلى داود .. إلى قوله (فكيف إرادتى

للمقبلين عليّ) وردت بالتبصرة (٣٤/١) بنصها .

طويلاً ثم رجعت وقالت : يا أخى قد احوجتني الضرورة إلى ما ذكرت قال :
فقلت الدكان ومضيت بها إلى البيت .

شعر

لعلَّ عَثْبُكَ محمودٌ عواقِبُهُ ورُبَّما صَحَّتْ الأجساد بالعلل
فقلت لى : يا هذا إن لى أطفالا وقد تركتهم على فاقة شديدة فإن رأيت أن
تعطينى شيئا أذهب به إليهم وأرجع إليك فافعل قال : فأخذت عليها العهود
والمواثيق ودفعت لها بعضاً من الدراهم فمضت وغابت ساعة ثم رجعت فدخلت
بها إلى البيت وأغلقت الباب فقالت : لم فعلت هذا فقلت لها : خوفاً من الناس
فقلت : ولم لا تخاف من رب الناس فقلت لها : إنه غفور رحيم ، ثم تقدمت إليها
فوجدتها تضطرب كما تضطرب السعفة في يوم ريح عاصف ودموعها تتحدر على
خديها فقلت لها : مم اضطرابك وبكاؤك ، فقالت : خوفاً من الله عز وجل ثم
قالت لى يا هذا إن أنت تركتني لله ضمنت لك أن الله لا يعذبك بالنار لا في الدنيا
ولا في الآخرة ، قال : فقلت وأعطيتهما جميع ما كان عندي وقلت لها : يا هذه قد
تركتك خوفاً من الله عز وجل ، قال : فلما فارقتني غلبتني عيني فنمت فرأيت
امراً لم أرقط أحسن منها وجهاً وعلى رأسها تاج من الياقوت الأحمر فقالت
لى : جزاك الله عنا خيراً ، قلت لها : ومن أنت قالت : أنا أم الصبية التي أتتك
وتركتها خوفاً من الله عز وجل لا أحرقك الله بالنار لا في الدنيا ولا في الآخرة ،
فقلت لها : عرفيني بها ومن أى نسل هى يرحمك الله ، فقالت : هى من نسل
رسول الله ﷺ ، فتذكرت قول الله عز وجل ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ
الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ (٩٤٤) ثم أفقت من منامى ، ومن ذلك
الوقت لم تعدو على النار وأرجو أن لا تعدو على في الآخرة .

فصلى الله على من حبى بإسناد المفاخر وعلى عترته الذين خصوا بهذه
المآثر ، الذى خلق من أرضى الأرض أرضاً ، وخص بأصفى الأوصاف وصفاً

(٩٤٤) سورة الأحزاب - الآية : ٣٣ .

وصين أباؤه من الزنى فلم يكن منه خائن ولا خائنة إلى أن صدفت تلك الدرة عن
صدفة آمنة ، فألبس إهاب الهيبة وتوج بتاج السيادة وشارك الأنبياء في معجزاتهم
وخص عليهم بالزيادة ، أين انشقاق البحر من انشقاق القمر أين انفجار الماء من
الحجر الدامع من نبع الماء الجم من بين الأصابع ، أين التكليم عند الطور من قاب
قوسين على بساط النور ، أين خطاب الجمجمة الناطقة بالبيان من تسبيح الحصى
في الكف بلا لسان ، أين علو سليمان بالريح العجاج ، أين ركوب البراق ليلة
المعراج ، أين إحياء عيسى الأموات والألسن الناطقة من تكليم الذراع محمد ذى
المعجزات الخارقة ، آدم فمن دونه تحت لوائه يوم القيامة فهو أول الناس خروجا
إذا بعثوا وخطيبهم إذا وفدوا ومبشرهم إذا جزعوا وشفيعهم إذا يتسوا ، الأنبياء قد
سكتوا لنطقه والأملأك قد اعترفوا بحقه والجنة والنار تحت أمره والخزان داخلة في
دائرة حكمه ، كلام غيره قبل قوله لا يسمع وجواب الحديث قل يسمع فسبحان
من فضله من الفضل الصرف ما فضله وكساه من حلال الفخر الجم ما جمَّله ،
جمع الله بيننا وبينه في جنته وأحيانا على كتابه وسنته .

١٠. ابع والعشرون

[يا بعيد الأمل]

اسمع يا بعيد^(٩٤٥) الأمل^(٩٤٦) والموت منه قريب يا من هو عن قريب
يصير في القبر غريب ، باراكبا عجز الهوى وفي يده جنيب ، يا ماراً على وجهه
قل لي متى تنيب ؟ ألا تأخذ قبل الفوت بعض النصيب ؟ ألا تتزود ليوم شره
عصيب ؟ ألا تخرج عن وادي الجذب إلى الربع الخصيب ؟ ، أحاضر أنت قل لي
ما أكثر ما تغيب .

شعر

بكيث وما يبلى حديثُ مُناكَ كفاك نذيرُ الشيبِ فيك كفاك
ألم تر أن الشيب قد قام ناعياً مقامُ الشبابِ الغضِ ثم نعاك
ولم تر يوماً مر إلا كائنه بإهلاكه الهالكين عناكاً .
ألا ليت شعري كيف أنت إلى القوى وهت وإذا الكربُ الشديدُ علاكاً
كأن خطوبَ الدهر لم تجر ساعةً عليك إذا الخطبُ الجليل عراكاً .

(٩٤٧) قال رسول الله ﷺ :

« احضروا موتاكم ولقنوهم قول لا إله إلا الله وبشروهم بالجنة فإن
الحكيم يتحير عند ذلك المصرع فوالذي نفس محمد بيده إن ذلك اليوم أشد من
ألف ضربة بالسيف » .

(٩٤٥) وردت هذه الموعظة بتغيير في بعض الألفاظ بالمدحش (ص ٣٥٦) من قوله
(اسمع يا بعيد الأمل إلى قوله (ما أكثر ما تغيب) .
(٩٤٦) كذا بالأصل وبالمدحش (التيقظ) .
(٩٤٧) روى في حلية الأولياء (١٨٦/٥) عن وائلة بن الأسقع .

(٩٤٨) إخواني : ألا ناظر لنفسه قبل الفوت (٩٤٩) ألا مستدركاً زاد رسمه قبل الموت (٩٥٠) ألا مزدجر بوعظ أمسه ؟ فقد أسمعته الصوت .

شعر

هل ناظرٌ لنفسه قبل حلول مسه (٩٥١)
هل يومه أو غده إلا نظير لأمسه
وعله يلقي الردى قبل غروب شمسه
كم مدلج مهجر يسعى لبعل عرسه
وأكيس الناس امرؤ جد ليوم رسمه

[حبال الآمال رثا]

يا إخواني : ويحكم حبال الآمال رثا (٩٥٢) ، وساحر الهوى
نفاث (٩٥٣) ، والأمانى على الحقيقة أضغات (٩٥٤) والمال المدخر رزق الوارث عجباً
لأجسام ذكور وعقول إناث ، إلام الرواح في الهوى والتغليس ؟ وحتام السعى في
صحبة إبليس ؟ فكم بهرجة في العمل وكم تدليس ، شجرة الإخلاص أصلها ثابت

(٩٤٨) هذه الموعظة وردت متفرقة في المدهش (ص ٤١٠) ثم (ص ٣٩٨) من قوله
(إخواني ألا ناظر لنفسه ... إلى قوله (وللمرائي سموم النسيم) .
(٩٤٩) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (الموت) .
(٩٥٠) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (الفوت) .
(٩٥١) ورد هذا البيت في المدهش هكذا [ماضر عبد نفسه ... قبل خروج
نفسه] .

(٩٥٢) رثا : الرث الخسيس البالي من كل شيء والجمع رثا [اللسان (١٥١/٢)
- رثا] ط. دار صادر .
(٩٥٣) نفاث : النفث هو النفخ في العُقد الذي يفعله الساحر . [اللسان
(١٩٥/٢ ، ١٩٦ - نفث) ط. دار صادر .
(٩٥٤) أضغات : الضغت : الحلم الذي لاتأويل له ولا خير فيه . [اللسان
(١٦٣/٢ - ضغت) ط. دار صادر .

رَها زَراعٌ (٩٥٥) أين شركائى (٩٥٦) وأما شجرة الرياء فاجتشت عند
قفهم (٩٥٧) ، كم متشبه بالخلصين فى خشوع قلبه ولباس جسمه
وأفواه السور . نفر عند مذاق طعمه .

شعر

أما الخيام فإنها كخيامهم وأرى نساء الحى غير نسائها (٩٥٨)
كم حول معروف من دفين ذهب أمه كما بلى رسمه ومعروف معروف .

شعر

فماكل مخضوب البنان بثينة (٩٥٩) ولا كل بيضاء الترائب زينب
لريح المخلصين عطرية القبول وللمرأى سموم النسيم .

« موعظة نفيسة »

قيل لأبى بكر المسكى : إنا نشم منك رائحة المسك مع الدوام فما سببه
فقال : والله لى سنين عديدة لم أستعمل المسك ولكن سبب ذلك أن امرأة احتالت
على حتى أدخلتني دارها وأغلقت دوني الأبواب وراودتني عن نفسى فتحيرت فى
أمرى فضاقت بى الحيل ، فقلت لها : إن لى حاجة إلى الطهارة فأمرت جارية لها
أن تمضى بى إلى بيت الراحة ففعلت فلما دخلت بيت الراحة أخذت العذرة
وألقيتها على جميع جسمى ثم رجعت إليها وأنا على تلك الحالة فلما رأتنى دهشت ثم
أمرت بإخراجى فمضيت واغتسلت ، فلما كانت تلك الليلة رأيت فى المنام قائلاً .
يقول لى : فعلت ما لم يفعله أحد غيرك لأطيبن ريحك فى الدنيا والآخرة فأصبحت
والمسك يفوح منى واستمر ذلك إلى الآن .

(٩٥٥) كذا بالأصل وبالمدحش (زعزع) .

(٩٥٦) سورة النحل - الآية : ٢٧ .

(٩٥٧) سورة الصافات - الآية : ٢٤ .

(٩٥٨) الشطر الثانى من هذا البيت غير موجود بالمدحش .

(٩٥٩) ورد الشطر الأول من هذا البيت فى المدحش هكذا (فما كل دار أقفرت

دائرة الحمى) ونحن نرجع ما ورد فى الأصل .

[الإخلاص والرياء]

[إخلاص] (٩٦٠) المخلصين رفع قدر الوسخ « رب أشعث أغبر » (٩٦١) ،
ونفاق المنافقين صبر ، المسجد مزبلة (٩٦٢) ﴿ لا تقم فيه أبدا ﴾ (٩٦٣) .

أيها المرائي : قلب من ترائيه بيد من تعصيه لاتنقش على الدرهم الزائف
اسم الملك فما يتبهرج الشحم بالورم .

قيل : كان يجلس إلى حاتم الأصم (٩٦٤) بعض أولاد ملوك خراسان ،
وكان أبوه يطلبه فلا يجده فيسأل عنه فيقال له : هو يجلس إلى شيخ صوفي يقال له
حاتم الأصم وقد أفسده عليك فليس يفلح إلى أمر الدنيا ، فبعث الملك إلى حاتم
وكان قد أضمر له شراً فلما حضر بين يديه قال له : يا حاتم ما حرفتك ، فقال
الشيخ : حرفتي خدمة مقلب القلوب ، قال الملك : صدقت قد كنت أضمر لك
شراً بصحبتك ولدى وقد قلب الله قلبي حين رأيتك دعه عندك لعل الله يصلحه
إذا كنت أنا لا أصلح لشيء .

(٩٦٠) ما بين المعكوفتين سقط استدركناه من المدهش (ص ٣٩٩) وهذه الموعظة
تابعة للموعظة السابقة وتبدأ من قوله (إخلاص المخلصين رفع ... إلى قوله (فما يتبهرج
الشحم بالورم) .

(٩٦١) رواه مسلم (٢٠٢٤ ، ٢١٩١) والخطيب في تاريخه (٢٠٣/٣) .
(٩٦٢) يشير هنا إلى مسجد الضرار الذي أمر رسول الله ﷺ بأن يجعل مزبلة
ولا يصل فيه .

(٩٦٣) سورة التوبة - الآية : ١٠٨ .

(٩٦٤) حاتم الأصم : هو حاتم بن عنوان ويقال (حاتم بن يوسف) ويقال (حاتم
بن عنوان بن يوسف) ابو عبد الرحمن المعروف بالأصم : زاهد اشتهر بالورع والتقشف ، له
كلام مدون في الزهد والحكم ، من أهل بلخ زار بغداد واجتمع بأحمد بن حنبل ، وشهد
بعض معارك الفتوح ، ومات في (بوشجراد سنة ٢٣٧ هـ . [الأعلام (١٥٢/٢)] ،
[طبقات الصوفية : (ص ٩١) رقم ١١] للسلمى .

شعر

(٩٦٥)

هذه معالمهم وما لى منذ بان القوم عهد
واها لعيشى فى الحمى لو كان لى يوما يرد
ويلى أحظى كله من حاكم هجر وبعد (٩٦٦)

خلت (٩٦٧) والله الديار ، وباد القوم ، وتبدل آكل الشهوات بأهل
الصوم .

شعر

(٩٦٨)

كفى حزناً بالواله الصب أن يرى منازل من يهوى معطلة قفرا
سلم التقوى قريب المراقى وبدو الخذلان بالأقرا
ربما (٩٦٩) أدرك الوقفة أهل مصر وفاتت سكان نخلة ، لا بد والله من نفوذ
القضا فاجنح للسلم .

-
- (٩٦٥) وردت هذه الأبيات بالمدحش (ص ١٦٢) .
(٩٦٦) كذا بالأصل وبالمدحش (وصد) .
(٩٦٧) هذه العبارة وردت لجزء من موعظة وردت فى المدحش (ص ٣٩٥) ، من
قوله (خلعت والله الدنيا ... إلى قوله (بأهل الصوم) .
(٩٦٨) ورد البيت الأول فقط بالمدحش (ص ٣٩٥) .
(٩٦٩) وردت هذه الموعظة بما ورد فيها من أشعار كجزء من موعظة بالمدحش (ص
٢٩٧ ، ٢٩٨) وردت متفرقة . من قوله (ربما أدرك الوقفة أهل مصر ... إلى قوله : والقلب
بين أصبعين) .

شعر

لا تغضبن على قوم تحبهم فليس ينجيك من أحبابك الغضب
ولا تخصمهم يوماً إذا حكموا إن القضاة إذا ما خوصموا غلبوا
كان إبليس كالبلدة العامرة فوقعت فيها صاعقة الطرد فهلك أهلها ﴿ فتلك
بيوتهم خاوية ﴾ (٩٧٠) .

شعر

من لم يكن للوصال أهلاً فكل إحسانه ذنوب .
لقى إبليس عمر بن الخطاب رضى الله عنه فصارعه فصرعه عمر فقال
بلسان الحال أنا مقتول ، بسيف الخذلان قبل لقائك (٩٧١) يا عمر أنت الذى كنت
فى زمان الخطاب لا تعرف الباب وأنا الذى كنت على سدة السيادة وأتباعى
الملائكة فوصل منشور (لا سبيل) فعزلنى وولاك فكن على حذر من تغير
الحال .

شعر

فإن الحسام الصقيل الذى قتلت به فى يد القاتل .

(٩٧٠) سورة النمل - الآية : ٥٢ .

(٩٧١) هنا سقط ورد بالمدحش (ص ٢٩٨) ورد بين قوسين « فأياك عنى لا يكن

بك مايا » .

[شاطيء النجاة]

يا أخى كم شارف بسفينته شاطيء النجاة فوصفت عليها (٩٧٢) ربح
الخذلان وما بقى للسلامة إلا باع أو ذراع كيف تتقى نبال القدر والقلب بين
أصبعين .

شعر

وإذا رامى المقادير رامنى فدروع المرء أعوان النضال .
(٩٧٣)

إخوانى : خوف السابقة وحذر الخاتمة أقلق قلوب العارفين وزادهم
انزعاجاً ﴿ يحول بين المرء وقلبه ﴾ (٩٧٤) .

قال (٩٧٥) أبو عثمان النيسابورى (٩٧٦) : كنت مع أستاذى أبى حفص
النيسابورى (٩٧٧) بظاهر نيسابور فتكلم الشيخ فطلبنا لكلامه وطاب لقلوبنا ، فبينما

(٩٧٢) (فوصفت عليها) كذا بالأصل ولعل الصواب (فهبت عليها) .

(*) وقد وردت بالمدحش (ضربها خرق) .

(٩٧٣) وردت هذه الموعظة لجزء من موعظة بالمدحش (ص ٣٩٤) ، من قوله
(خوف السابقة ... إلى قوله : يحول بين المرء وقلبه) .

(٩٧٤) سورة الأنفال - الآية : ٢٤ .

(٩٧٥) وردت هذه الحكاية فى طبقات الأولياء لابن الملقن ص ٢٥٠ ، ٢٥١ ،
كما وردت فى صفة الصفة (١٢١/٤) .

من قوله (قال أبو عثمان ... إلى قوله : فهذا الذى أبكاني) .

(٩٧٦) أبو عثمان النيسابورى : هو سعيد بن إسماعيل الحيرى ، ولد بالرى إلا أنه
خرج مع شيخه شاه بن شجاع يزوران أباً حفص النيسابورى فزوجه أبو حفص ابنته وتوطن
نيسابور حتى مات سنة ٢٩٨ هـ بنيسابور وقبره بها ظاهر مع قبر أستاذه أبى حفص الحداد .

[صفة الصفة (١٠٣/٤)] ، [طبقات الأولياء لابن الملقن ص ٢٣٩]

(٩٧٧) أبو حفص النيسابورى : اسمه عمرو بن سلم وقيل عمرو بن سلمة ، وهو من
أهل نيسابور من قرية يقال لها (كورداباذ) وهو أول من أظهر طريقة التصوف بنيسابور ، =

نحن كذلك إذ نحن بوحش قد نزل من الجبل وجاء إلى بين يدي الشيخ فانزعج الشيخ لذلك وبكى بكاء شديداً فلما سكن عن بكائه سأله عن ذلك فقال : لما رأيت اجتماع القلوب وطيبها وقع لي أن لو كان لي شاة فذبحتها لكم وجمعتكم عليها فلما استمر هذا الخاطر إلا وهذا الوحش جاء وفعل ما رأيتم فتخيل لي أني كفرعون لما سأل الله عز وجل أن يجرى له النيل فأجراه له ، فقلت في نفسي ، وما يؤمنني أن يكون الله سبحانه يوفيني حظوظي كلها في الدنيا وأبقى في الآخرة مفلساً فقيراً فهذا الذي أبكاني .

إخواني : أعلموا أن المتيقظين على شواطئ أنهار الحذر نزول فلو سرتهم عن غفلتكم خطوات لاحت لكم الخيم كلما دخلوا سكة من سكك السكون شرع بهم الجزع في شارع شوارع القلق .

شعر

أسأل عيني كيف طعم الكرى مغالطاً وهو سؤال محال
وكيف بالنوم على الهجر لي والنوم من شرط ليالى الوصال

= كان أحد الأئمة والسادة ، انتمى إليه شاه بن شجاع ، وأبو عثمان سعيد بن إسماعيل وتوفي سنة (٢٧٠هـ) .

[صفة الصفوة (١١٨/٤)] ، [طبقات الأولياء لابن الملتن (ص ٢٤٨)] ،
[طبقات الصوفية للسلمي ص ١١٣] .

[أتوثرن الأرض على السماء]

(٩٧٨)

يا معشر العلماء : أتقنعون من الصفات بالأسماء ؟ أتوثرن الأرض على السماء أفي السكر أنتم أم في الإغماء أترضون بالثريا الثرى ؟^(٩٧٩) ، انغمضون العيون من غير كرى ؟ أتنامون فمن يحمد السرى ؟ ، أتحيدون وفي الأنف البرى ؟ أتحلون عقد ﴿ إن الله اشترى ﴾^(٩٨٠)

شعر

يا قومنا هذى الفضائل^(٩٨١) جمة فتخبروا قبل الندامة وانتقوا
إن مسكم ظماً يقول دليلكم^(٩٨٢) لا ذنب لي قد قلت للقوم استقوا

إخواني : ما لقلب العزم غفل ، ولنجم الحزم قد أفل ، مهلاً فشمس
العمر في الطفل ، أما أرخى لك في الطول وأمهلّت بمد الأجل فاخُل بنفسك
يا أخى وعاتبها وخذ على يدها وحاسبها ، لعلها أن تأخذ عدتها قبل أن تستوفى
مدتها فإن مواهب الأعمار مسترجعة بالأنفاس حتى تستوفى ، أما عاينت الأعيان

(٩٧٨) وردت هذه الموعظة متفرقة بالمدحش (ص ٣٩٨ ، ٤٠٢ ، ٤١١) .
من قوله (يا معشر العلماء أتقنعون من الصفات بالأسماء ... إلى قوله) مسترجعة
بالأنفاس حتى تستوفى) .
(٩٧٩) أترضون بالثريا الثرى : الثريا : مجموعة من النجوم وتطلق أيضاً على النجفة ،
والثرى : التراب .

[اللسان (١١١/١٤ ، ١١٢ - ثرى) ط. دار صادر .

والمعنى : أترضون بالحقير وتتركون الثمين .

(٩٨٠) سورة التوبة - الآية : ١١١ .

(٩٨١) كذا بالأصل ووردت بالمدحش (الفوائد) .

(٩٨٢) كذا بالأصل ووردت بالمدحش (نذيركم) والصواب ما ورد بالأصل .

كيف سلكوا ، أما شاهدت الأقران كيف هلكوا ، أما اجتمع الأضداد في الأحاد
واشتركوا ، وخانهم حبل الأمل بعد ما أمسكوا ونوقشوا على ما خلفوا وتركوا ،
وصار غاية الأمانى عندهم أن لو تركوا ، تالله لقد سعد من تدبر وسلم من الأذى
من تصبر وهلك مؤثر الهوى وأدبر وكأنكم بالفراق وقد أعذر من أنذر .

شعر

(٩٨٣)

إن في نأى زمان عظة تشغل العاقل عن نأى رتام^(٩٨٤)
عرس القوم وغربان الدجى إنما صاحت بتقويض الخيام
وحمامات الرجى^(٩٨٥) صادحة نوحها يندر كم صرف الحمام
ومطايا السر^(٩٨٦) قد زمت لكم ودعوا ياقوم وامضوا بسلام
أقسم الساقى بكاسات الردى ليدورن على كل الأنام
قال عبد بن زيد : سئل أبوبكر الشبلى عن قوله صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم أهل
البلاء فاحمدوا الله على العافية » .

قيل : من هم أهل البلاء قال : أهل الغفلة عن الله عز وجل .

« موعظة »

وقال ذو النون المصرى : وُصف لى رجل من العُباد باليمن فسرت إليه
ومعى جماعة من الناس يقصدون زيارته فهم شاب به نحول من غير سقم واصفرار

(٩٨٣) وردت هذه الأبيات بالمدحش (ص ٤٤٩) .

(٩٨٤) (نأى رتام) كذا بالأصل وبالمدحش (نأى زنام) .

ومعنى رتام : الرثمة خيط يشد فى الأصبع لتستذكر به الحاجة والجمع رتام .

[اللسان (٢٢٥/١٢ - رتم) ط. دار صادر]

(٩٨٥) كذا بالأصل وبالمدحش (الضحى) .

(٩٨٦) كذا بالأصل وبالمدحش (الخيف) .

من غير ألم فعلمت أنها آثار العبادة ، فلما وصلنا إلى الرجل وسلمنا عليه ، وقال له ذلك الشاب : يا شيخ ما دواء الذلل ؟ قال : قطع الأمل ومبادرة الأجل بالكد والعمل ، قال : فما علامة الخوف من الله ؟ قال : يؤمنك حتى يستوى عندك الهرة والأسد ، قال : فسقط الفتى مغشياً عليه والرجل قائم ينظر إليه ، فلما أفاق قال : يا شيخ ومتى يخاف العبد من الله ؟ قال : إذا عرفه ، ثم غاب عنا فلم نره .

شعر

(٩٨٧)

يا صاحبي أطبلا في مؤانستي	وناشداني بخلائي وعشاقِي
وحدثاني حديث الخيف إن له	روحاً لقلبي وتسهيلاً لأخلاقِي
دأء تقادم عندي من يعالجه	ونفثه بلغت مني من الراقِي
ما ضرَّ ريح الصبا لو ناسمت حرقِي	واستنقذت مهجتي من أسر أشواقِي
يمضي الزمان وآمالِي مصرمة	ممن أحب علي مظل وإملاقِي
يا ضيعة العمر لا الماضي انتفعت به	ولا حصلت على شيء من الباقي

(٩٨٧) وردت هذه الأبيات بالمدحش (ص ٣٩٦) .

الفصل الخامس والعشرون

[يا نائماً في لهوه]

اسمع^(٩٨٨) يا نائماً في لهوه ، وما نام الحافظ ، لاحظ الهوى^(٩٨٩)
فلاحظْ إلا للملاحظ فلا تغتر ببرد العيش فزمان الحساب قائل ، لو صح فهمك
أغنتك عجائب الدهر عن وعظ كل واعظ ، أما شهد المغرور فعل الموت بصحبه
أما ذكره فعل التلف بحبه أما استبدل ضيق المكان برحبه من لم ينتبه بوكزه
فسيئته بسحبه .

شعر

(٩٩٠)

ما لبنى الدنيا غدوا	أهل ضلال وغمّة
بصيرهم من جهله	كأنه خلف كمّه
أنت مقم سائر	فلا تقل لم أو لمّه
هل يرتجى البقاء من ^(٩٩١)	أوقاته منصرمة
أم هل تدوم لامرئ	شئونه المنتظمة
وعمره يضيق عن	حاجاته المزدحمة

(٩٨٨) وردت هذه الموعظة مع بعض التغيير في ألفاظها وترتيب جملها في المدهش
(ص ٤٥٧) من قوله (يا نائماً في لهوه ... إلى قوله فسيئته بسحبه) .
(٩٨٩) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (نور الهدى) وما ورد بالمدهش هو
الصواب والله أعلم .

(٩٩٠) وردت هذه الأبيات بالمدهش (ص ٤٥٧) .
(٩٩١) ورد الشطر الأول من هذا البيت في المدهش هكذا (فكل معطى مهل) .

« موعظة »

قال أحمد بن عبدالله البكرى^(٩٩٢) : حدثني عبدالله بن الحارث قال : استقبلني رجل في بعض طرق الشام عليه بردة قد عقدها بين كتفيه مستنفر كأنه وحشى ، فقلت له : يرحمك الله من أين جئت ؟ قال : من عنده قلت : وأين تريد ؟ قال : إليه ، قلت : ففيم النجاة ؟ قال : في التقوى والعمل الصالح ، قال : فقلت له : أوصني بوصية ، قال : أخاف أن لاتقبل ، قلت : أرجوا أن أقبل ، قال : فر من هؤلاء - وأشار بيده إلى الخلف - واستوحش من الدنيا ، ثم قال : من عرف الدنيا لم يطمئن إليها ومن عرف الآخرة سارع في طلبها ومن توهمها اشتاق إليها ، ثم قال لي : فهمت قلت : نعم قال : إن القلوب الحية بدون هذا تنتفع .

[من عامل الدنيا خسر]

(٩٩٣)

إخواني من عامل الدنيا خسر ومن حمل في صف طلبها كسر ، وإن خلاص محبتها منها عسر ، وكل عاشقها قد قبر^(٩٩٤) وأسر ﴿ فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ﴾^(٩٩٥) .

(٩٩٢) أحمد بن عبدالله البكرى : أحمد بن عبدالله بن محمد ، أبوالحسن البكرى : قصص قال فيه الذهبي : « واضع القصص التي لم تكن قط » ونعته بالكذاب الدجال وقال شارح مجاى الأدب : توفي في أواسط القرن الثالث للهجرة ، ولم يسم مصدره [الأعلام (١/١٥٥ ، ١٥٦)] .

(٩٩٣) وردت هذه الموعظة متفرقة في المدهش (ص ٣٩٧) ثم (ص ٣٩٤) ، من قوله (إخواني من عامل الدنيا ... إلى قوله تصدق علينا) .
(٩٩٤) (قبر) كذا بالأصل وبالمدهش (قيد) .
(٩٩٥) سورة الأحزاب - الآية : ٢٣ .

شعر

أرى الشهد يرجع مثل الصبر فما لابن آدم لا يعتبر
وخبره صادق في الحديث فإن شك في ذاك فليختبر
ودنياك فالق بطول الهوان فهل هي إلا كجسر عبر
يا طالباً ما لا يدرك تتمنى البقاء وما تترك ، كأنك بالحادى وقد أبرك وهل
غير الحصاد لزرع قد أفرك ؟

شعر

فلا تنصب خيامك في محلي ومنه^(٩٩٦) القاطنون على ارتحال
يا هذا : لو خرج قلبك بالتوبة من حبس الهوى إلى بيداء الإنابة جرت
خيول الدمع كالمرسلات عرفاً ، اسمع يا من يصبر على الهوى صبر يوسف تعين
لك حزن يعقوب فإن لم تطق فذل إخوته يوم ﴿ تصدق علينا ﴾^(٩٩٧) ليس
تسمع خطاب العزيز على العرش يوم العفو ﴿ لا تثريب عليكم اليوم ﴾^(٩٩٨) .

« حكاية بشرى »

حكى عن بعض الصالحين أنه قال : كان إلى جانبي عجوز وكان لها ولد
مسرف على نفسه فلما حضرته الوفاة ، قال : يا أماه ضعى خدى على الأرض
ففعلت فجعل يبكى ويتضرع فلما أشرف على الموت قال : يا أماه بالله عليك
لا تعلمى أحدا بموتى واجعلى قبرى في زاوية بيتى فإني آذيت جيرانى من الأحياء في
الدنيا وما أحب أن أؤذى جيرانى من الأموات في الآخرة ، قال : ففعلت أمه

(٩٩٦) كذا بالأصل وبالمدهش (فإن) .

(٩٩٧) سورة يوسف - الآية : ٨٨ .

(٩٩٨) سورة يوسف - الآية : ٩٢ .

ما أمرها به ودفنته في بيته فلما كان في بعض الليالي رآته في المنام وهو على رياض حسنه وقصور مزينة وبين عينيه مكتوب بالنور هذا عبد اعترف بذنبه فعتق ، قالت أمه : فقلت له : يا ولدى وكيف وصلت إلى هذه المنزلة ؟ فقال لها : يا أماه لما قبضت أوقفني الحق بين يديه وقال لي : يا عبدى هجرك الناس حنقا عليك وأغلقوا أبواب الرحمة بين يديك كأن عفوى ضاق عن سيئاتك أو كأن خزائن ملكى مفتقرة إلى حسناتك فقد رحمت افتقارك وتذلللك وتضرعك اذهب فقد غفرت لك .

شعر

(٩٩٩)

أبدا نفوس الطالبيين إلى طولكم تحمن
وكذا القلوب بذكركم عند المخافة تطمن

« بشري »

قال بعض الصالحين : كان إلى جانبى شاب من المسرفين على نفسه فلما حضرته الوفاة جلس أهله ليكون حوله ، وجعلت أمه توبخه وتلومه على ما كان يصنع وجعل أبوه يقول له : يا بنى هذا المصرع الذى حذرتك ، هذا المضجع الذى أنذرتك إياه ، ثم وضع وجهه على وجهه وجعل يقول :

قد كنت أنذرك الحمام وخطبه فالموت عن ميعاده حتى أتى
واحسرتى لو كان يرجع ما مضى أو كان قولى نافع واحسرتى

قال : فلما سمعه الشاب فتح عينيه وأشار إلى أبيه وإلى أمه أن أقربا منى ، فلما قربا منه قال لهما : إن الله عز وجل رد أمرى إليكما هل كنتما تعذباني فقالا لا والله لو أمكننا فدينك بأنفسنا فقال : إن الله أرحم بى منكما وأبر ولقد وصل

(٩٩٩) ورد هذان البيتان بالمدحش (ص ٥٢٤) .

إلى بره وحنانه ورفقه وإحسانه قبل أن يكون منكما شيء من ذلك ثم مات من
ساعته ، فرئى بعد موته فى المنام فقيل له : ما فعل الله بك ، فقال : أوقفنى بين
يديه وقال لى : يا عبدى من أين علمت أنى رحم بك من أمك وأبيك وأن رأفتى
وصلت إليك قيل رأفتها قال : بك يارب حين كنت فى الأحشاء صورتنى
وحفظتنى ووقيتنى وغذيتنى ولم تزل تلتطف بى إلى أن أخرجتنى فى أحسن تقويم
فمن أبر بى منك قال : صدقت يا عبدى اذهب فقد غفرت لك . واعجبا
للغافلين عن هذا المحسن كيف غفلوا وللمشتغلين عن هذا المنعم بماذا اشتغلوا ،
يا هذا والله لو بعث لحظة من وصلنا بعمر نوح فى ملك قارون لغبت لا بل بما فى
الجنان ما ربحت ومن ذاق عرف .

« حكاية »

قال محمد بن معاذ : أخبرتنى أمى قالت : أخبرتنى امرأة من الصالحات
كانت تختلف إلى وكانت كثيرة العبادة قالت : رأيت فى المنام كأنى أدخلت الجنة
وإذا أهلها قيام على أبوابها فقلت : ما شأنهم فقيل لى : خرجوا ينتظرون قدوم امرأة
من المتعبدات قد زخرفت لها الجنان فقلت : ومن هى قالوا : أمة سوداء يقال لها
شعوانة ، فقلت : هى أختى ورب الكعبة قالت : فبينما أنا كذلك وإذا بها قد
أقبلت على نجيب يطير بها فى الهواء فلما رأيتها ناديتها يا أختاه أما ترى مكانى من
مكانك فلو دعوت الله أن يلحقنى بك فنظرت إلى وهى مبتسمة ثم قالت : لم يأن
قدومك الآن ولكن احفظى اثنتين وعليك بملازمتها قلت : وما هما قالت :
الزمنى قلبك الحزن وقدمى محبة الله على هواك ولا تبالى متى مت .

شعر

لما (١٠٠٠) وردنا التعبلة (١٠٠١) حيث مجتمع الرفاق
 وشملت من أرض الحجاز نسيم أرواح (١٠٠٢) العراق
 أيقنت لى ولن أحب بجمع شمل واتفراق
 وضحكت من طيب الوصال كما بكيت من الفراق
 ما بيننا ألا تصـرم هذه السبع الطباق (١٠٠٣)
 حتى يطول حديثنا بصنوف ما كنا نلاق .

اسمع يا من (١٠٠٤) أعمى الهوى بصره وأصم سمعه يا من أعماله رياء
 وسمعه ، يا من إذا قام إلى الصلاة لم يخلص لله ركعة ، يا نائماً في انتباهه إلى متى
 هذه الهجعة انتبه ترى خيام القوم قد ضربت في وادى الدجى على شواطئ أنهار
 الدموع ، خلوا والله بالحبيب وطال الحديث عين تبكى من المحبوب وأخرى تبكى
 عليه لفظه تشكو منه وأخرى تشكى إليه يرى نائم بمحبته وعطش محروق إلى
 رؤيته .

شعر

إنا (١٠٠٥) ليجمعنا الزمان (١٠٠٦) وكلنا نبكى على شجن من الأشجان

(١٠٠٠) وردت هذه الأبيات في المدهش (ص ٥٢٤) .

(١٠٠١) كذا بالأصل وبالمدهش (القادسية) .

(١٠٠٢) كذا بالأصل وبالمدهش (أنفاس) .

(١٠٠٣) كذا بالأصل وبالمدهش (البواق) .

(١٠٠٤) وردت هذه الموعظة بتغيير في ترتيب جملها في المدهش (ص ٣٩٧) .

من قوله (يا من أعمى الهوى بصره ... إلى قوله : إلى متى هذه الهجعة) .

(١٠٠٥) ورد هذا البيت في المدهش (ص ٤١١) .

(١٠٠٦) كذا بالأصل وبالمدهش (البكاء) .

يا أخى (١٠٠٧) : من لم يكن له مثل تقواهم لم يدر ما الذى أبكاهم ، من
لم يشاهد جمال يوسف لم يدر ما الذى آلم قلب يعقوب .

شعر

من (١٠٠٨) لم بيت والحب حشو فؤاده لم يدر كيف تُفتت الأكباد
قال ابن أبى الحواري: دخلت على أبى سليمان فوجدته يبكى فقلت له :
يا أستاذ ما الذى أبكاك فقال لى : يا أحمد إذا جن الليل على المحبين صفوا أقدامهم
وأجروا دموعهم على خدودهم فإذا كانوا كذلك أشرف الحق عليهم ونادى
يا جبريل بعينى من تلذذ بكلامى واستراح إلى مناجاتى وأنا المطلع عليهم اسمع
حينهم فناد فهم ما هذا الجزع ؟ الذى أراه بكم ، هل أخبركم مخبر أن حبيباً يعذب
حبيه فى النار ؟ فبعزتى حلفت لأجعلن هديتى لهم إذا وردوا على يوم القيامة أن
أكشف لهم عن وجهى الكريم ثم أنظر إليهم وينظرون إلى افتلومنى يا أحمد إن
بكيت عن تخلفى عن هؤلاء القوم .

شعر

أما وغرامى حلفه استلذها لقد كدت من ذكراك بالروح أشرق
وأهدى ما ألقى من الحب أننى على النأى أطفو فى الدموع وأغرق
(١٠٠٩)

وأسفاً لمنقطع دون الركب ، متأخر عن لحاق الصحب ، يعد الساعات فى
متى ولعل ، ويخلو بفكره فى بيت عسى ، ذكر الوصال فى زمن الهجر تلف ،
خصوصاً إذا لم يكن من الحبيب خلف .

(١٠٠٧) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٤١٣) ، من قوله (من لم يكن له مثل
تقواهم ... إلى : آلم قلب يعقوب) .

(١٠٠٨) ورد هذا البيت فى المدحش (ص ٤١٣) .

(١٠٠٩) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٤١٥ ، ٤١٧) فى أماكن متفرقة . من

قوله (وأسفاً لمنقطع ... إلى قوله : مقامات المخالفة) .

قال ابن (١٠١٠) مسروق : كنت أمشي مع الجنيد في بعض دروب بغداد
فسمع منشدا يقول :

منازلاً كنت تهواها وتألّفها أيام كنت على الأيام منصور
قال : فبكى الجنيد بكاءً شديداً وقال : ما أطيب منازل الألفة والأنس
وما أوحش مقامات المخالفة والهجر .

شعر

[المهيار] (١٠١١)

يا ليتني بذات الشيخ والضال (١٠١٢)	ومنبث البان من نعمان عودا لي
يا مرابع أطلال بذي سلم	لهفى على ما مضى من عصرك الخالي
ويا مآرب نفسي والذين هم	بالوصل والهجر أغلال وأبلال
قد كان قلبي بكم مأوى السرور فمذ	نأيتم صار مأوى كل بلبال
فلو شربت بعمرى ساعة سلفت	من عيشي معكم ما كان بالغال
ما لي أعلل نفسي بالوقوف على	منازل أقفرت منكم وأطلال
من لي بكتان ما ألقاه من ألم	وظاهري معرب عن باطن الحال
قالوا تشاغل عنا وأصطفى بدلاً	منا وذلك فعل الخائن السال
وكيف أشغل قلبي عن محبتكم	بغير ذكركم ياكل أشغالي

(١٠١٠) ابن مسروق : أحمد بن محمد بن مسروق ، أبو العباس من أهل طوس
بخراسان سكن بغداد ومات بها سنة ٢٩٨ هـ ودفن في مقابر باب حرب وتقع في ضاحية
بغداد وكان عمره : ٨٤ سنة [صفة الصفوة (٤/١٢٨)] ، [طبقات الصوفية (ص ٢٣٧)]
للسلمى .

(١٠١١) نسب صاحب المدهش هذه الأبيات (للمهيار) [المدهش (ص
٤١٧)] .

(١٠١٢) الشيخ والضال : من وانواع النبات ، فالشيخ : نبات سهل له رائحة طيبة
وطعم مر والضال : نبات السدر البرى . [اللسان (٢/٥٠٢) - شيخ ، (١١/٢٩٧) -
ضيل] ط. دار صادر .

[أرباب الإخلاص]

(١٠١٣)

واشوقاه إلى أرباب الإخلاص ، واتوقاه إلى رؤية تلك الأشخاص قیدتنا
والله قيود الشواغل عن سبيل المكارم وكيف يطمع في لحاق الطير مقصوص
القوادم ، فتعالوا بنا نصيح بالسائرين لعل عطفاً ينعطف علينا بعطف رحمة فقد
ترق الساقة لأهل الفاقة .

شعر

[المهيأ] (١٠١٤)

ردوا لنا يوماً ولو ساعة على الغضى من عيشنا الزائل
لى زلة السائل ما بينكم فلا تفتكم عزة الباذل
(*)

إخواني : مصيبتنا في التفريط واحدة وأهل المصائب (١٠١٥) أهل
واحدة (١٠١٦) ومجالس الذكر مأتم الأحزان (١٠١٧) هذا ييكى لإعراض محبوبه .

(١٠١٣) وردت هذه الموعظة في المدهش (ص ٤١٨) ثم (ص ٤١٢) بتغير في اللفظ
دون المعنى من قوله (واشوقاه إلى أرباب الإخلاص ... إلى قوله لأهل الفاقة) .
(١٠١٤) نسب صاحب المدهش هذين البيتين (للمهيأ) [المدهش ص
٤١٢] .

ديوان شعره (٢١٨/٣) [هامش المدهش (ص ٤١٢) ٠] .

(*) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٤١١ ، ٤١٢) متفرقة .

من قوله (إخواني : مصيبتنا في التفريط واحدة ... إلى قوله : يا مطرب السر
ردد) .

(١٠١٥) كذا بالأصل وبالمدهش (الأحزان) .

(١٠١٦) ليست هذه اللفظة بالمدهش .

(١٠١٧) هنا سقط أثبتته المدهش هكذا (هذا ييكى لذنوبه وهذا يندب لعيوبه وهذا

على فوات مطلوبه) [المدهش (ص ١١٢)] .

شعر

يتشاكى الواجدون جوى واحداً والوجدُ ألوانُ
يا نائح الفكر نضد ، يا نادب الحزن عدد ، يالائم النفس شدد ، يا رامى
القلب سدد ، يا جامع الدمع بدد ، يا مطرب السر ردد ، يا مقلق الوجد هدد .

شعر

[المهيأر] (١٠١٨)

نشدتك يا بانه « الأجرع » متى رخل الحى من لعلع
وهل مر قلبى فى التابعين أم دار ضعفا فلم يتبع
رأيت له بين تلك القلوب إذا اشتبهت أنه الموجع
أدريا ندمى كأس الحديث فكأسى بعدهم مدمعى .

الفصل السادس والعشرون

[عنوان اللحد]

اسمع (١٠١٩) يا مقيماً فى دائرة دار الغير ، كم حضرت فيها عبداً محتضر .
كم عاينت قبراً يحتفر ، لقد ألانت مواعظها كل صلد حجر أما مصير التلف نذير
الخلف ، أما اضطجاع الطفل فى المهد ، عنوان اللحد ، تذكر يا من جنى ركوب
الجنائز ، تصور يا من ما وفى طول المفاوز .

(١٠١٨) نسب صاحب المدهش هذه الأبيات (للمهيأر) [المدهش (ص
٤١٢)] .

ديوان شعره (٢٤٢/٢ - ٢٥٠) [هامش المدهش (ص ٤١٢)] .

(١٠١٩) وردت هذه الموعظة فى المدهش (ص ٤٤٩) ، من قوله (يا مقيماً فى دائرة
دار الغير ... إلى قوله : ألا أنت مواعظها كل صلد حجر) .

شعر

بينما ترى الانسان يرتع لاهيا والعيش أحضر والزمان نظير
وافاه خطب لايقوم لحسرة رضوى ولا يقوى عليه ثبير

« موعظة »

قال أبو الطفيل : جاء (١٠٢٠) رجل إلى داود الطائي (١٠٢١) فقال له : قد
عرفت الرحم التي بيني وبينك فعظني بموعظة أنتفع بها ، فدمعت عيناه ثم قال :
يا أخي إن الليل والنهار مراحل ترتعها مرحلة مرحلة إلى أن تبلغ دار الإقامة فإن
استطعت أن تقدم كل مرحلة زاداً فافعل وإن الأمر أعجل .

قال أبو الحسن النوري (١٠٢٢) : قالت الثملة لسليمان بن داود عندهما
السلام : أتدرى لم سخرت لك الريح من بين الأنبياء قال : لا أعلم ، قالت :
ليعلمك أن ما اتاك من الملك زواله عنك كسرعة الريح فلا تغتر به .

(١٠٢٠) ورد هذا الأثر في صفة الصفوة (١٣٨/٣) عن محمد بن إشكاب ولعله هو
المقصود بأبي الطفيل هنا من قوله (جاء رجل إلى داود الطائي ... إلى قوله : وإن الأمر
أعجل) .

(١٠٢١) داود الطائي : داود بن نصير الطائي ، أبو سليمان من أئمة المتصوفين ، كان
في أيام المهدي العباسي ، أصله من خراسان ، ومولده بالكوفة ، رحل إلى بغداد ، فأخذ عن
أبي حنيفة وغيره وعاد إلى الكوفة فاعتزل الناس ولزم العبادة إلى أن مات فيها سنة
١٦٥ هـ [الأعلام (٢/٢٣٥)] .

(١٠٢٢) أبو الحسن النوري : أحمد بن محمد النوري ، البغدادي المولد والمنشأ ،
خرساني الأصل من قرية بين هراة ومرو الروذ يقال لها بغشور ، صحب السري وابن أبي
الحواري وكان من أقران الجنيد ، كبير الشأن ومات في سنة ٢٩٥ هـ .

[صفة الصفوة (٢/٤٣٩)] ، [طبقات الأولياء لابن الملقن (ص ٦٢)] .

اسمع (١٠٢٣) يا من تحدّثه الآمال فيستمع وتخوفه الآجال فلا يرتدع
وصل الصالحون إلى المنى يا منقطع، صبروا قليلاً فتنعموا طويلاً فكأنه ما جاع قط
من شبع .

قال الكسائي : كنت بمصر وكان الخبز كذا وكذا بدرهم ورأيت الكلاب
يعافون الخبز ومر على أيام لم يفتح على فيها بشيء فلما اشتد بي الجوع قلت : إلهي
تشبع الكلاب وأنا جائع فنوديت في سرى أتريد أن أهب لك مصر وتسلب ما في
قلبك فقلت : لا والله الإقالة الإقالة إسراف الأوصاف أوصاف الإسراف سادات
العادات عادات السادات أحرار الشيم شيم الأحرار ، أقدموا على الفضائل
وتأخرت وكنتموا سر محبوبهم وأظهرت .

كان (١٠٢٤) ابن أبي ليلى (١٠٢٥) : إذا دخل داخل وهو يصلي اضطجع على
فراشه .

وكان (١٠٢٦) إبراهيم النخعي (١٠٢٧) : إذا قرأ في المصحف ودخل عليه
داخل غطاه .

(١٠٢٣) وردت هذه الموعظة بمعناها في المدهش (ص ٤٦٤) ، من قوله (يا من
تحدّثه الآمال ... إلى قوله : ما جاع قط من شبع) .
(١٠٢٤) ورد هذا الأثر في المدهش (ص ٤٠٠) من قوله (كان ابن أبي ليلى ... إلى
قوله : اضطجع على فراشه) .

(١٠٢٥) ابن أبي ليلى : محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى يسار (وقيل داود) ابن بلال
الأنصاري الكوفي : قاض وفقه ، من أصحاب الرأي ولي القضاء والحكم بالكوفة لبنى أمية
ثم لبنى العباس واستمر ٣٣ سنة ، له أخبار مع الإمام أبي حنيفة وغيره ، مات بالكوفة (٧٤
- ١٤٨هـ) [الأعلام (١٨٩/٦)] .

(١٠٢٦) ورد هذا الأثر بالمدهش (ص ٤٠٠) ، من قوله قال إبراهيم ... إلى
(غطاه) .

(١٠٢٧) إبراهيم النخعي : هو إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود أبو عمران
النخعي ، من مدحج : من أكابر التابعين صلاحاً وصدقاً في الرواية وكان حافظاً للحديث من

قيل : كان لسهل بن عبدالله خادماً يقال له إبراهيم فاستأذنه في السفر إلى مكة المشرفة ، فأذن له وأوصاه بأمور وقال له : إذا دخلت بين المقدس فاطلب موضع كذا وكذا فإن فيه شاباً عليه أطمار رثة^(١٠٢٨) نحيل الجسم مصفر اللون أكثر أوقاته رأسه بين ركبتيه ، فسلم عليه عنيّ وأسأله الدعاء ثم ودّعه وسار قال : فلما حج ورجع دخل على سهل ونحن جلوس عنده فقبل يده وجلس فجعل يسأله عما جرى له في سفره فأخبره ثم سأله عن ذلك الشاب الذي بييت المقدس فقال : لقيته وبلغته السلام ثم أمسك عن الكلام هيبة للشيخ فلما قام الشيخ انفردنا به وسألناه فقال : دخلت بيت المقدس وجئت إلى الموضع الذي وصفه الشيخ فوجدت الشاب بصفته ونعته فلما أبصرني قال : ذلك عليّ سهل ، وعزة ربي لأفضحنه كما فضحنى امضى فإن سهلاً خلف تلك الاسطوانة قال : فمضيت فوجدت سهلاً عند الاسطوانة قائماً يصلي فغشيتني منه هيبة حتى أغشى على ثم أفقت فلم أجد الشيخ وأتيت موضع الشاب فلم أجده .

واعجبا كيف يورى الحب غير محبوبه ويدامع وما يخفى مقصوده على السامع .

شعر

أخفى كمدى به ودمعى في الخد على هواه شاهد
فالجنن بلوعتى مقرر للعادل واللسان جاحد .

= أهل الكوفة، مات مختفياً من الحجاج قال فيه الصلاح الصفدى: كان إماماً مجتهداً له مذهب . (٤٦ - ٩٦ هـ) [الأعلام (٨٠/١)] .

(١٠٢٨) أطمار رثة : ثياب بالية قديمة وقيل هو الكساء البالي من غير الصوف [اللسان (٥٠٣/٤ - طمر) ط. دار صادر .

اشتهر إبراهيم بن أدهم ببلد فطلبه الناس فقيل : هو بالبستان الفلاني
فدخل الناس البستان وجعلوا يطوفون ويقولون : أين إبراهيم بن أدهم فجعل
يطوف معهم ويقول : أين إبراهيم بن أدهم .

اسمع يا أخى هذا أدب المحبين ويتبهرجون على الخلق بستر الحال .

شعر

[العباس بن الأحنف] (١٠٣٠)

قد حرر (١٠٣١) الناس أذيال الظنون بنا وفرق الناس فينا قولهم فرقا .
فكاذبٌ قد رمى بالظن غيركم وصادقٌ ليس يدرى أنه صدقا

لما (١٠٣٢) مرض إبراهيم بن أدهم جعل عند رأسه ما يأكله الأصحاء لئلا
يتشبه بالشاكين وهذه والله بهرجة أصح من نقدك .

وقيل : قرئ (١٠٣٣) على أحمد بن حنبل أن طاووساً كان يكره الأنين
فما أن حتى مات .

(١٠٢٩) ورد هذا الأثر بالمدحش (ص ٤٠٠) ، من قوله (اشتهر إبراهيم ... إلى
قوله : فجعل يطوف معهم ويقول أين إبراهيم بن أدهم) .

(١٠٣٠) نسب صاحب المدحش هذين البيتين (للعباس بن الأحنف) [المدحش
(ص ٤٠٠)] .

ديوان شعره (ص ١٩٩ ، ٢٠٠) [هامش المدحش (ص ٤٠٠)] .

(١٠٣١) كذا بالأصل ووردت بالمدحش (سحب) .

(٢٠٣٢) ورد هذا الأثر بالمدحش (ص ٤٠٠) ، من قوله (مرض إبراهيم ... إلى
قوله : أصح من نقدك) .

(١٠٣٣) ورد هذا الأثر بالمدحش (ص ٤٠٠) ، من قوله (قرئ على أحمد ... إلى
قوله : فما أنه حتى مات) .

شعر

[للصدر] (١٠٣٤)

تموت (١٠٣٥) نفوس بأوصابها وتسكن عواديها ما بها
وما أنصفت مهجة تشتكى هواها إلى غير أحبابها .
لما (١٠٣٦) هم الطبع بالتأوه من البلاء كشفت الحقائق سجن (١٠٣٧) المحبوب
فلم يبق لتقطيع الأيدي أثر .

« حكاية »

قال الحسن بن أبي الحسن البصري : دخلت بعض الديرة فإذا أنا بمجنون
مقيد مغلول مشدود إلى سارية فسلمت عليه فرد على السلام وسماني باسمي
فقلت له : ومن أين عرفتنى قال : جالت روحى وروحك فى الأسرار فعرفتك
بمعرفة الجبار ، فقلت له : أراك حبيبا فكيف رضيت لنفسك هذه الحالة فقال :
يا حسن وكيف لا أرضى ما رضى لى به محبوبى .

(١٠٣٤) نسب صاحب المدهش هذين البيتين (الصدر) [المدهش (ص ٤٠١)] .

ديوان شعره : ص ١٣٨ [هامش المدهش (ص ٤٠١)] .

(١٠٣٥) كذا بالأصل وبالمدهش (تفيض) .

(١٠٣٦) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٤٠١) ، من قوله (لما هم الطبع ... إلى
قوله (لتقطيع الأيدي أثر) .

(١٠٣٧) كذا بالأصل وبالمدهش (سجف) .

شعر

(١٠٣٨)

إن كان جيران الغضى رضوا بقتلى فرضى
صرت لهم عبداً وما للعبد أن يعترضاً
والله لا كنت لـمـا يهوى الحبيب مبغضاً
من لمرض لا يـرى إلا الحبيب ممرضاً

ضنى (١٠٣٩) سويد بن شعبة (١٠٤٠) على فراشه فكان يقول : والله
ما أحب أن الله تقصنى منه قلامة ظفر .

قال بعضهم : مررت (١٠٤١) على مجذوم وقد مزقه الجذام فقلت له : لو
تداويت فقال : لو أذن ما توانيت ، قلت : فما تجد لما أتت فيه كرباً قال : ولو
قطعنى أرباً أرباً مازدت له إلا حباً .

(١٠٤٢)

إخوانى : بلغت بالقوم المحبة إلى استحلاء البلاء فوجدوا فى التعذيب
عذوبة لعلمهم أنه مراد الحبيب .

(١٠٣٨) وردت هذه الأبيات فى المدهش (ص ٢٧٧) .

(١٠٣٩) ورد هذا الأثر بالمدهش (ص ٢٧٦) ، من قوله (ضنى سويد ... إلى
قوله : قلامة ظفر) .

(١٠٤٠) سويد بن شعبة اليربوعى : من تميم ، وكان من الذين اختطوا بالكوفة ، أيام
عمر بن خطاب وكان عظيم الخشية لله [صفة الصفوة (٤٢/٣)] .

(١٠٤١) هذا الأثر ورد بمعناه بالمدهش (ص ٢٧٧) ، من قوله (مررت على
مجذوم ... إلى قوله : ما زدت له إلا حباً) .

(١٠٤٣) وردت هذه الموعظة بالمدهش (ص ٢٧٧) ، من قوله (بلغت بالقوم ...
إلى : مراد الحبيب) .

شعر

(١٠٤٢)

أرضي رضاه ولو أفضى إلى تلقى^(١٠٤٤) وكل ما يفعل المحبوب محبوب
[صلب هامان العابد]

قيل : لما أمر^(١٠٤٥) الحجاج بصلب هامان العابد رفع على الخشبة وهو
يسبح ويهلل حتى بلغ سبعا وعشرين فبقى شهر بعد موته ويده على ذلك العقد .

شعر

(١٠٤٦)

لتحشرن عظامي بعدما بليت يوم الحساب وفيها حبكم باقى
اسمع يا مقيداً بقيود التعويق ، أين أنت والطريق اسبيل نصب فيه آدم وناح
لأجله نوح ورمى في النار الخليل واضجع للنحر إسحاق^(*) وبيع يوسف بدراهم
ونشر بالمنشار زكريا وذبح الحصور يحيى وضنى بالبلاء أيوب وزاد على المقدار
بكاء داود وتنغص في العيش ملك سليمان وتحمر تردان موسى وهام مع الوحش
عيسى وعالج الفقر محمد ﷺ .

(١٠٤٣) هذا البيت ورد بالمدحش (ص ٢٧٦) .

(١٠٤٤) ورد الشطر الأول من هذا البيت هكذا (أرضاء اسخط أو أرض تلونه) .

(١٠٤٥) ورد هذا الأثر بالمدحش (ص ٢٧٧) ، من قوله (أمر الحجاج ... إلى
قوله : ذلك العقد) .

(١٠٤٦) ورد هذا البيت بالمدحش (ص ٢٧٧) .

(*) قال ابن القيم في « الهدى النبوى » : اسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند
علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، وأما القول بأنه إسحاق فمردود بأكثر من عشرين وجهاً
أ.هـ . [زاد المسير ٧٤/٧] .

شعر

فيا دارهم بالحزن إن مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال

[هذه الجادة فأين السالك]

هذه الجادة فأين السالك ، هذا قميص يوسف فأين يعقوب ، هذا طور سيناء فأين موسى ، يا جنيد أحضر ، يا شبلى أسمع ليس كل الخيل للسباق ولا كل الطير تحمل الكتب من الناس من يشغله في الدنيا سواد ومنهم من لا يلهيه في الجنة قصر ولا يشغله عن حبيبه نهر .

شعر

تقول أناس فلو تناسا وصالها وواصل أخرى غيرها لسلامها
فلا نظرت عين تلذ بغيرها ولا بقيت نفس تحب سواها
يا هذا^(١٠٤٧) طربجناح الجد من وكر الكسل تابعا آثار الأحباب تصل
يا شبان الجهل يا كهول التفريط يا شيوخ الغفلة هلموا إلى مأتم الأسف على
فوات المطلوب ، يا سحائب الأجفان أمطري على خراب رباع القلوب^(١٠٤٨) .

شعر

يا من تجنب صبرى في تجنبه هب لى مع الدمع ما أبكى عليك به
حتى متى زفرائى فى تصاعدها إلى الممات ودمعى فى تصوبه
ولى فؤادٌ إن طال الغرام به هام اشتياقى إلى رؤيا معذبه

(١٠٤٧) وردت هذه الموعظة متفرقة فى المدهش (ص ٢٩٠ ، ٢٩٣) ولم ترد
الآيات الشعرية التى وردت فيها والموعظة من قوله (طربجناح الجد ... إلى قوله : هلاكان
هذا قبل هذا هلا) .

(١٠٤٨) كذا بالأصل وبالمدهش (الذنوب) .

[سكران الهوى]

إخوانى : سكران الهوى بعيد الإفاقة ، فلو تذكر إقامة الحد زال السكر ،
ويحك اغسل العثرة بعبرة ، وادفع الحوبة^(١٠٤٩) بتوبة ، مادام فى الوقت مهلة وفى
زمن السلامة فسحة ، قبل أن ترى السمع والبصر قد كلاً وتقول ﴿ رب
ارجعون ﴾^(١٠٥٠) فيقال : كلا ، قبل أن يكون دمع الأسى من جفن من أسى
منهلا [ويقال]^(*) هلا كان هذا قبل هذا هلا .

شعر

قف بالديار فهذه أثارهم تبكى الأحبة حسرة وتشوقاً
كم قد وقفتُ بها أسائل مخبراً عن أهلها هل صادقاً أو مشفقاً
فأجابنى داعى الهوى فى رسمها فارقت من تهوى فعزّ الملتقا
(١٠٥١)

اسمع يا من كلما استقام تغير ، يا من كلما سار تعثر ، يا من كلما قام
قعد يا من كلما تقرب أبعد ، دم على ملازمة الحزن واستروح إلى دوام البكاء
وصح بصوت القلق على باب دار الأسف .

(١٠٤٩) الحوبة : الإثم والذنب [الوسيط (٢٠٤/١)] .

(١٠٥٠) سورة المؤمنون : الآية - ٩٩ .

(*) ما بين المعكوفتين سقط استدركناه من المدهش .

(١٠٥١) وردت هذه الموعظة بمعناها بالمدهش (ص ٣٠٣) من قوله (يا من كلما

استقام ... إلى قوله : دار الأسف) .

شعر

(١٠٥٢)

ليس لي فيك حيلة غير صبرى على القضا
وبكائي على الزمان^(١٠٥٣) الذى فات وانقضى
(١٠٥٤)

يا هذا لا تجزع من ذنب جرى ، قرب زلة أورثت تقويما ، تذكر قوله
« لو لم تذبوا »^(١٠٥٥) ما لم يقع سهم فى مقتل فالعلاج سهل .

« حكاية مذب وبُشِّر بالرحمة »

قال مالك بن دينار : رأيت بالبصرة قوماً يحملون جنازة وليس معهم أحد
فسألهم عنه فقالوا : هذا رجل من كبار المذنبين وعظماء المسرفين وقد امتنع
الناس من تشييع جنازته وليس له صديق ولا حبيب فتبعته حتى صليت عليه
وأنزله فى حفرة ثم انصرفت إلى ظل هناك فنمت فرأيت ملكين قد نزلا من
السماء فشقا قبره ونزل أحدهما فقال له الآخر : لا تعجل عليه يا أخى واختبر
عينيه ، قال : فرجع وقال : لقد اختبرتها فوجدتها مملوءتين بالنظر إلى ما لا يحل ،
قال : فاختبر لسانه ، قال : اختبرته فوجدته مملوءا بالخوض فى الباطل ، قال :
فاختبر أذنيه ، قال : قد اختبرتهما فوجدتهما مملوءتين بسماع ما لا يحل ، قال :
فاختبر يديه قال : قد اختبرتهما فوجدتهما مملوءتين بتناول الحرام ، فاختبر رجله
قال : لقد اختبرتهما فوجدتهما مملوءتين بالسعى إلى المحرمات ، فقال له : يا أخى

(١٠٥٢) وردت هذه الأبيات بالمدحش (ص ٣٠٣) .

(١٠٥٣) كذا بالأصل وبالمدحش (الوصال) .

(١٠٥٤) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٣٤٩) من قوله (يا هذا لا تجزع ...

إلى قوله : فالعلاج سهل) .

(١٠٥٥) الحديث رواه أحمد (٣٠٩/٢) .

لا تعجل ودعنى أنزل إليه ، فنزل إليه ، أوقام ساعة ، ورجع ثم قال لصاحبه :
يا أخى اختبرت قلبه فوجدت فيه ذرة من التوحيد اكتبه مرحوما .

شعر

لا تيأسن وإن أسأت فربما صفح الجليل عن الخليل الهائل

« بشري »

روى فى بعض الأخبار أنه يؤتى يوم القيامة برجل فيحاسبه فلا تبقى له
حسنه فيقول الله عز وجل : يا عبدى هل تجد شيئا من الأعمال الصالحة تقيك من
عذابي فيقول : لا يارب لم تترك لى الشهوات ولا أبقت لى اللذات شيئا من
الأعمال الصالحات غير أنى كنت فى الدنيا أعفو عمن ظلمنى ، فيقول الله عز
وجل : صدقت يا عبدى هكذا كنت تفعل وأنا اليوم أحق بالعفو عنك وأحق
بالجود على فقرك وفاقتك^(١٠٥٦) اذهب فقد غفرت لك .

شعر

اطلبوا لأنفسكم مثل ما وجدث أننا
قد وجدث سكتا فى هـواه غنا
إن دنوت قربنى أو بعدث عنه دنا

(١٠٥٦) فاقتك : أى حاجتك . [الوسيط (٧٠٦/٢)] .

الفصل السابع والعشرون

[عقدة العهد]

اسمع يا من (١٠٥٧) عهدنا معه يوم ، « أَلَسْتُ » لا تحلن عقدة العهد
بأنامل الزلل فما يليق بشرف قدرك خيانة .

شعر

بِحُرْمَةِ الْوَدِّ الَّذِي بَيْنَنَا لَا تُفْسِدُوا الْأَوَّلَ بِالْآخِرِ
يا هذا اذكر مطالبتك بالوفاء وأنت في أضيق خناق ، يا منكر يا نكير
انزلا إلى الخارج من بساتين الأرياح فانظرا هل استصحب وردة من اليقين
أو شوكة من الشك ؟ .

شعر

[قيس المجنون] (١٠٥٨)

ألا حبذا نجد وطيب ترابه وأرواجه إن كان نجد على العهد
شجرات أَلَسْتُ تسقى من مياه « هل من سائل » .

(١٠٥٧) وردت هذه الموعظة متفرقة بالمدحش (ص ٢٤٤ ، ٣٤٥) وردت بما فيها
من أشعار . من قوله (يا من عاهدناه من يوم « أَلَسْتُ » ... إلى قوله : تسقى من مياه
« هل من سائل ») .

(١٠٥٨) نسب صاحب المدحش هذا البيت (لقيس المجنون) [المدحش (ص

٣٤٥)] .

شعر

وَتُذْنِبُونَ فَمَا تِيكُمْ فَتَعْتَسِرُوا (١٠٥٩)

قال أبو القاسم القشيري (١٠٦٠) : إن من كرم الله سبحانه وتعالى أن أضاف التوبة على العبد إلى نفسه فالعبد يذنب وهو يتوب عليه وهذا غاية الكرم .

قال الله تعالى : ﴿ والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً ﴾ (١٠٦١) . أمة مذنبة ورب غفور .

« بشـرى »

يروى في بعض الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه دعى لأمة عشية عرفة واستغفر الله لهم فأوحى الله إليه أنى قد غفرت لهم ما بينى وبينهم ولم أغفر لهم ظلمهم بعضهم لبعض فزاد فى الاستغفار وقال : إنك قادر على أن ترضى خصومهم فلم يجبه تلك الليلة فلما كان غداة المزدلفة أوحى الله تعالى إليه بالإجابة ، فتبسم ﷺ وقال : عجبت من عدو الله إبليس لما أجاب الله دعائى صاحب بالويل والثبور (١٠٦٢) ووضع التراب على رأسه .

(١٠٥٩) هذا شطر بيت من الشعر يقول :

إذا مرضنا أتيناكم نزوركم وتذنبون فنأتىكم فتعتدروا .
[المدهش : ٣٤٥]

(١٠٦٠) أبو القاسم القشيري : عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابوري القشيري ، من بنى قشير ابن كعب ، أبو القاسم ، زين الإسلام : شيخ خراسان فى عصره زهداً وعلماً بالدين كانت إقامته بنيسابور وتوفى فيها (٣٧٦ - ٤٦٥ هـ) [الأعلام : ٥٧/٤] .

(١٠٦١) سورة النساء - الآية : ٢٦ ، ٢٧ .

(١٠٦٢) الثبور : الهلاك [الوسيط (٩٣/١)] .

وفي بعض الروايات (١٠٦٣) أن رسول الله ﷺ كان في بعض أسفاره فمر
بامرأة ومعها صبي لها قليل لها : إن رسول الله ﷺ يمر بك فلما مر قالت :
يا رسول الله ﷺ بلغني أنك قلت إن الله أرحم بعباده مني بولدي أفهو كما قيل إلي ؟
قال : نعم ، قالت : فإن الأم لا تلقى ولدها هذا في التنور قال : فبكى رسول الله
ﷺ وقال : إن الله لا يعذب إلا [من] (١٠٦٤) أنف أن يقول لا إله إلا الله .

وقد ورد في بعض الأخبار (١٠٦٥) أنه يؤتى يوم القيامة بشيخ فيوقف بين
يدى الله عز وجل فيقول له : يا شيخ ما أنصفت غذيتك بالنعيم صغيراً فلما
كبرت عصيتني ، أما إني لا أكون لك كما كنت لنفسك اذهب فقد غفرت لك ،
فسبحان من على الكل فضلك ولتوحيده أهلك وبوصف اصطفائه حملك .

وأيضاً ورد في بعض الأخبار : إن الله تعالى خلق لجبريل عليه السلام ستائة
جناح كلها مرصعة بالدر والياقوت وجلجل الذهب محشوة بالمسك ولكل
جلجل منها صوت لا يشبه صوت الآخر وأن إسرائيل عليه السلام إذا أخذ في
التسبيح عطل على الملائكة تسبيحهم بحسن صوته وطيب نغمته وأن نور العرش لو
بدا لصار نور الشمس بالإضافة إليه كنور السراج بالإضافة إلى نور الشمس إلى
غير هذا من أنوار المخلوقات ثم أنه جل جلاله وتقدست أسماؤه لم يقل شيئاً منها
خلقته في أحسن تقويم إلا لهذا الشخص المخلوق من سلالة من طين .

(١٠٦٣) أخرجه ابن ماجه بنحوه (١٤٣٦/٢) رقم (٤٢٩٧) .

(١٠٦٤) سقط أثبتناه ليتسق المعنى .

(١٠٦٥) كون جبريل خلق له ستائة جناح مروي في صحيح سنن الترمذي

(١١٠/٣) ، (٢٦١٣ ، ٣٥٠٨) وقال الألباني صحيح وعلق عليه الترمذي بقوله : هذا

حديث صحيح غريب .

[سلعة العبودية]

(١٠٦٦)

عرضت سلعة العبودية في سوق البيع فبذلت الملائكة نقد ﴿ ونحن نسبح ﴾ (١٠٦٧) فقليل : ما تؤثر سكة دراهمك ، فإن عجب الضارب بسرعة الضرب أوجب طمسا في النقش فقال آدم : ما عندي إلا فلوس إفلاس ، نقشها ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا ﴾ (١٠٦٨) فقليل : هذا الذي ينفق علينا من خزانة الخاص ، أنين المذنبين أحب إلينا من زجل المسبحين ، انظر إلى سبق محبته لهم قبل إيجادهم بقول : ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ (١٠٦٩) ، هل قال هذا الملك مقرب أو مخلوق على جمال الصورة مركب ، كلا إن هذا لأولاد آدم خصوصية ولهم بها على أمثالهم مزية فضلا من الله عز وجل ونعمة وإحسانا بدأهم به ومنة عليهم ورحمة ما يحتاج أن نناظر الملائكة بالأنبياء بل نقول هاتوا مثل عُمر كل الصحابة هاجروا سرا وعُمر هاجر جهراً ، وقال للمشركين قبل خروجه : ها أنا على عزم الهجرة فمن أراد أن يلقاني فليلقني في بطن هذا الوادي .

للعزائم رجال ليسوا من أبنائنا ووطنوا أنفسهم على الموت فحصلت لهم الحياة الحيوان المهر على ثلاثة أقسام فالملائكة خلقت من صفاء لا كدر فيه والشياطين من كدر لا صفاء فيه والبشر مركب من الضدين فالعجب أن تقوى هذه على التقوى ، تقديس الملائكة يدور على السنة لاتشتاق إلى الفضول بالطبع ، سبح بتسبيحهم عقود ما نظمها أكف التكليف ثمرات زروعهم نشأت لا عن تعب سقاها سبح العصمة في زكوان تعبدتهم قدر الواجب ﴿ ويستغفرون لمن في الأرض ﴾ (١٠٧٠) فلما يجرى بحر الأمانه يوم ﴿ إنا عرضنا ﴾ (١٠٧١) وقفت

(١٠٦٦) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٤٢٨) من قوله (عرضت سلعة

العبودية ... إلى قوله : أحب إلينا من زجل المسبحين) .

(١٠٦٧) سورة البقرة - الآية : ٣٠ .

(١٠٦٨) سورة الأعراف - الآية : ٢٣ .

(١٠٦٩) سورة المائدة - الآية : ٥٤ .

(١٠٧٠) سورة الشورى - الآية : ٥ .

(١٠٧١) سورة الأحزاب - الآية : ٧٢ .

الملائكة على الساحل ونهضت عن يمة الآدمى لسلوك سبيل الخطر بلالا ، لإقدام المحبين أقدام .

شعر

يا ساكنى رامة ما صبوني نكر بالطاعنين ولا وجدى بهم عجب
لا تُنكِروا قلّق المشتاق بَعْدَهُمْ فما الهوى عبث منّا ولا تعب
هو الغرام فأولى صبرنا جزع إذا توالا وأدنى فعله عجب

كم فى السموات من ملك يسبح ، مرتبة ﴿ تتجافى ﴾ (١٠٧٢) ولا يعرف
طعم طعام « هل من سائل » ، ولا حظى بمقام و« لخوف » ، فسبحان من
اختارك على الكل وجادل عنك قبل وجودك بقول ﴿ إني أعلم ﴾ (١٠٧٣)
يا جوهرة مضيئة يالقطعة تداس كل الأشياء مخضّة وأنت الزبد مكنون اختبارنا لك
واضح الخط غير أن استخراج عقلك ضعيف متى رمت طلبى فاطلبنى عندك .

يروى أن موسى عليه السلام قال فى مناجاته : يارب إذا سألك العارف
وقال يارب ماذا تقول له ؟ ، قال : لبيك ، قال : فإذا سألك العابد ماذا تقول
له ؟ قال : لبيك . قال : فإذا سألك العاصى ماذا تقول له ؟ قال : لبيك مرتين
قال موسى : يارب كيف ذلك ؟ قال : لأن كلاً من هؤلاء مدل (١٠٧٤) بعمله
والعاصى لم يقبل علىّ إلا بعد افتقاره إلىّ فهو ينادى بذلّ وافتقارٍ وخضوع
وانكسارٍ وأنا عند المنكرة قلوبهم .

(١٠٧٢) سورة السجدة - الآية : ١٦ .

(١٠٧٣) سورة البقرة - الآية : ٣٠ .

(١٠٧٤) مدل : أى منان بعمله . [الوسيط (١/٢٩٤)] .

يا معاشر المذنبين لا تبرحوا من باب الذل فأقرب الخطائين إلى العفو
المعترف بالذلل ، ما انتفع آدم في بلية (وعصى) بكمال (وعلم) ولا رد عنه
عز (اسجدوا) وإنما خلصه ذل (ظلمنا) .

قال السري رضى الله عنه : بت ببعض قرى الشام فسمعت طائرا على
شجرة يقول : أخطأت لا أعود ، فقلت لأهل القرية ما اسم هذا الطائر ؟ قالوا :
فاقد إلفه .

شعر

[المهيأ] (١٠٧٦)

تَأَوَّهْتَ تَأَوَّهَ الْأَسِيرِ ورقاء فوق (١٠٧٧) ورق نضير
تَنْطِقُ عَنْ قَلْبِهَا مَكْسُورٌ كأنها تخبر عن ضمير .
ما احسن خضوع التواب ، ما ألد وقوفهم على الباب فاعتبروا يا أولى
الألباب .

شعر

يَا سَائِلِي عَنْ حُكْمِ سُلْطَانِ الْهَوَى هلا نظرت لعزّه وهوانى
أَوْ مَا تَرَانِي كَيْفَ ذُبْتُ صَبَابَةً خوف النوى وحبيب قلبى دانى
يَا وَيْحَ صَبٍ فِي هَوَاكَ مَتِيْمٌ لَمْ يَشْتَغِلْ مَنْ هَامَ فِيكَ بَثَانِي

(١٠٧٥) وردت هذه الموعظة باختصار بعض جملها ، بالمدحش (ص ٤٠٦) من قوله
(يا معاشر المذنبين ... إلى قوله : قالوا : فاقد إلفه) .

(١٠٧٦) نسب صاحب المدحش هذين البيتين (للمهيأ) [المدحش (ص

٤٠٧)] .

ديوان شعره (٣٤٥/١) [هامش المدحش (ص ٤٠٧)] .

(١٠٧٧) كذا بالأصل وبالمدحش (ذات) .

أفنيته عمن سواك تعززا فبقيت مُرْتَهِنًا بِحُبِّكَ عاني
فا منن علي بنظرة أحيا بها فالصبر بَعْدَكَ خَافَنِي وجفاني

[مقام المراقبة]

(١٠٧٨)

نزل آدم عن مقام المراقبة درجة فكان يبكي بقية عمره على ديار الوفي برد
العيش بالهوى لحظة أثمر حرارة القلق ألف سنة ، وأنت تلهو [برند] (١٠٧٩)
الصبا وبانه ، ويروك بروق الهوى بلمعانه ، وتغتر بعيش في عنفوانه ، وتمد يد
الغفلة لجنى أغصانه ، وتنسى أنك في حريم حظره وامتحانه ، أما (١٠٨٠) أنذك
بياض الشمط (١٠٨١) ؟ ، أما ييكيك قبح ما متك قرط ؟ إلى متى تجرى في الهوى
على نمط ؟ إلى متى تضيع وقتا ما مثله يلتقط ؟ ، يا من يهفو أو ينسى والملك قد
ضبط ؟ يا منفقا نعم المولى على العصيان هذا هو الشطط .

قيل : وقف جماعة على راهب فقالوا له : إنا سائلوك عن مسائل أجبينا
أنت ؟ قال : سلوا ولا تكثروا فإن النهار لن يرجع والقمر لن يعود والطالب
حنيث في طلبه ذو اجتهاد ، قالوا : أوصنا يا راهب قال : تزودوا على قدر سفركم
فإن خير الزاد ما بلغ المحل .

(١٠٧٨) وردت هذه الموعظة بتغيير في ترتيب جملها بالمدحش (ص ٣٦٠ ،

٣٦١) .

(١٠٧٩) ما بين المعكوفتين سقط استدركناه من المدحش .

(١٠٨٠) وردت هذه الموعظة باختصار لبعض الألفاظ بالمدحش (ص ٣٥٠) ، من

قوله (أما أنذك بياض الشمط ... إلى قوله : هذا هو الشطط) .

(١٠٨١) الشمط : اختلاط بياض الشعر بسواده . [اللسان (٣٣٦/٧) -

شمط] ط. دار صادر .

شعر

(١٠٨٢)

حَيَاتُكَ أَنْفَاسٌ تُعَدُّ فَكَلِمَا مَضَى نَفْسٌ مِنْهَا أَنْقَصَتْ بِهِ جِزْءَا
فَتَصْبَحُ فِي نَقْصٍ وَتَأْتِي (١٠٨٣) بِمِثْلِهِ أَمَا لَكَ مَعْقُولٌ تَحْسُ بِهِ رِزْءَا
يُمِيتُكَ مَا يُحْيِيكَ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَيَحْدُوكَ حَادٍ مَا يَرِيدُ بِكَ الْهَزْءَا

يروى عن بعضهم أنه قال : دخلت على فقير فلم أجد في بيته شيئا من
المتاع فقلت له : أما عندك شيء من المتاع ؟ قال : بلى ولكن لنا داران ، دار
خوف ودار أمان ، فنقلنا ما كان في دار الخوف إلى دار الأمان ليكون محفوظا إلى
وقت الحاجة ، يعنى بذلك إنفاقه في سبيل الله .

(١٠٨٤)

أَيْنَ وَصَفِكَ مِنْ أَوْصَافِ الْقَوْمِ ، أَيْنَ الْيَقْظَةُ مِنَ النَّوْمِ ، صَعِدَ الْقَوْمُ
وَنَزَلَتْ ، وَجَدُّوا فِي الْجَدِّ وَهَزَلَتْ ، كَانُوا فِي طَلَبِ الْعِلَالِ يَجْتَهِدُونَ وَلَا يَرْضُونَ مِنَ
الدُّنْيَا بِدُونَ لَا جَرَمَ ، إِنَّهُمْ كَانُوا يِعَانُونَ فِيمَا يِعَانُونَ لَمْ يَزَلِ الْقَوْمُ مَعَ الْحَقِّ
حَاضِرُونَ وَعَنِ الْخَلْقِ غَائِبُونَ فَقُولُوا لِعَاذِلِهِمْ : لِمَنْ يِعْذِلُونَ .

قِيلَ بَقِيَ بَشَرٌ خَمْسِينَ سَنَةً يَشْتَهِي شَهْوَةً وَمَا صَفَا لَهُ ثَمْنُهَا وَقَدْ أَنْفَقْتُمْ
بِضَائِعَ أَعْمَالِكُمْ كُلِّهَا فِي الشَّهَوَاتِ مِنَ الشَّبَهَاتِ ، أَبْشَرُوا بِطُولِ الْمَرَضِ
يَا مُخْلِصِينَ .

قال بنان الجمال : أقمت مطروحا على باب بنى شيبة سبعة أيام لم أذق
شيئا فنوديت في سرى ، من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أعمى الله عين قلبه .

(١٠٨٢) وردت هذه الأبيات بالمدحش (ص ٤٥٣) .

(١٠٨٣) كذا بالأصل وبالمدحش (وتمسى) وما ورد بالمدحش هو الصواب .

(١٩٨٤) وردت هذه الموعظة متفرقة بالمدحش (ص ٤٦٦ ، ٤٦٧) ، من قوله (أين

وصفك من أوصاف القوم إلى قوله : أبشروا بطول المرض يا مخلصين) .

يا هذا أكبر الإنعام كف فضول الدنيا عنك ، إذا رأيت سربال الدنيا قد تقلص عنك ، فاعلم أنه لطف بك ، لأن المنعم لم يقلصه بخلا أن يتمزق ولكن رفقا بالماشي أن يتعثر .

[يا تائهاً في فلاة الغفلات]

اسمع يا تائهاً في فلاة الغفلات اعل باقدام الهمة^(١٠٨٦) تنشر^(١٠٨٧) الفكر تلح لك البلد يا هذا كم أسرعت فيما يؤذى دينك وتدانيت^(١٠٨٨) ، كم كسرت إناء قلبك وما شبت ؟ كم فاتك من خير وما اكتأبت ؟ ، يا كاسب الخطايا بش ما كسبت تؤثر ما يفنى على ما يبقى ، ما أصبت ، تصيح تائباً فإذا أمسيت كذبت ، تمشي مع اليقين فإذا قاربت انقلبت ، تعمر ما لا يبقى وما يبقى خربت .

شعر

دار تسافر عنها في غد سفرًا فلا تؤوبُ إذا سافرت من سفرِكَ
تضحى غدا أسمر للذاكرين كما كان الذين مضوا بالأسر من سمرِكَ
يحكى عن بشر الحافي رضى الله عنه أنه قال : رأيت على بن أبى طالب كرم الله وجهه في المنام فقلت له : عظمى يا أمير المؤمنين ، فقال لى : ما أحسن عطف الأغنياء على الفقراء طلبا للثواب ، وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء ثقة بالله ، فقلت : زدنى يا أمير المؤمنين فقال :

قَدْ كُنْتَ مَيْتاً فَصُرْتَ حَيًّا وَعَنْ قَرِيبٍ تَصِيرُ مَيْتاً
عَزَّ بَدَارُ الْفَنَاءِ فَنِيَتْ فابن بَدَارِ الْبَقَاءِ يَتِيَتْ

(١٠٨٥) وردت هذه الموعظة متفرقة بالمدحش (ص ٤٥٣ ، ٤٥٤) ، من قوله (أكبر الإنعام كف فضول الدنيا عنك إلى قوله : وما يبقى خربت) .
(١٠٨٦) كذا بالأصل ووردت بالمدحش (الذهن) والصواب ما ورد بالأصل .
(١٠٨٧) كذا بالأصل ووردت بالمدحش (نشر) والصواب ما ورد بالأصل .
(١٠٨٨) كذا بالأصل وبالمدحش (ودأبت) وكلاهما صواب .

الفصل الثامن والعشرون

[الندم]

يا ابن آدم اشبهت أباك في المخالفة فتشبه به في الندم ، فالويل لمن أحكم عقدة الإصرار أيها العاصي تفكر في حالة أيك وتذكر بما جرى له ويكفيك ، أبعد بعد القرب من ربه ، وأخرج من الجنة يوم ذنبه وأسره العدو تجدد بعثه في حرية وها هو يسعى في هلاكك فاعتبر به .

يروي (١٠٨٩) أن آدم عليه السلام قال في مناجاته : إلهي لم عاتبته وقد علمت أنني إنما أكلت من الشجرة طمعا في الخلود للبقاء معك ، فأوحى الله تعالى إليه لأنك رأيت الخلود من الشجرة ، فأشركت في سرّك ولم تشعر ومع ذلك فقد أقلت عثرتك ، ورحمت عبّرتك ، وقبلت توبتك وهذا هو الكرم أن يتوب على من أذنب ويعتذر عن أخطأ .

شعر

(١٠٩٠)

إذا مرضنا أتيناكم نزوركهم وتذنبون فنأتاكم فتعتذروا
قيل : إن أول ما خلق الله تعالى القلم كتب عذر آدم قبل خلقه وإنما جعل (١٠٩١) آدم آخر الخلق لأنه مهد الدار قبل الساكن وأقام عذره قبل الزلل بقوله ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ (١٠٩٢) ، والمحب يعتذر عن الحبيب ألم

(١٠٨٩) انظر الدر المنثور (١/١٤٢ - ١٤٨) .

(١٠٩٠) ورد هذا البيت بالمدحش (ص ٣٤٥) .

(١٠٩١) وردت هذه القصة مع بعض التغير بالمدحش (ص ٧٦ ، ٧٧) ، من قوله

(جعل آدم آخر الخلق إلى قوله : ولولا سابقة القدر ما قُدر عليه) .

(١٠٩٢) سورة البقرة - الآية : ٣٠ .

تسمع إلى قوله ﴿فَنسَى﴾ (١٠٩٣) ونبه الملائكة على تعظيمه بقوله ﴿فَإِذَا سُوِيَتْهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (١٠٩٤) فظنت الملائكة أن تفضيله بنفسه فظنت بالفضل عليه ونطقت ألسنة تسبيحهم بحجة تقديسهم فقالوا : ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ (١٠٩٥) فأخرس ألسنة الاعتراض برد ﴿إِلَى أَعْلَم﴾ (١٠٩٦) وأعجبا لهم قطعوا على الغير بلفظ ﴿مَنْ يَفْسُدُ﴾ (١٠٩٧) وأمنوا الغير على النفوس في دعوى ﴿وَنَحْنُ نَسْبِحُ﴾ (١٠٩٨) فلما صورته ألقاه على باب الجنة أربعين سنة ومن شأن الحب الوقوف على باب الحبيب .

شعر

(١٠٩٩)

طَرَقْتُكَ عِزَّةً وَالرَّكَائِبُ حُشْرُ وَالصَّبْحُ فِي لَيْلِ الدَّجَى يَتَغَيَّرُ
طَرَقَتْ لِقَاءَ عَنِ التَّهَاجِرِ مِيتَا لَكِنَّهُ عِنْدَ التَّزَاوِرِ يُنْشَرُ .

رمى به في طريق ذل لم يك شيئا لئلا يعجب بنفسه يوم
﴿اسْجُدُوا﴾ (١١٠٠) وإن كان إبليس يمر مع الملائكة على آدم وهو لا يدرى أن
هلاكه على يده فلما تم كمال آدم نودى في نادى الملائكة ﴿اسْجُدُوا﴾ (١١٠١) ،
فَنظَرُوا مِنْ وَسْعٍ دَعَايَ ﴿وَنَحْنُ نَسْبِحُ﴾ (١١٠٢) بماء العذر من غدير ﴿لَا عِلْمَ

(١٠٩٣) سورة طه - الآية : ١١٥ .

(١٠٩٣) سورة الحجر - الآية : ٢٩ .

(١٠٩٥) سورة البقرة - الآية : ٣٠ .

(١٠٩٦) سورة البقرة - الآية : ٣٠ .

(١٠٩٧) سورة البقرة - الآية : ٣٠ .

(١٠٩٨) سورة البقرة - الآية : ٣٠ .

(١٠٩٩) هذان البيتان لم يردا في هذه القصة بالمدحش .

(١١٠٠) سورة البقرة : الآية : ٣٤ .

(١١٠١) سورة البقرة - الآية : ٣٤ .

(١١٠٢) سورة البقرة - الآية : ٣٠ .

لنا ﴿١١٠٣﴾ وسجدوا على طهارة التسليم وقام إبليس خائبا لجناية الاعتراض فلما تم حاله حال العدو حول حماه ولولا سابقة القدر ما قدر عليه . قيل يا آدم ضحككت في الجنة فانزل إلى دار التكليف وابك لنا .

شعر

سَلْ كَيْفَ عَادَ لَهُ الْجَنُونَ كَمَا بَدَا	يُخْبِرُكَ هَلْ عَزَلَ الْغَرَامُ كَمَا اعْتَدَا
إِنْ كَانَ قَرِيبَ الْجَمَالِ وَأَزْمَعُوا	بَيْتًا فَمَا أَدْنَى اللَّقَاءِ وَأَبْعَدَا
هِيَ فَرْقَةٌ أَهْدَتْ إِلَى مِنَ الْأَسَى	حُرْقًا تَزِيدُ عَلَى الْعِبَادِ تَوَقُّدَا
لَوْ قَابَلْتَ حَجَرًا لَذَابَ وَمَنْ لَهُ	صَبْرٌ عَلَى نَارٍ تَعْذِيبِ الْجُلْمُدَا
لَا تَعْذِلُوهُ فَلَوْ أَطَاقَ تَجَلَّدَا	يَوْمَ النَّوَى حَذَرَ الْعَدَا لَتَجَلَّدَا
وَرَدَ الْهَوَى قَوْمٌ وَمَا ذَاقُوا الْقَلَى	يَوْمًا وَلَوْ ذَاقُوهُ عَافُوا الْمَوْرِدَا
يَا مَنْ رَأَى الْبَلَوَى وَأَثْبَتَ فَعَلَهَا	نَظَرًا كَمَنْ سَمِعَ الْبَلِيَّةَ مَوْعِدَا

يا هذا : ما صيد طائر إلا بترك التسبيح ما وقعت آفة ما جد
إلا بسبب منه ﴿١١٠٤﴾ إِنْ اللَّهُ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يَغْيُرُوا
مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴿١١٠٤﴾ آه كم غرس الآكل من شجرة من شجرات ، كم أظهرت
تلك المحبة للحبة من جنات ، بكى آدم حتى سال من دموعه الوادى ، ومنها نبت
جميع أشجاره يا آدم ما ضر من كسره غمى إذا أجبرته أنا ، أنا عند المنكسرة
قلوبهم من أجلى .

(١١٠٣) سورة البقرة - الآية : ٣٢ .

(١١٠٤) سورة الرعد - الآية : ١١ .

شعر

إِنْ جَرَى (١١٠٥) بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ عَتَبٌ أوتنأثت مَنَا وَمِنْكَ الدِيَارُ
فَالودادُ الذی عهدتم مقيمٌ (١١٠٦) والدموعُ الذی غرقت غزار

قيل : إن العبد إذا التجأ إلى ربه بقلبه دون أن يستعبد بتدبيره وليه
أو يستعين بأقرانه وصحبه تعجلت له الكفاية في عاجله وتحققت له الولاية من الله
في أجله ، فسبحان من وفق للتوبة أقواما ، وثبت لهم صراطها اقداما ، فكفوا
الأكف عن المحارم احتراما ، فكفر عنهم ذنوبا عظاما ، ونشر لهم بالثناء على
ما عملوا أعلاما ، فهم في رياض المدائح بترك القبائح يتقلبون .

[التائبون]

التائبون العابدون الحامدون كشف لهم عن الدنيا فرأوا عيوبها وألاح لهم
الأخرى فتلمحوا غيوبها ، وبادروا شمس الحياة يخافون غروبها واشتغلوا بالطاعة
فحصلوا مرغوبها ، وحشهم الإيمان على الخوف فما يأمنون .

التائبون العابدون الحامدون ندموا على الذنوب فندبوا ، وسافروا إلى
المطلوب فاقتربوا وسقوا غرس الحزن دمع الأسف وشربوا فإذا أقلقهم الحذر
طاشوا وهربوا ، وإذا هب عليهم نسيم الرجاء عاشوا وطربوا ، فاغتنم أرياحهم
واعلم أن نبل النصيب بالنصيب يكون .

(١١٠٥) نسب صاحب المدهش هذين البيتين (للبحترى) [المدهش (ص

٧٧)] .

(١١٠٦) ورد الشطر الأول من هذا البيت في المدهش هكذا (فالغليل الذی عهدت

قديم) .

التائبون العابدون الحامدون نظروا إلى الدنيا بعين الاعتبار فعلموا أنها لا تصلح للفرار وتأملوا أساسها فإذا به على شفى جرف هار فرفضوا بالصيام لذة الطعام بالنهار وزهدوا المنام بالقيام ﴿وهم يستغفرون﴾ (١١٠٨) .

التائبون العابدون الحامدون هجروا والله المنازل الأنيقة وقصموا عرى الهوى الوثيقة ، وباعوا الفانى بالباقى ، وكتبوا وثيقة ، وحملوا نجائب الصبر فوق ما هى له مطيقة ، وطلبوا والله الأخرى على الحقيقة ، كيف لا و﴿هم من خشية ربهم مشفقون﴾ (١١٠٩) .

التائبون العابدون الحامدون أبدانهم قلقى من الجوع والضرر ، واجفانهم قد حالفت فى الليل السهر ، ودموعهم تجرى دائمة كالطر فالقوم تأهبوا إلا أنهم على سفر ، عبروا (١١١٠) لديكم وما عندكم منهم خبر وترنمت حداتهم لو أنكم تسمعون .

التائبون العابدون الحامدون اللهم سر بنا فى سرب هذه العصابة (١١١١) ووفقنا للتوبة والإنابة يا من يقول للشئ كن فيكون .

شعر

سَلْ غَيْرَ جَفْنِي إِنْ سَأَلْتَ عَنِ الْكَرَى وَارْدُدْ قَوَادِي عِلَّهْ أَنْ يَصْبِرَا
وَأَعِدْ حَدِيثَهُمْ عَلَيَّ فَإِنْنِي أَجِدُ ارْتِيَا حِي فِيهِ مَهْمَا كَرَا

(١١٠٧) وردت هذه الموعظة مع تغيير فى بعض أجزائها وفى بعض ألفاظها فى كتاب التبصرة (٣٩/١) .

من قوله (التائبون العابدون الحامدون نظروا إلى الدنيا ... إلى قوله : يا من يقول للشئ كن فيكون) .

(١١٠٨) سورة الذاريات - الآية : ١٨ .

(١١٠٩) سورة المؤمنون - الآية : ٥٧ .

(١١١٠) هنا سقط أثبتته من التبصرة [عليكم ومروا] .

(١١١١) كذا بالأصل ووردت بالتبصرة [النجابة] .

لله ما يلقاهُ فيكَ مَتيماً أبَدتْ شواهدُ وجَدِهِ ما أضمرَا
لا غرق وإنْ لَامَ العذولُ فَإِنَّهُ ما إنْ يرى عند الأبراق ما أرى
شَتانَ ما بينَ الخَلَى وبينَ مَنْ يَمُسى وَيُصْبِحُ هائِماً متفكراً
يَسْتَعذِبُ التعذيبَ في أَحبابِهِ يرى السلوَ عن الأحبة منكرأ
[يا مضيع الزمان فيما ينقص الإيمان]

(١١١٢)

اسمع يا مضيع الزمان فيما ينقص الإيمان ، يا معرضاً عن الأرباح متعرضاً
للخسران ، متى تنتبه من رقادك أيها الوسنان ، إلى متى ترفض قول الناصح وقد
أتاك بأمر واضح ، إلى كم ترضى بالشين والقبائح ، لقد أبانت الدنيا عيوبها
وكشفت غيوبها ، وما مرت حتى أمرت مشروبها .

(١١١٣)

قال صالح المروزي^(١١١٤) : كان ابن عطاء السلمي^(١١١٥) اجتهد حتى
انقطع فصنعت له شربة من سويق وأتيته بها فلم يشربها فلمته على ذلك فقال :

(١١١٢) وردت هذه الموعظة بالتبصرة (٣٠/١) من قوله (اسمع يا مضيع
الزمان ... إلى قوله : وما مرت حتى أمرت مشروبها) .

(١١١٣) ورد هذا الأثر بالمدحش (ص ٤٤٦) من قوله (قال صالح ... إلى قوله :
وأنت في وإد) - كما ورد هذا الأثر بمعناه في صفة الصفوة (٣/٣٢٥ ، ٣٢٦) .

(١١١٤) صالح المروزي : ذكر في المدحش صالح المري : وهو صالح بن بشر أبو
بشر المري ، وكان مملوكاً لامرأة من بني مرة فأعتقه وكان مشهوراً بحكاية قصص الزهد
والترهيب ، وكان كثير الخوف شديد الرجاء . توفي سنة ١٧٦ هـ . [صفة الصفوة
(٣/٣٥٠)] .

(١١١٥) ابن عطاء السلمي : صحته عطاء السلمي كما ورد بالمدحش (ص ٤٤٦) ،
صفة الصفوة ص (٣/٣٢٥) وعطاء السلمي : كان مشهوراً بالزهد والورع ولم ير إلا باكياً
وكان كلما رأى النار خر مغشياً عليه ، وأدرك أنس بن مالك والحسن ومالك بن دينار ...
وشغلته العبادة عن الرواية .

[صفة الصفوة (٣/٣٢٥)]

والله انى كلما هممت بشربها ذكرت قوله تعالى ﴿ وطعاما ذا غصة وعذابا أليما ﴾ (١١١٦) فقلت له : أنا فى وادٍ وأنت فى وادٍ .

شعر

(١١١٧) .

أطلت وعذبْتُنى يا عدُول بليت فدعنى ، حديثى يطول
أبيت أراقب نجم الدجى إلى الصبح وحدى ودمعى يسيل
سيما المحبة لا تخفى وصحائف الوجود يقرأها من لم يكتب .

يحكى عن ذى النون المصرى رضى الله عنه أنه قال : رأيت رجلا شهد له
قلبي بالولاية إلا أن نفسى نفرت من ظاهره فبقيت مترددا بين قلبي ونفسى فنظر
إلى وقال : يا ذا النون الرد داخل الصرف .

شعر

ألف الظبى فسقامه موجودٌ وجفَى الكرا فمناؤه مفقودُ
حيرانٌ من بعد الفراقِ موله سكرانٌ من خمر الهوى عريدُ
يحكى عن بعضهم أنه قال : رأيت بعض المولحين فقلت له : ما اسمك ؟
فقال : هو ، فقلت له : من عند من جئت ؟ فقال : هو فقلت : من تعنى ؟
فقال : هو ، فما سألته عن شيء إلا قال : هو ، فقلت له : لعلك تريد الله فصاح
صبيحة خرجت فيها روحه .

(١١١٦) سورة المزمل - الآية : ١٣ .

(١١١٧) ورد هذان البيتان بالمدحش (ص ٤٤٦) .

شعر

أسكان ربع العامرية ما جرى . يقل لكم من دمع عيني وما يجرى
يُساعدي إلا عليكم تَجَلَّدِي . وأملك إلا عند ذكراكم أمرى
وأسأل عنكم ولأجلكم سُؤالي وهل إلا لكم آجال في فكري
وأهو[ى] (١١١٨) استماع اللوم فيكم لأننى أرى كل ناهٍ عنكم بكم يُغرى

يروى في بعض الأخبار عن الحسن البصرى يرويه عن رسول الله ﷺ أن
الله عز وجل يقول : إذا علمت أن الغالب على قلب عبدى الاشتغال بى جعلت
شهوته فى مسألتى ومناجاتى فإذا كان كذلك كنت أنا المتمثل بين عينيه فإن أراد
أن يسهو عنى حلت بينه وبين السهو أولئك أوليائى حقا أولئك الذين إذا أردت
بأهل الأرض عقوبة زويتها عنهم من أجلهم أحببتهم وأحبونى أحببتهم إذا دعونى
وأعطيتهم إذا سألونى أولئك أوليائى حقا .

يحكى أن رجلا جاء إلى أبى يزيد البسطامى فقال له : أيها الشيخ إن الناس
قد احتاجوا إلى المطر فادعوا الله تعالى أن يرزقهم ذلك ، فقال أبويزيد يا غلام
أصلح الميزاب فلم يفرغ الغلام من إصلاح الميزاب حتى جاء المطر ولم يتكلم الشيخ
بشيء .

وذكر عن وهب بن منبه (١١١٩) الإمامي : أن الله عز وجل يقول : أمة
محمد اخترتهم من الأمم ثم اخترت من اختياري الذاكرين فى ليالهم ونهارهم الدائبين
شحومهم المنحليين أجسامهم المشفقين من هيبتى وجلالى فحق على أن أذكر من
ذكرنى وأجيبه إذا دعانى ولا أحجب عنهم وجهى إذا رفع بصرهم إلىّ وأنا أباهى
بهم سكان عرشى وحملة كرسى وأنا كنت الذاكر لهم إذا لم تكن سماء ولا أرض
فقلت مع نفسى إن لى أولياء وأصفياء لايسأمون من ذكرى ولا يسمع لهم حنين
دونى ولا لهم إرادة سواى .

(١١١٨) بالأصل (أهو) وأثبتنا الياء ليتسق المعنى .

(١١١٩) سبق الترجمة له .

شعر

قلوبُ العارفين بها عيونُ ترى ما لا تراهُ الناظرينَا
والسنة بأسرارٍ تُناجى تغيب عن الكرامِ الكاتبينَا
وأجنحة تطيرُ بغير ريش إلى ملكوت رب العالمينَا

الفصل التاسع والعشرون

[حقيقة المصيبة]

يا هذا ما أعظم المصيبة على من فقد قلبا واعيا ، وما أسرع العقوبة إلى
من عُدِمَ طرفاً باكيا ، وما أكثر حسرة من كان أمره ساهياً ، وما أدوم ندامة من
أمسى وأصبح لاهياً ، لقد غلب على قلوبنا الهوى فتملكها ، واستحوذ على نفوسنا
الطمع فأهلكها ، ونحن عما يراد بنا غافلون وبخلاف ما قد علمناه عاملون ، فلا
الواعظ يشفى منا عليلاً ، ولا الإنذار يجد إلى قلوبنا سبيلاً ، وقد علمنا أن وراءنا
يوماً ثقيلاً فيا عجباً من غفلة مطلوب لا بد من إدراكه ، وتمادى مغترٍ بالسلامة
لا ريبَ في هلاكه ، ألا أذن تسمع ؟ ، ألا عين تدمع ؟ ألا ذهاب إلى الله يفزع .

شعر

دَثُوتُ مِنَ الدُّنْيَا وَدَنْتُ بُحْبُهَا وَأَصْبَحْتُ عَنْ دَارِ السَّلَامَةِ فِي بَعْدِ
دُجَى الذَّنْبِ غَطَّى الْعَقْلَ عَنْ سَاطِعِ الْهَدْيِ وَكَيْفَ تَلُوْحُ الشَّمْسُ لِلْأَعْيُنِ الرُّمْدِ
دهاك الذى تعنى الأساة دواؤه وذلك قد أرى وزاد على الحد

[سارعوا إلى المغفرة]

(١١٢٠)

إخواني : قد دعاكم إلى النجاة^(١١٢١) مولاكم ، وفتح باب الإجابة وناداكم ، ودلكم على منافعكم وهداكم ، وحثكم على البدر رفقا بكم بقوله ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم ﴾^(١١٢٢) لله دُرُّ أقوام بادروا الأوقات واستدركوا الهفوات شغلوا العيون بالدموع عن النظر إلى المحرمات وسجنوا الألسن في سجن الصمت عن موارد الهفوات وكفوا الأكف عن تناول شهوات ، وقيدوا الأقدام عن السعى إلا إلى الطاعات ، إن غشيم الليل ضجوا بالأصوات في الخلوات ، وإن أقبل النهار قطعوه بمقاطعة اللذات أفيطمع في لحاقهم من عرى عن هذه الصفات ، أو يرجوا الخلاص مع الإخلاص ﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾^(١١٢٣) .

شعر

(١١٢٤)

عجبا لأمنك والحياة قصيرة وبفقد إلفك لا تزال تروغ
أفقد رضىت بأن تُعيلَ بالمنى وإلى المنية كل يوم تُدفع
أحلام نوم أو كَظيل زائل إنَّ الكريمَ بمثلها لا يُخدع
إخواني : قدموا صالح الأعمال في فترة الإمهال واحذروا خوادع الآمال
فللمطالبات آجال .

(١١٢٠) وردت هذه الموعظة بمعناها متفرقة في التبصرة (٥٠/١ ، ٥١ ، ٥٢) من قوله (إخواني قد دعاكم إلى النجاة ... إلى قوله : كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) .
(١١٢١) كذا بالأصل وبالمدهش (البدار) .
(١١٢٢) سورة آل عمران - الآية : ١٣٠ .
(١١٢٣) سورة الجاثية - الآية : ٢١ .
(١١٢٤) وردت هذه الأبيات بالتبصرة (٥٢/١) .

يحكى عن إبراهيم الخليل عليه السلام (١١٢٥) : أنه لما رأى ملكوت السموات والأرض رأى عاصيا يعمل معصية فقال : إلهي أهلكه ، فأهلكه الله ثم رأى آخر يعصى فقال : اللهم أهلكه ، فأهلكه الله ، ثم رأى ثالثا ورابعا فأوحى الله تعالى إليه كف يا إبراهيم فلو أهلكت كل عاصي رأيتك لم يبق منهم أحد ولكنى بحلمي لا أعذبهم فإما أن يتوبوا فأتوب عليهم وإما أن يُصيروا فلا يفوتنى شيء .

وحكى أن رجلا قال لبعض الأنبياء : كم أخالفه وأعصيه فلا يعاقبنى فأوحى الله تعالى إلى ذلك النبي قل له : لتعلم إني أنا وأنت أنت .

فسبحان الحليم العظيم الذى لا يستغزه عصيان العاصين أنه ليس يقدر ويستر حتى يتوهم المغرور أنه ليس يصبر وقد يؤخر العبد لعلمه سبحانه بنقل حاله وأنه سيكون من أوليائه ورجاله .

شعر

إذا فسَدَ الإنسانُ بَعْدَ صلاحِهِ فارجو له عود الصلاح لعله

يحكى عن مالك بن دينار (١١٢٦) أنه قال : كان لى جار وكان يتعاطى الفواحش فتبرأ منه الجيران وأتوني شاكين متظلمين منه فاحضرناه وقلنا له إن هؤلاء الجيران يشكون منك فسبيلك أن تخرج من هذه المحلة فقال : أنا فى منزلى لا أخرج منه ، فقلنا له : تبيع دارك فقال : لا أبيع دارى ولا يمكنكم أن تخرجونى منه ، فقلنا له : نشكوك إلى السلطان فقال إن السلطان يعرفنى وأنا من أعوانه فقلت له : ندعوا عليك فقال : إن الله أرحم بى منك ، قال : فغاضبنى ذلك منه ، قال : فلما أمسيت قمت وصليت فلما فرغت من الصلاة دعوت عليه ونمت ، فهتف بى هاتف لا تدع عليه فإنه من أولياء الله ، قال : فلما انتهت أتيت إلى باب داره ودققت عليه الباب فلما خرج ورأى ظن إني جئت نحوه لإخراجه من المحلة

(١١٢٥) رواه ابن أبى الدنيا فى حسن الظن (ص/٧٩ ، ٨٨) ، وقال محققه إسناده

منقطع .

(١١٢٦) سبق الترجمة له .

فقال لي كلاما كالمعتذر ، فقلت : ما جئت لذلك المعنى ولكن جئت لأنى رأيت كذا وكذا فعند ذلك وقع عليه البكاء وقال : إني تبت بعدما كان هذا الأمر وخرج من البلد ولم أره بعد ذلك فاتفق أنى حججنت في بعض السنين فرأيت في المسجد الحرام حلقة فتقدمت إلى الحلقة فرأيت ذلك الشاب عليلاً مطروحاً قال : فلم ألبث إلا قليلا حتى قالوا : قضى الشاب نحبه رحمه الله تعالى .

شعر

دعاء الحب سرا قلبه فأجابهُ وكان إذا نادى به لا يجيبه
فأضحى سليم الشوق لم يبق حوله من الناس طرف لا يسع عزوبه
يرجم فيه العائدون ظنونهم فتخطئه أحيانا وحيناً تصيبه
ولكن كئيب بعد حين إفاقة وهذا الهوى ما يستفيق كئيبه

وفي بعض الحكايات : أن بعضهم رى في النوم ، ف قيل له : ما فعل الله بك قال : أقامنى وأعطانى كتابى فمررت بسيئة فخرجت أن أقرأها فقال لي لا بد من قراءتها فقلت : إلهى لاتفضحنى ، فقال : يا عبدى الوقت الذى لم تستحى فيه ما فضحتك أفأضحك الآن وأنت تستحى فعفى عني وغفر لي .

وفي بعض الحكايات أن رجلا رى في المنام ف قيل له : ما فعل الله بك فقال : أقامنى وقال لي : لم خفتنى كل ذلك الخوف أما علمت أنى حلیم كريم .

ويحكى أن رجلا كان يتعاطى الفواحش فلم يدع شيئا إلا فعله فمرض فلم يعده جيرانه فدعا بعضهم وقال : إن جيرانى قد تأذوا منى في حال حياتى وما أحب أن أؤذى الموتى بعد وفاتى فإذا أنا مت فادفنونى في زاوية بيتى فلما مات رى في المنام على هيئة حسنة ف قيل له : ما فعل الله بك فقال : قال لي يا عبدى هم خلقي ضيعوك وأعرضوا عنك أما أنا لا أضيعك ولا أعرض عنك بوجهى ثم عفا عني وغفر لي .

شعر

صَدَدْتُ فَكُنْتُ مَلِيحَ الصَّدُودِ وَأَعْرَضْتُ أَفْدِيكَ مِنْ مَعْرَضِ
فَفِي حَالَةِ السَّخَطِ لَا فِي الرِّضَا بَيْنَ الْمَحَبِّ مِنَ الْمُبْغِضِ
فَمَنْ كَانَ فِي سَخَطِهِ مَنَعاً فَكَيْفَ يَكُونُ إِذَا مَارَضَى

[لا تغتر بالسلامة]

يا هذا : لا تغتر بالسلامة فمع الخواطيء سهم صائب فبادر الأرياح قبل
خروج الموسم قبل هموم ما لا يرفع وحين لا يغنى الندم ولا يسمع قبل شخوص
الأبصار في المهاجر ، وبلوغ القلوب الحناجر هنالك ترتج الأرض بأقطارها
وتعرض الخلائق على جبارها فيحاسبها بإعلانها وإسرارها وينبها بما عملته في
سالف أعمارها هذا معادك فما إعدادك ، هذا مصيرك فمن نصيرك ،
كيف (١١٢٧) يصلح للفكر قلب غافل ؟ كيف تقع اليقظة لعقل ذاهل ؟ ، كيف
يحصل الفهم لللب عاطل ؟ ، واعجبا لمفرط الأيام زوائل ، ولماثل في الحياة إلى
ركن مائل لقد خاب الغافلون وفاز المتيقظون ، ﴿ وما تغني الآيات والنذر عن
قوم لا يؤمنون ﴾ (١١٢٨) كم من عمل يرد على عامله وكم من أمل بالغ في إتعاب
مفاصله فهبت ريح الشقاء بتبديد حاصله لقد نودى المطرودون بالبعد ولكن
لا تسمعون ، ﴿ وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾ (١١٢٩) ، من
كتب عليه الشقاء ، كيف يسلم ، ومن عميت عينا قلبه كيف يفهم ، ومن
أمرضه طبيبه كيف لا يسقم ومن أعوج في أصل وضعه كيف يتقوم هيئات من
خلق للشقاء فللشقاء يكون ﴿ وما تغني الآيات والنذر عن قوم
لا يؤمنون ﴾ (١١٣٠) جعلنا الله وإياكم ممن أفاق للتيقظ لنفسه ، وفاق بالتحفظ مع

(١١٢٧) وردت هذه الموعظة متفرقة بالتبصرة (١/٦٨ ، ٦٩ ، ٥٦) من قوله

(كيف يصلح للفكر قلب غافل ... إلى قوله : قبل قدوم الغائب) .

(١١٢٨) سورة يونس - الآية : ١٠١ .

(١١٢٩) سورة يونس - الآية : ١٠١ .

(١١٣٠) سورة يونس - الآية : ١٠١ .

أبناء جنسه ، وأعد عدةً ليوم رسمه ، واستدرك في يومه فارط أمسه ، قبل ظهور
العجائب وشيب الذوائب (١١٣١) ، قبل قدوم الغائب والصلاة والسلام على النبي
الكريم .

الفصل الثلاثون

[يا من أنفاسه معدودة]

(١١٣٢)

قال الشيخ رحمه الله تعالى : يا من أنفاسه عليه معدودة وأبواب التقى في
وجهه مسدودة وأعماله بالتناق والرياء عليه مردودة ومحبة التفريط معه مولودة كم
أسرعت فيما يؤذى دينك ورأيت ؟ كم خرقت ثوب إيمانك وما رأيت ؟ كم قد
فاتك من خير وما اكتسبت ؟ (١١٣٣) يا كاسب الخطايا بش ما كسبت ؟ تؤثر
ما يفنى على ما يبقى ، إذا أصبحت تصبح تائباً فإذا أمسيت كذبت ، تمشى مع
اليقين فإذا قاربت انقلبت تعمر ما لا يبقى وما يبقى خربت ، تأنس بالدنيا
وغرورها وقد جربت ، إلى كم تنمى الذنوب ، لقد آن لك أن تتوب . يا من
ضيع الحزم في حياته وأهمل الحسب ، إن تحصيل المعالي سهلاً يا من يتكلف
الأعمال بغير نية الاعتبار ، عندنا بالأعمال القلبية بلغت حرارات الخوف قلب
دواد ، فصار كفه كيرا . ﴿ وألنا له الحديد ﴾ (١٠٣٤) ، وقويت روحانية محمد
ﷺ فنبع الماء من بين أصابعه .

-
- (١١٣١) الذوائب : جمع ذؤابة : وهو شعر مقدم الرأس [الوسيط (٣٠٨/١)] .
(١١٣٢) هذه الموعظة وردت بمعناها متفرقة بالمدحش (ص ٤٥٤ ، ٤٥٥) ، من
قوله (قال الشيخ ... يا من أنفاسه عليه معدودة ... إلى قوله : فكيف التعب المقيم عليه) .
(١١٣٣) كذا بالأصل وبالمدحش (اكتأبت) والصواب ما ورد بالمدحش .
(١١٣٤) سورة سبأ - الآية : ١٠ .

شعر

لولا مدامعُ عشاقٍ ولوعتهم لبانٌ في الناس عِزُّ الماءِ والنارِ
فكل نارٍ فمن أنفاسهم قدَحَتْ وكل ماءٍ فَمِنْ دمعٍ لهم جارٍ
وانظم شتات فكرك المشور واعرف لمن تناجي أيها المصلي طهر شرك قبل
الظهور ، إن قمت في الدياجي ، وطهر شرك من السكنات إلى الأمانى ففى
الخلوات تزف أبكار المعالى ، يا جامع الطبع الحديد تعشق المغناطيس فكيف
التعب المقيم عليه .

شعر

(١١٣٥)

وإني إذا اصْطَفَيْتُ رقابُ مطيِّكم وثورَ حادٍ بالرفاقِ عجولُ
أخالف بين الراحلين^(١١٣٦) على الحشى وأنظر أين ملثم فأميلُ .

يحكى عن أبي حفص الصفار : وكان كبير الشأن أنه قال : تهت في البادية
فَجُعْتُ وعطشت وضعفت ، فبينما أنا أسير إذ رأيت رجلا فاتحافاهُ شاخصا ببصره
إلى السماء فقلت له : ما هذه الوقفة ، فقال : مالك وللدخول بين المولى وعبد
ثم أشار بيده إلى جهة فنحوت نحو إشارته فما مشيت إلا قليلا حتى وجدت
رغيفين على أحدهما قطعة لحم حارة وكوزا من الماء البارد ، قال : فأكلت حتى
شبعت وشربت حتى رويت ثم رأيت الطريق فقصدته .

وقال ذو النون المصرى : نزل على شاب من أهل خراسان فأقام أسبوعا
لا يأكل شيئا فلما كان فى بعض الأيام وقف سائل بنا فقال له الشاب : يا هذا

(١١٣٥) نسب صاحب المدهش هذين البيتين (للشريف الرضى) [المدهش

(ص ٤٥٤) .

(١١٣٦) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (الراحتين) .

لوقصدت الله لأغناك ثم قال له : ما تريد قال : أريد ثوباً يوارى عورتى ، شيئاً من الطعام أسد به جوعتى قال : فوثب الشاب إلى المحراب وصلى ركعتين ثم أتاه بطبق جديد فيه طعام وثوب جديد فلبس الغلام الثوب وأكل من الطعام فقلت : يا غلام لك عند الله هذه المنزلة ولك اليوم عندى أسبوع لم تأكل فيه شيئاً فقال : يا ذا النون كيف نبسط الألسن إلى المسألة والقلوب مملوءة بالرضى .

شعر

(١١٣٧)

لها يَوْجِهَكَ نورٌ يستضاءُ بِهِ ومن نُوالِكَ في أعقابِها حَادِي
لها أحاديث من ذكراك تَشْغَلُهَا عن العظام تُلْهِمُهَا عن الزادِ

(١١٣٨)

قيل لعامر بن عبد قيس (١١٣٩) : أتسهو في صلاتك فقال : أو حديث أحبُّ إليَّ من القرآن حتى اشتغل به هيهات مناجاة الحبيب تستغرق الإحساس .

(١١٣٧) ورد هذان البيتان بالمدحش (ص ٤٥٥) .

(١١٣٨) ورد هذا الأثر بالمدحش (ص ٤٥٥) من قوله (قيل لعامر ... إلى قوله :

تستغرق الإحساس) .

(١١٣٩) عامر بن عبد قيس : ورد في الأصل عامر بن قيس والصواب ما أثبتناه فقد

ورد هذا الأثر في المدحش لعامر بن عبد قيس .

وهو عامر بن عبد الله ، المعروف بابن عبد قيس العنبري : تابعي من بني العنبر ، قال أبو نعيم : هو أول من عرف بالنسك من عباد التابعين بالبصرة وهو من أقران أويس القرني وأبي مسلم الخولاني مات ببيت المقدس في خلافة معاوية (... - ٥٥٥ هـ) [الأعلام (٢٥٢/٣ ، ٢٥٣)] .

شعر

(١١٤٠)

إذا اشْتَغَلَ اللاهونَ عنكَ بشغلهم جَعَلْتُ اشْتَغَالِي فِيكَ يا منتهى شُغْلِي
المحرمات^(١١٤١) حرم ، ونظر المملوك إلى حرم المالك من أقبح الخيانة ،
يا بنى آدم تلمحوا تأثير (وعصى) لقمة أثرت إن عثرت ، فعرى المكتسى ونزل
العالى وبكى الضاحك ، وقام المترفع يخدم نفسه فاشتد بكأؤه فنزل جبريل يسأله
فزاد برؤيته وجده كان إذا نزلت الملائكة استنشق ريح الواصلين وتعرّف أخبار
الديار من نسيمات القاصدين .

شعر

أُذَكِّرُ تِلْكَ الْعُهُودَ تَرَفَّقَا أَعْدَدْتُ ذِكْرًا أَمْ أَرَدْتُ شَمُولًا
مَا لِلْهُوَى الْعُذْرَى أَضْحَكَ شَامِتًا مَنَّا وَأَبْكَى لَائِمًا وَعَذُولًا
أَضَحْتُ جَفَوْنِي بِالْبَكَاءِ قَصِيرَةً فَرَحًا وَلِيلِي بِالسَّهَادِ طَوِيلًا
لَمْ يَدِرْ ذُو الْقَلْبِ الْخَلَى بِأَنَّنِي أَمْسَيْتُ ذَا كَلْفٍ بِهِ مَشْغُولًا
ظَنُّوا السُّلُوَ وَلَا سُلُوَ لَذَاهِلٍ جَمَدْتُ مَدَامِعُهُ وَذَابَ نُحُولًا
وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ خَصَبَ دَمُوعِهِ فِي الْخَدِّ أَخَذْتُ فِي الضُّلُوعِ مُحُولًا
فَسَلِ الصَّبِي عَنْ عَصْرِ أَيَّامِ الصَّبَا إِنْ كُنْتُ رُمْتُ لَعْدَهُ تَبْدِيلًا .

(١١٤٠) ورد هذا البيت بالمدحش (ص ٤٥٥) .

(١١٤١) وردت هذه الموعظة بالمدحش (ص ٤٥٨ ، ٤٥٩) مع تغيير في بعض

الألفاظ . من قوله (المحرمات حرم ... إلى قوله : من نسيمات القاصدين) .

[حكاية عابدة]

(١١٤٢)

كانت عابدة من أحسن النساء عينا فاخذت في البكاء ، فقليل لها : تذهب عيناك ، فقالت : إن يكن لى عند الله خير فيستبدلنى خيرا منها وإن تكن الأخرى فوالله ما أحزن عليهما ، يا هذا من سعى إلى جنات العزم بأقدام المسكنة ووقف بباب الكرم على أنخص المسألة ووصف ندمه على الذنب بعبارة الذل لم يعد بالخفية ، لما امتلأت أسماع المتيقظين بصوت « كذب من ادعى محبتي فإذا جنة الليل نام عنى » ، قاموا على أقدام الجدد تحت ستر الدجى ليكون على زمان ضاع من غير الوصال .

شعر

قلبُ يذكُرُ الحمى بعد النوى يجب ومقلّة في الهوى فاضت بما يجب
لا تعجب الناس من ذلّى وعزّهم حكم الهوى في بنيه كلّ عجب
أجب أبناء ما نشدنا الصبر بعدكم ولا تسألونا وأثواب الصبا تشب
نبتم فما في هدوء عنكم طمع كلّا ولا في حياة بعدكم أرب
يا هذا من عرف شرف الحياة اغتنمها ، من علم أرباح الطاعات لزمها ،
رحل القوم يا متخلف سبقوا بالعزائم ، يا متسوف قف على الآثار وقوف
متلهف ، وصبح بالدمع ثم سر يا متوقف .

(١١٤٢) ورد هذا الأثر بالمدحش (ص ٤٥٩) من قوله (كانت عابدة ... إلى قولها :
والله ما أحزن عليهما) .

(١١٤٣) وردت هذه الموعظة متفرقة بالمدحش (ص ٤٥٩ ، ٤٦٢) بتغيير في ترتيب
جملها .

من قوله (يا هذا من سعى إلى جناب العز ... إلى قوله : زمان ضاع في غير
وصال) .

[حكاية]

قال ذو النون المصري : بينا أنا أسير في بعض الجبال إذ سمعت صوتاً أهاج حزني وهو يقول : سبحان من نزهة قلوب العارفين في رياض الطاعة بين يديه سبحان من منح الفهم ألباب ذوى البصائر ، فتوجهوا إليه قال ذو النون : فدنوت منه ، وقلت له : السلام عليك ، فقال : وعليك السلام ، من أوصلك إلى هذا المكان ، فقلت : الرغبة في لقائك ووعظك ، فقال : لعلك ذو النون ؟ فقلت : نعم فقال : يا ذا النون إذا علمت أن لله عبادةً أفرغ في قلوبهم رياض المودة وغرس في نفوسهم شجر المحبة فليس لهم دون الله راحة حتى المقدم عليه ، فقلت له : أوصني فقال : إن لله يوماً يتجلى فيه لأوليائه فاعمل لذلك اليوم ، قل (١١٤٤) للمقيمين على معاصمهم وجهلهم المصريين على قبيح فعلهم : كم لعب الدهر قبلهم بمثلهم ، أما يكفي في توبيخهم وعذلم [﴿] فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم [﴿] (١١٤٥) يا من راح في المعاصي وغدا ويقول سأتوب اليوم أو غدا ، كيف يلين قلباً أمسى بالجهل جُلُمداً ، ليت شعري بأى وجه تلقى الردا ، ويحك قد نقد السليط (١١٤٦) ، فاستدرك ذبالة المصباح ويحك إن المنقطعين في البادية أكل السباع .

شعر

لَاخَ الْمَشِيبُ بِعَارِضِيكَ وَأَعْلَنَا أَلَا مَحِصُّ لَكَ الْغَدَاةُ مِنَ الْفَنَاءِ
فَدَغُ التَّشَاغُلِ بِالتَّى تَشْقَى بِهَا وَانْهَضْ إِلَى جَدِّ وَدَعْ عَنْكَ الْوَنَاءَ (١١٤٧)

(١١٤٤) وردت هذه الموعظة بالتبصرة (٦٩/١) بتغيير في بعض الألفاظ . من قوله (قل للمقيمين على معاصمهم .. إلى قوله تعالى : ﴿ فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم ﴾ .

(١١٤٥) سورة يونس - الآية : ١٠٢ .

(١١٤٦) السليط : كل دهن (زيت) عصر من حَبْ .

(١١٤٧) الونا : الفتور ، والضعف والكُلْ : [اللسان (٤١٥/١٥ - ونى)] ط .

دار صادر .

[عبارات النسيم]

إخواني (١١٤٨): عبارات النسيم لا يفهمها إلا المشتاق (١١٤٩) وحديث البروق لا يروق إلا للعشاق (١١٥٠) ، تأسف باجيفة النوم وابك بأبعد القوم ، خلو والله بالحبيب في دار المناجاة فكساهم ثياب المواصلة وضمنهم بطيب المعاملة وعالية السحر عالية ، فيا من أبعدته عنهم الذنوب وأخرجته من بينهم العيوب ، ان لم يكن وصل فمواصلة ، وإن لم يكن جميل فمعاملة تشبه بهم إن لم تكن منهم فإنه لما أحيا عزيزا أحيا حماره ولما بعث أهل الكهف بعث كلهم ، يا أعجمي (١١٥١) الفهم متى تفهم ؟ يا فرحانا بلذة عقابها جهنم . ستدرى متى تبكى ومتى تندم . إذا جثا الخليل وتزلزل ابن مريم ، يا عاشق الدنيا كم مات بحبها متيم ؟ ما للفلاحة علامه ، والله أعلم ، غاب الهدهد عن سليمان ساعة فتواعده ، فيا غائباً عنا طول عمره أما تحذر غضبنا ؟ خالف موسى الخضر ثلاث مرات فحل عقد الوصل ﴿ هذا فراق بيني وبينك ﴾ (١١٥٢) .

أعظم عذاب أهل النار جهلهم بالمعذب ، لو صحت معرفتهم بالمالك لما استغاثوا ﴿ يا مالك ﴾ (١١٥٣) ، وقع بينهم شخص ليس من الجنس كان في بطنه ذرة من المعرفة فكان كلما حملت عليه النار اتقاها بدرع « يا حنان يا منان » رأى الأسباب بيد المسبب .

(١١٤٨) وردت هذه الموعظه بالمدحش (ص ٤٨٢) من قوله (عبارات النسيم ... إلى قوله (لا يروق إلا للعشاق) .

(١١٤٩) كذا بالأصل وبالمدحش (الأحباب) .

(١١٥٠) كذا بالأصل وبالمدحش (المشتاق) .

(١١٥١) وردت هذه الموعظه بالمدحش (ص ٤٩٠ ، ٤٩١) من قوله (يا أعجمي

الفهم متى تفهم ... إلى قوله : رأى الأسباب بيد المسبب .

(١١٥٢) سورة الكهف - الآية : ٩٨ .

(١١٥٣) سورة الزخرف - الآية : ٧٧ .

شعر

قُلْ للعدولِ لَقَدْ أَكْثَرَتْ مِنْ عَذْلِي فَأَنْصَحْ لِنَفْسِكَ أَذْنِي عَنْكَ صَمَاءُ
فَأَنِّي تَزِيدُ إِذَا مَا لُمْتَنِي لَمَّا قَدْ حَارَ فِي وَصْفِ مَا أَشْكُو الْأَطْبَاءُ

« أسلم النصراني كرامة لبشر » (٥٤٠)

قيل : لما مرض بشر الحافي رضي الله عنه مرضه الذي مات فيه فاجتمع إليه إخوانه ، وقالوا له : غرضنا أن نحمل ماءك إلى الطبيب ، فقال : أنا بعين الطبيب يفعل بي ما يريد ، قالوا : إن فلانا النصراني طبيب جيد ولا بد أن يُحمل إليه ماءك ، فقال لهم : دعوني فالطبيب أمرضني ، قالوا : لابد من ذلك فقال لاخته : إذا كان في الغد ادفعي إليهم الماء ، فلما أصبحوا أتوها فدفعت إليهم الماء ، فمضوا به إلى الطبيب فنظر إليه وقال لهم : ضعوه فوضعه ، ثم قال : حركوه فحركوه حتى فعل ذلك ثانيا وثالثا فقال له أحد القوم : ما هكذا أخبرنا عنك قال : وما الذي أخبرتم به عني قال : أخبرنا عنك بحسن النظر وسرعة الإدراك وجودة المعافاة وتراك تردد النظر وذلك يدل على قلة المعرفة ، فقال لهم : والله لقد علمت حاله من نظرة ، ولكنني رددت النظر تعجبا وبعد ، فإن يكن هذا ماء نصراني فهو ماء راهب قد فتت الخوف كبده وإن يكن ماء مسلم فهو ماء بشر الحافي ، وليس له عندي دواء فعللوه فإنه ميت ، فقالوا له : هو والله ماء بشر الحافي قال : فلما سمع الطبيب ذلك أخذ مقراضا وقطع زنارة^(١١٥٤) وقال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ قال : فأسرعنا نحو بشر لنبشره فلما أبصرنا قال : أسلم الطبيب ؟ قلنا : نعم فمن أخبرك قال : لما خرجتم من عندي أخذتني سنة وإذا قائل يقول : يا بشر ببركة مائك أسلم الطبيب ثم لم يلبث بعد ذلك إلا ساعة ومات رضي الله عنه .

(١١٥٤) زناره : الزنار : حزام يشده النصراني على وسطة [الوسيط (٤٠٣/١)] .

شعر

حَتَّمْ عَلَى كُلِّ صَيِّبٍ صَبُّ عَبْرَتُهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَى لُقْيَا أَحِبَّتِهِ
إِتْلَافٌ مِنْ يَخْشَى فِرَاقَكُمْ اللَّهُ اللَّهُ فِي إِتْلَافٍ مُهْجَتِهِ
وَمُدَّةُ الْعَمْرِ مَا وَاصِلَتْمْ فَإِذَا فَارْقَتُمَا فَهُوَ عِنْدَ غَيْرِ مَدَّتِهِ
مُجِبُّكُمْ حَبٌّ أَنْ يَلْقَا مَنِيَّتَهُ لِأَنَّ كُلَّ مُنَاكَمٍ فِي مَنِيَّتِهِ

(١١٥٥)

اسمع يا من سبقه القوم وتخلف بل ترى آثارهم من دمع الأسف .

شعر

دَغْ شَأْنُ عَيْنِكَ يَا حَزِينٍ مِثْلَانِ (١١٥٦) وَضَعُ الْيَدَيْنِ عَلَى الْحَشَى وَتَمْلَمِلِ
هَذَا أَوْ أَنْ فِرَاقِهِمْ وَلَعَلَّ (١١٥٧) مَا يَغْنَى وَقُوفُكَ سَاعَةً فِي الْمَنْزِلِ
يَا هَذَا جَزْ بِنَادَى الْأَحْبَةِ وَنَادَى أَهْلَ الْأَشْجَانِ تَرَاهُمْ كَالْفِرَاشِ تَحْتَ
النِّيرَانِ ، يَا حَسْرَةَ مِنْ مَضُوا وَخَلَفُوهُ ، لَقَدْ اسْتَبْدَلَ بِالْعَسَلِ الْخَلَّ . آهْ عَلَى عَيْشِ
مَضَى وَلَا عَوْدَةَ لَهُ وَلَا حَادٍ سَرَى بِغَيْرِ رَفْقَةٍ .

شعر

أَمَّا وَالْحَمَى النُّجْدِيُّ يَا سَاكِنَ الْحَمَى لَقَدْ أَوْضَحَ الدَّمْعُ الَّذِي كَانَ مُبْهَمًا
هَمِي فَأَرَى يَوْمَ النَّوَى الْكَاشِحَ الْهَوَى فَلَيْتَ النَّوَى لَمْ يَقْضِ أَوْمَاهُمَا

(١١٥٥) وردت هذه النوعية بالمدحش (ص ١٦٧) ، من قوله (اسمع يا من سبقه القوم وتخلف ... إلى قوله (تراهم كالفرش تحت النيران) .
(١١٥٦) كذا بالأصل وبالمدحش (وشأنه) .
(١١٥٧) كذا بالأصل وبالمدحش (ولقل) .

وهيَّج أشجاناً وأضرَمَ لوعة وحركَ حُسَّاداً ونَبَّهَ نوَّما
وعَصَفَرَّ مُصَفَّرَ الخدودِ انسكابه فهل كانَ ماءَ دمعِ عينِكَ أمَ دما
وروضٌ مغبرُّ العقيقِ فما دَرَى سقته الأماقِ أمَ سقت أرضه السما
خَلِيلِي لم أعشَقِ اللومَ في الهوى حَجَرْتُكُما أو قلتُ عَنِّي إليكما
أئنما لما واللومُ فيه راحةً فكيف وما ألهمتُما حينَ لَمْتُما
فلو ما فَكَمَ من لوعةٍ وصبايةٍ على الصبِّ قد هيَّجْتُما لو علمتما

[جهاد النفوس]

(١١٥٨)

إخواني : كل مقاتل ليس معه سلاح عزمه مغلوب ، إذ برز شجاع اليقظة
بسلاح الجد هشم وجه الأمل وهزم جيوش الأجل^(١١٥٩) ، الخلوة شرك لصيد
الموانسة أخفى الصيادين شخصاً ، وأقلهم حركة أكثرهم إلتقاط للصيد ، رحم
الله أعظمنا طال ما نصبت وانتصبت ، جن عليها الليل فلما تمكن وثبت ، إن
ذكرت عوله رهبت وهربت ، وإن تصورت [فضله]^(١١٦٠) فرحت وطربت ،
عرفت إذ نبت عن فضله^(١١٦١) أنها أذنت ، هبت على قلوبهم عقيم الحذر
فاقشعرت وندبت ، فبكت عليها سحاب الرخاء فاهتزت وربت سلام على تلك
القبور ، رحمة الله على تلك الأرواح أماكن تعبدتهم باكية ، مواطن تهجدتهم
لفقدتهم شاكية ، زال التعب وبقي الأجر ، ذهب ليل النصب وطلع الفجر ، لم
يزل الحق يلطف بأوليائه ويريم آثار الاختصاص حتى في بلائه ، خلص الخليل
من النار وجعلها بردا وسلاما ، وأنس يوسف في ظلمات الجب فلم يبق عليه
ظلاما وصيره مملوكاً لينشر له في الملك أعلاما ، وحفظ الكليم في التابوت أشعارا
باللطيف وأعلاماً لما أدبر فرعون وعصى ووجد في كتبه مولوداً يهلكه بالقصا ، فتح

(١١٥٨) وردت هذه الموعظة متفرقة بالمدحش (ص ٥٢٣ ، ٥٢٤) ، من قوله

(إخواني كل مقاتل ... إلى قوله (ويريم ليل النصب وطلع الفجر) .

(١١٥٩) كذا بالأصل وردت بالمدحش (الزلل) .

(١١٦٠) ما بين المعكوفتين سقط استدركناه من المدحش (ص ٥٢٤) .

(١١٦١) كذا بالأصل وبالمدحش (خدمته) .

باب ذبح الأطفال ليظفر بصاحب الآيات ولسان الإعجاز يهتف به : هيهات ،
يا قوت الاختصاص ، لا تعمل فيه نار البلاء وسمندل^(١١٦٢) المحبة لا يحرقه هب
الاختبار بالأعداء يا صياد العدو ، إن صقور العناية لاتقع في حبلك يا رامى
البغى ، من ألبس درع العصمة كيف يصاب بنبلك ، يا معجبا بالملك ستعلم غدا
من يملك ممن يملك ، ليس العجب أن تتطلبه فلا تجده وهو في مصرك انما العجب
أن تسوقه في التابوت إلى قصرك لتعلم أنى معه ولا شئ معى وأن الحق للمبرهن
لا للمدعى ، أنا المحتج عن من اصطفت واخترت ، أنا مذهب الخوف عن أوليائى
كما أخبرت .

يا هذا أين كنت حيث كان لك ولذويك أين كانت رحمة أمك وشفقة
أبيك ، أما قسم لك الإسلام إذ حرمة الكافرون ، أما خصك بالإيمان وسلبه
آخرون ، أما سماك بالصلاح في كتابه المكنون بدل عن الكشط فقال تعالى :
﴿ لقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى
الصالحون ﴾^(١١٦٣) جاء في التفسير أنها أمة محمد ﷺ .

اعلم يا أخى أن الله سبحانه وتعالى أثرك في سابق القدم وحكم لك عنده
بصدق القدم ورباك بفنون النعم وعصمك من السجود للصنم واختارك على جميع
الأمم ورداك رداء الإيمان وتلقاك بجميل الغفران ورقاك إلى درجه الرضوان ، فأين
الشكر على هذا الإحسان ؟ أما هذا أعماركم تنهب وأيامكم تذهب وآثامكم
تكتب أيلك صمم عن النصائح أوعى والأمر واضح ﴿ فما هؤلاء القوم
لا يكادون يفقهون حديثا ﴾^(١١٦٤) أرباب القلوب القاسية يخرجون من المجلس
كما دخلوه أول مرة ﴿ سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾^(١١٦٥)

(١١٦٢) سمندل : نسيج من ريش بعض الطيور لا يحترق وقيل هي دابة تدخل النار
فلا تحترق . [اللسان (١١/٣٤٨ - سمندل)] ط. دار صادر .

(١١٦٣) سورة الأنبياء - الآية : ١٠٥ .

(١١٦٤) سورة النساء - الآية : ٧٨ .

(١١٦٥) سورة البقرة - الآية : ٦ .

رانت الذنوب على القلوب فالمواعظ تحرم على المنافذ فلا تجد طريقا ﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم ﴾ (١١٦٧) لقد ربح قوم عملوا في الدنيا بالإخلاص في الطاعة وفازوا يوم القيامة بالربح في البضاعة وتجنبوا التقصير والغفلة والإضاعة وأفرشوا الرضا وتوسدوا القناعة ، طال والله ما تعبت أبدانهم من الجوع والسهر ، وكفوا جوارحهم عن القول والنظر ، وانتهوا عما نهاهم مولاهم وامثلوا ما أمر ، وعُدُّوا للزاد ما يصلح للسفر ، فيا حسنهم في الليل . ودموعهم كالمنطر والسر صاف والحال مستقيم ﴿ إن الأبرار لفي نعيم ﴾ (١١٦٧) .

شعر

لَكَ اللهُ يَا حَابِسَ الْيَعْمَلَاتِ (١١٦٨) عَلَى طَلَلٍ مِنْهُمْ أَقْفَرَا
وَلَوْلَا الْهَوَى مَا أَنْخَتَ الْمَطِيُّ وَلَا قَمَتْ فِي اللَّيْلِ مُسْتَعِيرَا
أَتَرَهَا فَإِنْ شَفَّهَا أَوْ بَرَى قَوَائِمَهَا السِّرَ فَارْخَى الْبِرَا (١١٦٩)
وَدَغَ خَطْمُهَا (١١٧٠) وَالْدَّجَى وَالْفَلَا لِتَجْهَدَ عِنْدَ الصَّبَاحِ وَالسَّرَى

(١١٦٦) سورة البقرة - الآية : ٧ .

(١١٦٧) سورة الانفطار - الآية : ١٣ .

(١١٦٨) اليعملات : العمله : الإبل النجبية المعتملة المطبوعة على العمل أو الناقة السريعة . [اللسان (٤٧٦/١١ - عمل)] ط. دار صادر .

(١١٦٩) البرى : حلقة توضع في جانبي أنف البعير . [اللسان (٧١/١٤) - برى] ط. دار صادر .

(١١٧٠) خطمها : زمامها : الحبل الذي يقاد به البعير . [اللسان (١٨٦/١٢) - خطم] ط. دار صادر .

الفصل ١١٠ والثلاثون

[أفق ياسابحاً في بحار الغمرات]

يا هذا إلى كم أنت بالملاهي لاهي ، تطع حين أسرفت في المناهي ناهي ،
أفق أيها السابح في بحار الغمرات ، واستدرك وقتك قبل انصرام الأوقات ، فما من
حسن الأخلاق أن تكون ثياب أعمالك أخلاق(*) ، إلى كم أزجرك وأنت لا تتزجر ،
أرادني فما أزداني ولا أغمض عن المحارم أجفاني فما أجفاني .

شعر

(١١٧١)

وقبل شخوص(١١٧٢) المرء يجمع زاده وتملاً من قبل اللقاء(١١٧٣) الكنائن
حصادك يوماً ما زرعت وإنما يدان المرء يوماً بما هو دائن
يا عليل الأنام لم لاتلزم جنات طبيبك يا صريع الغرام لم لا تقرر باب
حبيبك أما رفع لك الحجاب ، أما ضمن لك المتاب ، أما سمعت قوله في الكتاب
﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ ﴾(١١٧٤) ما تقول يا مقتنا إذا قيل لك أى قاطع قطعك
عنا أى مانع منعك منا .

شعر

يا مَنْ تَلَوْنَ عَهْدُهُ وَتَغَيَّرَا ما كَانَ حَقُّ محبِّكم أَنْ يُهَجَّرَا
ولئنْ غدرتْ فسنةٌ مأثورة ما حلتْ عن شيمِ الليالي والقرا

(*) أخلاق : خلق : بلى والمراد بالية [الوسيط (٢٥٢/١)] .

(١١٧١) ورد هذان البيتان بالتبصرة (ص ٣٥٨) .

(١١٧٢) شخوص : الشخص : فتح العينين بلا طرف - وهو كناية عن لحظة

الاحتضار - [اللسان (٤٦/٧ - شخص)] ط. دار صادر .

(١١٧٣) كذا بالأصل وبالمدهش (الرماء) .

(١١٧٤) سورة طه - الآية : ٨ .

[يا معروفاً بترك المعروف]

اسمع يا معروفاً بترك المعروف ، يا من هو بكسب القبائح موصوف ، إلى كم تعشق الممالك وأنت لاتعتق ؟ وتطلق الأسارى وأنت في أمر شهواتك موثق ؟ إذا لم تدرك فضيله السبق فالحق من سبق من عرف الله عاش ، ومن جهل حقائق المعرفة طاش ، تالله ما يقع في حقيقة الطاعة من له نفس مطاعة .

قال الله عز وجل : ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى ﴾ (١١٧٥)

[بداية أبي حفص النيسابورى]

قيل : كانت بداية ابي حفص النيسابورى أنه اشتغل قلبه بحب جارية فاستشار بعض أصحابه فأشار عليه أن يمضى إلى يهودى كان هناك ليحتال له في أمرها قال : فمضى إلى اليهودى واطلعه على حاله فأمره اليهودى أن لا يصلى ولا يعمل عملاً يرضاه الله مدة أربعين يوماً ففعل ذلك ثم سار إلى اليهودى وأعلمه بذلك فشرع اليهودى في أمره فلم يتهياً له أمراً ، ولم يصح له عملاً ، فقال له اليهودى : أخاف أن تكون عملت في هذه المدة عملاً صالحاً فتفكر وقال : والله ما عملت شيئاً غير أنى أزلت حجراً من طريق المسلمين برجلى ، فقال اليهودى : فهذا رب لا يضيع لك هذا المقدار فكيف يحسن بك أن تضيعه .

شعر

تبارك الله من قد كان يحملُهُ على الهوى رُقُّ حتى صار يعدله
قال : فخرج من نيسابور حافياً هائماً إلى بعض المتعبدات فقبل له يوماً :
أين عمايتك فوضع يده على رأسه ظناً منه بأنها على رأسه مما خامر قلبه من الوله
فلم يزل على ذلك حتى كان منه ما كان :

(١١٧٥) سورة النازعات - الآية : ٤٠ .

شعر

أَحْسَنْتُمْ فَاسْتَرَقَّ الْقَلْبُ حُبُّكُمْ وَالْحُبُّ سَابِقَةُ الْحَسَنَى تُولَدُهُ
 قال الشيخ أبو القاسم القشيري رضي الله عنه ورد في بعض القصص أن
 البعد إذا هم بالمعصية يقول الله عز وجل ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا
 لَهُ ﴾ (١١٧٦) فإذا عمل المعصية يقول الله عز وجل ﴿ وَتَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ
 الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١١٧٧) فإذا أصر على فعلها يقول الله عز وجل
 ﴿ أَفَتُخَذَوْنَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ
 بَدَلًا ﴾ (١١٧٨) .

[إلى كم تعصى وتتمرد]

يا هذا (١١٧٩) : إلى كم تعصى وتتمرد ؟ وأقبح من قبيحك أنك تتعمد ،
 يا ردى العزم يأسى المقصد ، يا نقى الثوب والقلب أسود ، ما هذا الأمل ولست
 بمخلد ؟ أما تخاف ممن هدّد وأوعد ، يا مسئولاً عن القبيح أتقرأم تجحد أما علمت
 أن السفر بعيد ، فهل تتزود ، ولو رأيت التائب لرأيت جفنا مقروحا تراه في
 الأسفار على باب الاعتذار مطروحا ، مطعمه يسر وحزنه كثير ومزعجه مشر .
 قال الجنيد عفا الله عنه دخلت على السرى السقطى فقلت له : كيف
 أصبحت ؟ فانشد وجعل يقول :

لَا بِالنَّهَارِ وَلَا بِاللَّيْلِ لِي فَرْجٌ فَلَا أَبَالِي أَطَالَ اللَّيْلُ أَمْ قَصُرًا
 وقال ابن عطاء الله : كنت أنا وأبوجعفر الفرغانى وجماعة من أصحاب
 الجنيد في مسجد الشونبزيه إذ أقبل الشبلى وهو كالهائج فدخل المسجد وخرج ولم
 يكلم منا أحدا فهجم على الجنيد وقال :

(١١٧٦) سورة الزمر - الآية : ٥٤ .

(١١٧٧) سورة النور - الآية : ٣١ .

(١١٧٨) سورة الكهف - الآية : ٥٠ .

(١١٧٩) هذه الموعظة من قوله (يا هذا إلى كم تعصى وتتمرد) إلى قوله (ولست

بمخلد) وردت بالمدحش (ص ٥٢٢) .

عَوِّدُونِي الْوَصَالَ وَالْوَصْلُ عَذْبٌ وَرَمَوْنِي بِالصَّدِّ وَالصَّدُّ صَعْبٌ
زَعَمُوا حِينَ أَعْتَبُوا أَنْ جُرْمِي فَرَطَ حُبِّي لَهُمْ وَمَا ذَاكَ ذَنْبٌ
لَا وَحَقُّ الْخَضُوعِ عِنْدَ التَّلَاقِ مَا جِزَاءُ مَنْ يَحِبُّ إِلَّا يُحِبُّ

قال : فطرب الجنيد وضرب برجليه في الأرض وقال : هو ذاك هو ذاك
ثم ولي الشبلي رضي الله عنه .

[ربح القوم وأنت نائم]

يا أخى : لقد ربح القوم وأنت نائم ، وكسبوا ورجعوا بالغنائم ، يا هذا
ما الذى يغنى عنك وقوفك بالمحراب وقلبك من التقوى عال ، يا من هتك ستر
المحارم وتعاطيم الجرائم أمستيقظ أنت أم نائم ، يا هذا كيف جفت منك المقل
والأجفان مع فراق الأحباب والخلان ما أكثر شغلك بآفاتك عن ذكر وفاتك
ويحك متى تستوحش من معاشرة الخلق ، متى تأنس بمناجات الحق ، لا يطمعن
البطال في منازل الأبطال ، من زرع حصد ومن جد وجد ، أى مطلوب ينال من
غير مشقه وأى مرغوب لم يتعد على طالبه الشقه ، الملك لا يحصل إلا بالتعب
والعلم لا يدرك إلا بالطلب واسم الجواد لا يناله بخيل ولقب الشجاع بعد تعب
طويل ، يا أرباب القلوب السائقة لا تياسوا من روح الله يا أهل الخوف من
عواقب الذنوب طيبوا قلوبكم ﴿ إنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من
بعده وأصلح فإنه غفور رحيم ﴾ (١١٨٠)

يحكى : عن ابن المنكدر (١١٨١) أنه قال : قلت ليلة في الطواف اللهم
اعصمنى وأقسمت على الله طويلا فرأيت في المنام كأن قائلا يقول لى : أنت الذى
قلت اللهم اعصمنى فقلت : نعم فقال : إنه لا يفعل قلت : فلم ، قال : يريد أن
يُعصَى حتى يَغْفِر .

وحكى : أن بعض أنبياء بنى إسرائيل سرق له حمار فقال : إلهى
نبيك سرق منه حماره إلهى أسألك أن تطلعنى عليه فأوحى الله عز وجل إليه أن

(١١٨٠) سورة الأنعام - الآية : ٥٤ .

(١١٨١) سبق الترجمة له .

ذلك الرجل الذي سرق حمارك سألتني أن أستره وأنا أعطيك حمارا آخر
ولا أفضحه بعد أن سألتني ستره .

ويحكى : عن بعضهم أنه قال : كان في جبراني رجل شرير فلما مات
رفعت جنازته فتنحيت عن الطريق حتى لا أحتاج أن أصلى عليه فرئى هذا الرجل
في المنام على هيئة حسنة فقال له الرأى : ما فعل الله تعالى بك؟ قال : غفر لي وقال
لي : قل لأيوب يعني ذلك الرجل الذي لم يصل عليه ﴿ قل لو أنتم تملكون
خزائن رحمة ربي إذا لأمسكنكم خشية الإنفاق ﴾ (١١٨٢) .

وعن بعض الصالحين أنه قال : رأيت بعضهم في المنام فقلت له : ما فعل
الله بك فقال : وزنت حسناتي وسيئاتي فرجحت سيئاتي على حسناتي فجاءت
صرة من السماء فسقطت في كفة الحسنات فرجحت فحللت الصرة وإذا فيها
كف تراب ألقيته في قبر ميت .

وروى عن ابن أبي أوفى (١١٨٣) أنه قال (١١٨٤) : خرجت أريد رسول الله
ﷺ فإذا أبوبكر وعمر رضي الله تعالى عنهما قاعدين وعندهم صبي صغير يبكي
فقال النبي ﷺ : ضم إليك الصبي يا عمر فضم عمر رضي الله عنه الصبي إلى
صدره ، وإذا بامرأة كاشفة عن رأسها تولول وتقول : يا بنياه ، فقال النبي ﷺ :
يا عمر الحق المرأة فإنها أم الصبي فدعاها عمر فأتت فأخذت المرأة ولدها وضمته
إلى صدرها ووضعتة في حجرها فلما التفتت رأت رسول الله ﷺ فقالت :
واحزنناه أترى رآني رسول الله وأنا كاشفة رأسي فقال رسول الله ﷺ : أترون هذه

(٥) رجالاً : أي مترجلين يمشون على أرجلهم . [الوسيط (٣٣٢/١)] .

(١١٨٢) سورة الإسراء - الآية : ١٠٠ .

(١١٨٣) ابن أبي أوفى : عبد الله بن أبي أوفى علقمة بن خالد الحارث الأسلمي ،
صحابي ، شهد الحديبية ، وعمر بعد النبي ﷺ ، مات سنة سبع وثمانين وهو آخر من مات
بالكوفة من الصحابة . [تقريب التهذيب (٤٠٢/١) رقم ١٩٣] .

(١١٨٤) نسبه في المطالب العالية (٢٨/٣) إلى عبد بن حميد .

أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١٣/١٠) وقال عنه : رواه الطبراني وفيه فائدة أبو
الورقاء وهو متروك .

رحيمه بولدها قالوا : يا رسول الله كفى بها رحمة ، فقال رسول الله ﷺ :
والذى بعثنى بيده الله أرحم بالمؤمنين من هذه بولدها .

إخسوانى : كيف لاتفتت الأكباد شوقاً إلى من هذه نعمته كيف لا تذوب
الأجساد شوقاً إلى من هذه رحمته .

قال محمد بن سهل : إلهى إن عرفناك جزيتنا وإن خالفناك عذبتنا وإن
تركناك أزعجتنا فكيف الطريق إلى رضاك وإذا بهاتف يهتف : يا ابن سهل اسقط
عنك الاعتراض على الله عز وجل فقد وصلت إلى حقيقة العبودية فإنه يفعل
ما يشاء ويحكم ما يريد فكم من موقف لباستحقاق طلب وكم من مخدول لا بعلة
وسبب خصّ قوماً بحكم السعادة من غير استحقاق طلب ولا جهد ولا تعب
ولا وجود سبب بل تعلق العلم القديم بإسعادهم وسبق الحكم الأزلى بإيجادهم
وخص آخر بطرده وإبعاده ووضع قدره بين عباده من غير ذى جرم أسلف
ولا ذنب أقترف بل حقت الكلمة عليه بشقاوته ونفذت المنية بجفى فابه
وقساوته ، قال الله عز وجل ﴿ أولئك الذين لم يرد الله أن يظهر
قلوبهم ﴾ (١١٨٥) .

وقال تعالى فى وصف بلعام ﴿ ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى
الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه
يلهث ﴾ (١١٨٦) ثم قال فى قصته بعدما أباح من كرامته وما ظهر لأهل زمانه من
قربته حتى جاء فى القصص أنه كان يرى من العلا إلى الثرى وأنه كان يعرف اسم
الله الأعظم ، فقال سبحانه جلّت صفته ﴿ فمثله كمثل الكلب ﴾ (١١٨٧)
فلا غيره بالحلقة ولا اعتماد على الحال والصورة وإنما الاعتبار بسابق الحكم والقسم
الذى كان عدواً أبرزه فى جماعة أوليائه ثم قال ﴿ فمثله كمثل الكلب ﴾ (١١٨٨)
والذى كان من أهل ولايته خلقه فى صورة الكلب ثم ذكره مع أوليائه ، فقال

(١١٨٥) سورة المائدة - الآية : ٤١ .

(١١٨٦) سورة الأعراف - الآية : ١٧٦ .

(١١٨٧) سورة الأعراف - الآية : ١٧٦ .

(١١٨٨) سورة الأعراف - الآية : ١٧٦ .

تعالى ﴿ رابعهم كلبهم ﴾ (١١٨٩) وقال تعالى : ﴿ وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد ﴾ (١١٩٠) .

يُحكى (١١٩١) عن أبي على الدقاق أنه قال : إن أصحاب الكهف صرفوا ذلك الكلب فلم ينصرف فضربوه ، فأنطقه الله عز وجل فقال لهم : لم تضربوني إن كانت لكم إرادته فلي أيضا إرادة ، فازدادوا بكلامه يقينا وقالوا فيما بينهم : لا يمكننا صرف هذا الكلب وسيدل بآثار قدميه علينا فالحيلة أن نحملة على أكتافنا بالدور ، فكانوا يحملونه بينهم بالدور .

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى : إن الأولياء كانوا يمشون رجالا^(٧) والكلب حامله الأولياء كانوا في الابتداء بلأياه فصاروا لا في الانتهاء مطاياها ، نباح الكلب يوجب لسامعه الوحشه ولكن لما ساعدت العناية أوجب نباح ذلك الكلب لهم زيادة وبصيرة قال الله تعالى : ﴿ وربطنا على قلوبهم إذا قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض ﴾ (١١٩٢) جاء في التفسير بكلام الكلب ليعلم العالمون أن العزة بالحكم الأزلى لا بالسكوت والحركات والعلل والأسباب .

شعر

شكا إليك ما وجد فيك الجلد من خانه حيران لو شئت اهتدى
ظمآن لو شئت ورد

(*) رجالاً : أى مترجلين يمشون على أرجلهم [الوسيط (٣٣٢/١)] .

(١١٨٩) سورة الكهف - الآية : ٢٢ .

(١١٩٠) سورة الكهف - الآية : ١٦ .

(١١٩١) وردت هذه القصة بمعناها بالمدح (ص ١٢١ ، ١٢٢) .

(١١٩٢) سورة الكهف - الآية : ١٤ .

الفصل الثاني والثلاثون

[أصلح فساد قلبك]

يا قلبُ أترك تصلح من هذا الفساد أترى تبدل بالبياض هذا السواد قل
عسى أصلح ولعل ، وكلما استوى قدمي زلّ ، كم تتغير الأحوال وما أتغير كم
تتضح لي الطريق وأتحول
لله أمر من الأيام أطلبه هيهات أطلب شيئاً غير مطلوب
وحاجتي أنقضها وتمطلنسى كأنها حاجة في نفس يعقوب
إلى كم أقول سأتوب متى ينجل اللسان الكذوب ؟
شعر

كلما أملت يوماً صالحاً عرض المقدور لي في أمل
أقطع الدهر بظن حسن وأجلى غمرة ما تنجلي
وأرى الأيام لا تدنى الذي أرتجى منها وتدنى أجلى

[يا كثير الذنوب]

يا كثير (١١٩٣) ديون الذنوب ما تقضى ؟ يا مقيماً وهو في الحقيقة يمضي ،
يا من كلما حرك الى الجلد سوف؟، يا من شدد عليه الوعيد وما تخوف هذا ممكن
النصيحة ثم أنت بنفسك أعرف من عرف ما بين يديه لم يؤثر الهوى ولم يلتفت
إليه ومن تفكر في رحيل من كان لديه صار النهوض للتزود متعينا عليه .

(١١٩٣) هذه الموعظه وردت متفرقة بالمدحش (ص ٥٢٠ ، ٥٢١) من قوله
(يا كثير ديون الذنوب ... إلى قوله : لم ينظر إلى خلاله) .

شعر

رحل الأُحبةُ عن ديارهم أحزن^(١١٩٤) بما أخذوا وما تركوا
وعلمت أين مضى الخليل فما أنا بالمبالي أين سلكوا

كم فرح بشهر وإهلاله متهلل لرؤية هلاله اختطفه الموت في خلاله ، كم مائل
إلى جمع ماله تركه تركة ومر بأثقاله ، هل رحم الموت ضعيفاً^(١١٩٥) لضعف
أوصاله ؟ هل ترك ذابنين لأجل أطفاله ؟ هل أمهل ذا عيال لأجل عياله ؟ كم راع
قصراً ؟ وما رعى عن أبطاله ؟ ، كم أشرف على شريف فلم ينظر إلى خلاله ؟ .

شعر

(١١٩٥)

دع الفكر في حب البقاء وطوله فهمك لا العمر القصير يطول
أليس إلى الأجل نهوى وخلفنا من الموت حادٍ لا يغيب عجول
ومن نظر الدنيا بعين حقيقة تيقن أن العيش سوف يزول
وما هذه الأيام إلا فوارس تطاردنا والنائبات خيول

[هاتف العبر ينادى]

(١١٩٦)

تالله ما أعجب بما لها من نظر في مالها ، ولا بنى قصورها من عرف
غرورها ، أما أنذركم إعلام ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي
ظالمة ﴾^(١١٩٢) وما قصم عرى عزائمكم ﴿ وكم قصمنا ﴾^(١١٩٨) ، أما سمعتم

(١١٩٤) كذا بالأصل وبالمدهش (أهون) .

(١١٩٥) وردت هذه الأبيات بالمدهش (ص ٥٢١) .

(١١٩٦) وردت هذه الموعظة متفرقة المدهش (ص ٢٢٥ ، ٢٢٦) ، من قوله (تالله

ما أعجب بما لها .. إلى قوله تعالى ﴿ فكلأ أخذنا بذيبة ﴾ .

(١١٩٧) سورة هود : الآية : ١٠٢ .

(١١٩٨) سورة الأنبياء - الآية : ٧١ .

هاتف العبر ينادى ﴿ فكللاً أخذنا بذنبه ﴾ (١١٩٩) إن النظر في هذه الأمور قلقل
قلوب العارفين فكانوا سيكون لايفترون البكاء البكاء يا من سلب قلبه ، الحزن
الحزن يا من عظم ذنبه .

شعر

نخل المعين على الغريق المنجد	فاستدع دمعك فهو عين المنجد
ما عذره وهو الذى أعددت له	ذخراً ليوم البين إذ لم تسعد
لا تعجبوا إذ عان مشربة الثرى	أجفانه سمحت بأحمر مزبد
هى مهجة لا دمة جهدت وقد	ذابت أسفاً كأنها لم تجمد
عجباً لبينهم فكم من ضاحك	باك وكم من جازع متجلد
بردت حرارات النفوس وعنده	منكم حرارة لوعة لم تبرد
بنتم فلا طرفى لهجة منظرى	يصبوا ولا سمعى للوم مقتد .

فإذا سمعتم فى الحديث بقاسى أرداه يوم فراقه :

وأنا الذى لسوى النوى صبرى الذى أعددت له ، لقبر حادثة الفراق تجلد
يا هذه إلا الصبر محمود كما زعموا ولكن فى التوى لم تُحمد
اجتمعت أحزان القوم فأوقدت حولها نار الحذر فأطلقت بقلوبهم الحرق
وأقلقهم الخوف والغرق لباسهم ملفقان الغرق وطعامهم ما حضر واتفق ، يأنور
وجوههم إذا جن الفسق ويا حسن دمعهم محققاً بالحدق انقطع المسلك ، فسألت
على نسق لو رأيتهم يتشبثون بذيل الظلام ويأنسون بنوح الحمام ويهرعون إلى
الفوات وغاية لذاتهم الخلوات يدعونه رغباً ورهباً ، مؤونتهم خفيفة وعلى أنفسهم
ثقيلة يلبسون الخلقات ويهرجون الأوطان عليهم من الله شهود حاضرة ، وأعين
ناظرة ، أجسادهم فى الأرض وقلوبهم فى السماء ، ليس لهم هم إلا أمامهم
بيادرون بالعمل حمامهم .

(١١٩٩) سورة العنكبوت - الآية : ٤٠ .

قال معروف : رأيت رجلاً في مدح الديباج وليس معه شيء
فسلمت عليه وقلت له : أين تريد ؟ فقال : لا أدري ، فقلت له : وهل رأيت
أحدًا يريد مكاناً لا يريد يدريه ؟ فقال : نعم ثم بكى بكاءً شديداً حتى رحمته وبكيت
لبكائه ، ثم سمعت من حوله ، فقلت له : إني سمعت بكاءً غيرك قال : نعم إنهم
إخوان لي من الجن إذا بكيت ساعدوني ، ثم ولي عني ، فبقيت متعجباً مما رأيت
وسمعت فتبعته وقلت له : يا أخى فسر لي ما قلت فعند ذلك صرخ صرخة وخر
مغشياً عليه ثم أفاق وقال : أتريد أن تدخل بيني وبين حبيبي ، وعزته وجلاله
لا أفسرنه إلا بين يديه .

شعر

كم ذا ينال الضنا مني وأحملة	ويستبيح حمي صبري وأحمده
أطاق قلبي افتراق الحى عنه فما	أدري بأى فريق منه أنشده
ما لي وتسكاب دمعى فاضحى بهم	أخفى هواي عن الواشى وأجحدده
يا للهوى هل عزا لي على سقمي	وجدى الذى كحر النار وأبرده
وأطول ليل المعنى شاء ناظره	من البكاء والرجاء ما شاب أسوده
أمسى ضنى فهو لا لاح يلاطفه	يداه شخصاً ولا طيف يهدده

[شجرة المحبة]

يا أخى : المحبة شجرة تغرس في الفؤاد ، وتسقى بماء الوداد ، أصلها ثابت
في بطن السر ، وفروعها في سماء الهمة ، وثمرها لطائف الأنس تؤتى أكلها دائماً ،
والمحب أبداً عديم للقرار ، فقيد الاضطبار لا يسكن أبنه ولا يهدى بحنيه نهاره ليل
وليله ويل ، ونومه مفقود وفي قلبه وقود ، جوره أحلى من عدله ، منعه أشهى من
بذله رده أهنى من قبوله ، لا يؤذى فتيله ولا يسلك إلا بتعجب التجمل سبيله .

قال إبراهيم الخواص : كنت أمشي في البادية فتحت ، وعدلت عن الطريق
فمشيت ثلاثة أيام بلياليها فإذا أنا بأشجار كثيرة وفي وسطها بحيرة وإذا أنا بقوم
علمهم مرقعات الصوف غير صور الآدميين فسلمت عليهم فردوا عليّ السلام ،
فسألتهم عن حالهم وعن الموضع الذى هم فيه ، فقالوا : نحن الجن وهذا الموضع
الذى نحن فيه وهبه الله لنا ونحن أسلمنا على يد النبي ﷺ ونحن المسلمون فقلت

لهم : فكم من ها هنا إلى الموضع الذى فارقت الطريق منه قالوا : مسيرة ثلاث سنين فقلت لهم وهل وصل إلى ها هنا آدمي غيرى قالوا : نعم شاب من نيسابور جاء في تسعة أيام وقد سأله عن مسألة فأجاب عنها ومات عندنا فدفناه بيننا ، فقلت لهم : أروني قبره فمشوا معي إلى قبره فإذا أنا بقبر كبير ، وعند رأس القبر نرجس ، وعند الرجل كذلك ، وجلست على القبر وقلت : كيف كانت المسألة فقالوا : سأله عن قوله تعالى : ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا لَهُ ﴾ (١٢٠٠) قال : الإجابة إلى الله أن تخرج به منه إليه ، قلنا فما معنى العذاب ، قال : الفراق وشهق شهقة ومات ، قال : فترددت أنا في الجواب فأخذوا يرقصون وأنا معهم أرقص ثلاثة أيام ثم نمت فلم أنتبه إلا وأنا في مسجد عائشة رضي الله عنها ومعى ذلك النرجس فبقى معى سنة ثم فقدته .

شعر

أيفقد من أسد بابل	ويطمع في بره العادل
وكيف مشوى ولا صبره	مقيم ولا سقمه راحل
سقام لكنه دائم	وصبر ولكنه زائل
وأين السلامة من عاشق	له الهوى شغل شاغل
دعوه فقد قيل أن الغرام	جنون وما كذب القائل
ولا تسألوا حاضراً غائباً	كفى مخبراً دمة السائل
وخوضوا بغير حديث الغرام	فكل حديث هوى قاتل

« حكاية شاب من الأبدال » (١٢٠١)

قال أبو عبد الله السخيتاني : خرجت من عسقلان فصحبني أبو عبد الله البردعي وكان فاضلاً عالماً فلما دخلنا يافا وجدنا قارباً مقلعاً إلى صور فركبنا فيه فلما كان اليوم الثاني سكن الريح وكان آخر النهار فأرادوا أن يطرحوا المرسى ،

(١٢٠٠) سورة الزمر - الآية : ٥٤ .

(١٢٠١) الأبدال : مفرد بدل ، والأبدال : الزهاد وعند الصوفية لقب يطلقونه على

رجال طبقة من مراتب السلوك عندهم [الوسيط (٤٤/١)] .

وكان معنا في المركب شاب حسن الوجه رث الثياب فقال لنا : قولوا لصاحب المركب يقدم المركب إلى البر قليلا فأعلمنا ففعل وطرح المرسى فقام الشاب ونزع ثيابه واتزر بمئزر ونزل الماء حتى خرج إلى البر وغاب ساعة ورجع ومعه رزمة فيها حوائج ثم جاء إلى المركب ولبس ثيابه قال السخيتاني : فقال لي الشاب : هذا الرجل الذي معك ما يكون منك ، قلت هو رفيقي وهو رجل صالح فقال : ادعه إلى فدعوته فقال لي وله : اعلمنا أنني ميت الآن^(*) فإذا مت فافتح هذه الرزمة وكفناي بما فيها وضعا ثيابي في هذه المخلاة وتكون معكما فإذا دخلتما إلى صور فأول من يلقاكما ويقول لكما هاتا الوديعة فادفعها إليهما قال : فلما صلينا المغرب قال الركاب : إن رفيقكما نائم لم يصل المغرب ، فقلنا : كيف يصلي ميت ، فقالوا : الساعة كان يكلمنا فحركوه فإذا هو ميت ، قال : فخرجنا إلى البر وبسطنا حصيراً وغسلناه عليها وحفر له رجال قبراً فلما فرغنا من غسله فتحنا الرزمة فإذا فيها ثياب حسنة وصرة فيها شيء كالكافور ورائحة كالمسك فأدرجناه وطيبناه ، وصلينا عليه ودفناه ورجعنا إلى المركب وسافرنا إلى أن وصلنا صور عند طلوع الشمس فلما خرجنا من المركب وإذا بغلام قد استقبلنا حسن الوجه وعلى رأسه منديل ديبقي^(١٢٠٢) وعليه غلالة^(١٢٠٣) شرب ، فسلم علينا وقال : هاتا الوديعة ، فقلنا له : نعم وكرامة ، ادخل بنا المسجد فدخلنا فقلنا له : أخبرنا عن الميت ومن الذي رفع له الكفن ومن أنت فقال : أما الميت فكان من الأبدال الأربعين وأما الذي رفع له الكفن فالخضر عليه السلام وهو الذي عرفه بموته وأما أنا فبدله ثم أخذ المخلاة وأخذ منا الثياب الخلقان ، ونزع ما كان عليه من الثياب ولبس الخلقان وقال لنا : بيعوا ثيابي وتصدقوا بثمانها قال : فدخلنا البلد فلما كان في اليوم الثاني بعد العصر أخرجنا السراويل وفيه تكة^(١٢٠٤) أرمني

(*) هذا الأمر من الغيبات التي اختص الله بعلمها فهو يتعارض مع العقيدة .

(١٢٠٢) ديبقي : من دق ثياب مصر - معروفة تنسب إلى ديبق .

[اللسان (٩٥/١٠ - دبق) ط. دار صادر]

(١٢٠٣) غلاله : شعار يلبس تحت الثوب ، لأنه يتغلل فيها أي يُدخل .

[اللسان (٥٠٢/١١ - غلل) ط. دار صادر]

(١٢٠٤) تكة : وهي تكة السراويل ، والتكة هي رباط السراويل .

[اللسان (٤٠٦/١٠ - تكك) ط. دار صادر]

فدفعناها للمنادى فأخرج التكة وطرح السراويل وقال : حتى أبيع التكة فإنها
مثمته فلم يكن إلا ساعة حتى جاء المنادى ومعه خلق كثير فتعلقوا بنا وقالوا لنا :
من أين لكم هذه التكة ، وحملونا إلى دار عظيمة والصياح فيها فإذا شيخ حسن
الوجه جالس يبكي والناس يعزونه فقالوا للشيخ : لقد جئنا بالقوم فقال الشيخ :
من أين لكم هذه التكة قال : فذكرنا له القصة من أولها إلى آخرها فخر الشيخ
ساجداً لله تعالى وقال : الحمد لله الذى أخرج من صلبى مثل هذا ثم أقبلنا علينا
ودفعنا لنا ذهباً كثيراً وقال : تصدقا به عنه ، قال أبو عبد الله : فبينما أنا بعد سنين
واقف بعرفات وإذا شاب حسن الوجه عليه رداء شرب فسلم على فرددت عليه
السلام فقال : أما تعرفنى ، قلت : لا قال : أنا إبراهيم الصورى صاحب الأمانة
فعرفته وسررت برؤيته ثم مضى وتركنا وكان إلى جانبى رجل فقال لى : من أين
تعرف هذا الفتى فقلت : إنه من الأبدال الأربعين فقال : يا أخى هذا اليوم من
العشرة ثم غاب عنى فلم أراه .

شعر

إذا استنجِدُوا لم يسألوا من دعاهُم لأية حربٍ أو لأى مكان

الفصل الثالث والثلاثون

[يا من أنفاسه محفوظة]

(١٢٠٥)

اسمع : يا من أنفاسه محفوظة وأعماله ملحوظة ، أتفق العمر النفيس فى
نيل الهوى الخسيس ؟

(١٢٠٥) وردت هذه الموعظة بتغيير فى بعض الألفاظ القليلة بالمدحش (ص ٥٢٩ ،
٥٣٠ ، ٥٣١) [من قوله (يا من أنفاسه محفوظة - إلى قوله : لم يضحك الآخرة إليه) .

شعر

جَدُّ الزمانُ وأنت تلعبُ والعمرُ في لاشيءٍ يذهبُ
كم كم تقول غداً أتوب غداً والموت أقربُ

[العمر يُنتهب]

يا هذا أما عمرك في كل يوم ينتهب ؟ أما المعظم منه قد ذهب ؟ في أى
شئ ، في جمع الذهب ؟ تبخل بالمال وبالعمر تهب ، يا من إذا خلى تفكر
وحسب ، أما نزول الموت فما حسب ، لك نوبة لا تشبه النوب وبين يديك
كربة لا كالكرب ، تطلب النجاة ولكن لا من باب الطلب ، تقف في الصلاة إن
صلاتك عجب ، الجسم حاضر والقلب في شغب ، أنا أعلم بك منك حب
الدنيا^(١٢٠٦) قد غلب ، ومتى استولى الهوى على قلب لم يفلح وكتب .

شعر

يا آدمى أتدرى ما مننت به أم دون ستر هداك^(١٢٠٧) فليس ينجاب
يوم ويوم ويفنى العمر في لعب عام جديب وعام فيه إخصاب
فلا تغرنك الدنيا بزخرفها وإرثها وإن بلاها عاقل صاب
إخواني : كأنكم بالدنيا التي قد تولت ، وبالنفوس الكريمة قد هانت
وذلت ، وكأنكم بكؤوس الأسى قد انهلت وعلت ، وبحمول الظاعنين على
الأسف قد استقلت ، متى يقال لهذه الغمرة التي تجلت ؟ واعجباً لنفس ما تنتبه
وقد زلت ، كلما عقدنا عقدة بنفعها حلت ، كم مستيقظ وقد فات الوقت ينظر

(١٢٠٦) كذا بالأصل وبالمدهش (الهوى) .

(١٢٠٧) (ستر هداك) كذا بالأصل ووردت بالمدهش (ذهنك ستر) .

إلى نفسه بعين المقت ، وتصبح بنصيحة لقد صدقت ، وينادى منادى الكسل أنت الذى عوقت فتجيئه أنت من سكرك ماأفت. كم قدم إلى القبور قادم ؟ كلهم على فراش النوم نادم .

شعر

أطاعوا ذا الخداع وُصدّقوه وكم نصَحَ النصيحُ فكذبوه
ولم يرضوا بما سكنوا مشيدا إلى أن فضضوه وأذهبوه
أنصوا^(١٢٠٨) بالقبيح وتابعوه ولو أمروا به لتجنبوه .
نهامهم عن طلاب المال زهد ونادى الحرص ويلكم اطلبوه
اسمع يا من هو بالهوى يغرى وسيلهج ، أنسيت عن محبوبك تزعج ؟ تفكر
فى حُلّةٍ من البلاء تنسج ، يا من بضاعته كلها تبهرج ، ضيقت على نفسك المخرج
انتبه فهذه خيول الريح تُسرج .

شعر

ولم يبقَ من أيام جمع إلى منى إلى موقف التجمير غير أمان

[يا عبيد فلسه]

اسمع يا عبيد فلسه ، يا عدو نفسه ، تعانق الدنيا بعين الحرص عناق اللام
للألف ، متى تزل الدرهم من القلب؟ أين منزل الثرى من الترف ، ويحك أتبحت
عن حتفك وصلفك؟^(١٢٠٩) وتجدع بسيفك مارن أنفك ؟ ما أكرم نفسه قط من
أهانها؟^(١٢١٠) فاحذرها فكل ما يجرى عليك منها يا موثق الأقدام بقيد العوائق

(١٢٠٨) كذا بالأصل ووردت بالمدحش (الظوا) .

(١٢٠٩) كذا بالأصل ووردت بالمدحش (بظلفك) .

(١٢١٠) (من أهانها) كذا بالأصل ووردت بالمدحش (من لم يهنا) .

فاتك السبق فاجهد أن لا تكون لاحق ، من طلب المعالي سهر الليالي ، لولا صبر
المضمر على قلة العلف ما قيل سباق ما قدر سجاف ﴿ نعم العبد ﴾ (١٢١١) على
فتنة ﴿ ووهبنا له ﴾ (١٢١٢) حتى جرت في أمانة ﴿ إنا وجدناه صابرا ﴾ (١٢١٣)
من لم تبك الدنيا عليه لم تضحك الأخرى له .

[معنى التوحيد والمحبة والزهد]

قال بعض السادة : بينا أطوف بالكعبة إذ نظرت إلى جارية عليها جبة من
صوف وخمار من صوف وسراويل من صوف ، فجاءت حتى وقفت خارج
الحجر وكان بالحجر أربعة يتذاكرون فسلمت عليهم ، وقالت : أيكم الجنيد فقال
لها أحد الأربعة : هو هذا مكلمك فقالت : أنت الذي تزعم طائفة التصوف إنك
أعلمها بعلم التوحيد ؟ فقال : أسأل الله بركة ما يقولون ، فقالت : يا جنيد ،
وما التوحيد ؟ فقال : قطع الكيفيات واستحالة المثليات ، فقالت : هذا بعض
طرق التوحيد فما حقيقة التمجيد والتحميد ؟ فقال : عدم القياس وافتقار الإحساس
والتنزيه عن الأجناس ؟ ، قالت : اسمع يا جنيد التوحيد ألف ولام وتاء
وواو وحاء وياء ودال ، فالألف إعلام الوجدانية بعدم القبلية واستحالة البعدية
للخروج عن حصول النفسانية في معرفته رب البرية ، واللام للملك والملكوت
والعزة والجبروت للعقول مجال في حقيقة الإدراك إلا الأفراد والاضطرار والأعوان
والعدم والهلاك ، والتاء تباين المشارب وتفاوت المناهج والمكاسب إعلاماً
بالتقديس عن القادسات والتنزيه عن كيفية الكائنات ، والواو واو الهوى وشرب
الجوى وواو القسم ومزن المعارف والحكم ، والحاء حالة المحب الذاكر والموحد
الشاكِر محيرة العقول والأذهان واضطراب لمشاهدة شهود حقيقة التوحيد كل
جنان ، والياء ما يحدث بأجسام العارفين من البلايا وبجيوشهم من المصائب
والرزايا لكي يدخر لهم في الآخرة الدرجات العلى ، والدال دنو الأرواح على
بساط الروح والارتياح وعدم الإجرام وفناء الأجسام وإعداد الحركات ومراعاة

(١٢١١) سورة (ص) - الآية : ٤٤ .

(١٢١٢) سورة (ص) - الآية : ٤٣ .

(١٢١٣) سورة (ص) - الآية : ٤٤ .

الخطرات وكل ذلك إعلامٌ للعبيد ودلائل على حقائق التوحيد . ثم قالت : يا جنيد أتدرى فوق هذا قال : لا علم لى ثم غشيه من كلامها حال فخر مغشياً عليه .

شعر

لقد أملى لهم أحاديث الهوى برق أضاء لنا على ذات الإضا
لطفت أشارته فأشكل فهمها قد ذاك شوقى أن يعاد إذا أضأ
أبغضتُ حسن الصبر مذ أخفيتُ فاعجب لمن أضحى محبا مبغضا
سقمى وبرئ فى يديه وإنما يشفيك من داء الهوى من أمرضا

ثم قالت : أيكم الشبلى ؟ فقال : هو مكلمك ، فقالت : أنت الذى تزعم طائفة التصوف أنك أعلم بحقائق المحبة ؟ فقال : أسأل الله بركة مايقولون ، فقالت : يا شبلى وما المحبة ؟ فقال الشبلى : يا أمة الله المحبة عدم المطلوب وبذل المرغوب فى رضا المحبوب ، فقالت : هل لك ذوق فوق هذا ؟ فقال : المحبة بذل النعم واستعذاب للنقم والتسليم للرضى والدخول نحن أحكام القضاء ومسرة للقلوب بما يفعل المحبوب ، فقالت : يا شبلى أنت تصف طريقها فأين منك حقائقها ؟ فقال : أليس حقائق المحبة قلوب مع الحق وأجسام مع الخلق ، ثم أنها قالت : يا شبلى اسمع أعلم أن المحبة تذوق ربانى يساعده فى الحياة ووجود جسمانى مادة تمد من الغيب وتتصل بنور العقل يقذفها القادر الجبار فى رايح الأسرار لها كمون فى خزائن الأضمار ككمون النار فى الأحجار ، إن قدحته أورى أو تركته توارى وأيضا ، المحبة ريح يدور مع شغف القلب يديرها سر متحد عن موارد الغيب فمتى خرق ريح الوداد شغف الفؤاد ثم نمت ملحمة الحب فوطىء الحب بساط القلب ، أتعلم هذا يا شبلى أم عندك زائد عليه قال : فلما سمع كلامها خر مغشياً عليه .

شعر

طرقت ريح الصبا مغناك وهناً سحراً حامله ابناً لنا
نقلت عنها أحاديث هوى أفهمت من غير أن تُسمع أذننا

بمعانٍ في السر خافية فهي لا يفهمها إلا معنا
ذكرها حب حنين أبداً وأخو الشوق إذا ذكر حنا

ثم قالت : أيكم بنان الجمال فابتدر إليها وقال : ها هو مخاطبك فقالت :
أنت الذي تزعم طائفة الصوفية أنك أعلمها بحقائق الزهد ؟ فقالت : أسأل الله
بركة مايقولون ، فقالت : يا بنان أتدرى ما الزهد ؟ وهل هو إلا من مقامات
العوام يا بنان اعلم أن الدنيا لا تساوى ولا تعدل عند الله جناح بعوضة فما قدر
نصيبك منها حتى تزهد فيه أتدرى يا بنان ما الزهد ؟ قال : الزهد قطع الخطوط
النفسانية وعدم التعلق بالبرية والتسليم في جميع الحالات والرضى بجميع الأقدار
الكائنات والأعراض عن الملاوة الدائرة والإقبال على طلب الآخرة ، فقالت :
ويحك يا بنان أنت واصفه بطريقة فأنا لك واصفة بحقيقته اعلم أن الزهد زاء وهاء
ودال ، فالزاء الزينة والهاء الهوى والدال الدال الدنيا فمن سلك طريق الزهد ترك
الزينة والهوى والدنيا يا بنان إن لله عبادة زهدوا في الدنيا والآخرة ، تابعوا الجد
لا خوفاً من النار ولا طمعا في الجنة وزهدوا حتى في أنفسهم وبذلوا في الله كل
مجهودهم فاستعذبوا الموت واستطابوا الفوت لما عاينوا ما بين العرش والفرش
حظوظا كلها تركوا تركوا جميع المخلوقات وأعرضوا عن جميع الحادثات قال :
فلما سمع كلامها خر مغشيا عليه .

شعر

أمد ذكرى تلك العهود ترفقا	أعددت ذكراً أم أردت شمولاً
يا للهوى العذرى أضحك شامتاً	منا وأبكى لائماً وعذولاً
أضحت جفوني بالبكاء قصيرة	قرحاً وليلى بالسهاد طويلاً
لم يدر ذو القلب الخلى بأننى	أمسيثُ ذا كليف به مشغولاً
ظن السلو ولا سلو لذاهلي	جمدت مدامعه وذاب نحولاً
ومن العجائب أن خصب دموعه	في الخد أحدث في الضلوع نحولاً
فسل الصبا عن عصر أيام الصبا	إن كنت رمت لعهد تبيديلاً

ثم اقبلت على الباقي من الأربعة وقالت : أنت يا مرزويه ؟ قال : نعم فمن أين عرفتيني من غير سابق اجتماع ؟ قالت : اعلم أن الله سبحانه وتعالى بساط في حضرة الملكوت تتعارف عليه الأرواح بتعريف ذى العزة والجبروت يا مرزويه أنت الذى تزعم طائفه التصوف أنك أعلم بحقائق المشاهدة فقال : اسأل الله بركة ما يقولون ، قالت : فما المشاهدة يا مرزويه قال : تسريح العيان فى مشاهدة الملك الديان فالعقل يشاهد أسرار الغيوب الدنيه فى سر القلب مع عدم الكيفيه واستحالة القبلية والبعديه فقالت أيدعى مشاهدة الأسرار من هو مشتغل بالنظر إلى الحادثات إنما المشاهدة لقوم اجتباهم مولاهم فاصطفاهم وحياهم وأكرمهم وحباهم ، أخذهم لهم منهم وأفتاهم به عنهم فغابوا عن مشاهدة العالم بالعلم وتركوا المحدث إجلالا للقديم فالاشتغال بالله قطعهم عما سوى الله فأنى سينطقوا ؟ انطقوا بالله وأنى قاموا قاموا بالله وأنى قعدوا قعدوا بالله لا يقطعهم قاطع عن الله ولا يعرفون الدارين إلا الله بعينى أنظر إليهم على نجب تخرق بهم الحجب إلى أن أناخوا بباب الملك والملكوت فاتحفوا بتحف لطائف معارف الجبروت أبلغت أنت هذا المقام يا مرزويه أم عجزت فادلك عليه فلما سمع قولها خر مغشيا عليه ثم أفاق فاقبل عليها وقال : دلىنى رحمك الله فقالت : يا مرزويه أول مقام المشاهدة ما تبصر الآن وآخره ما تبصره يوم القيامة .

قال المخبر : ثم إنها أزالـت إزارها عن رأسها وبسطته على الأرض ووضعت
أقدامها عليه وإذا بریح قد هبت فرفعت الإزار تلك الريح وغابت في الهواء .

رضى الله تعالى عنها وعن المسلمين أجمعين
تمت المجالس والمواظـظ لابن الجوزى عامله الله تعالى بلطفه
الجففى على يد الـوائـق بالله الغنى أى العينين
الزینى المالکى الأحمـدى اللهم أحسن
خـلاصه من الدنيا بلا كدر وأدخله الجنة
ومتعه لوجهك بالنظر
وارحمه وارحم والديه
جميعا
وكل المسلمين
عاصيا
ومطيعا
آمين

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
مقدمة الناشر	٣	أنجح الوسائل لطلب الخوائج	٣٢
ترجمة المصنف	٥	حكاية حميد وزوجته	٣٣
عملى فى الكتاب	٨	أين الدموع السواجم قبل	
بين يدى الكتاب	١٠	المنايا الهواجم	٣٥
وصف المخطوطة	١٢	المحاسبة قبل الموت	٣٦
صورة المخطوطة	١٢	اعرف قدر نفسك	٣٧
مقدمة المصنف	١٣	الفصل الرابع :	٣٩
الفصل الأول :	١٣	يا طويل الأمل فى قصر الأجل	٣٩
إعراض ملك عن الدنيا	١٣	حكاية عابد صنم	٣٩
صاحب أهل الدين وصافهم	١٥	حكاية رامب	٤٠
دار التعب والمجاهدة	١٦	الاجتهاد فى العبادة	٤٢
زهد أولاد ملك من بنى إسرائيل	١٧	زهد فى الدنيا	٤٤
تنبيه لابن أدهم	٢٠	الفصل الخامس :	٤٧
الفصل الثانى :	٢٢	نداء إلى النفس اللاهية	٤٧
من طلب واجتهد وجد	٢٢	موعظة	٤٨
حكاية عن شعوانة العابدة	٢٣	ميزان المحاسبة	٤٩
عودة الإنسان إلى الحق	٢٤	الزاهد حيث أحياه الله على يد	
إسلام عيسى الكرخى وأمه وأهله	٢٥	عيسى عليه السلام	٤٩
استغاثة	٢٥	موعظة عن النبى ﷺ	٥٠
فائدة الطاعة	٢٥	ألكم صبر على العقوبة	٥١
كشف من ولى	٢٦	هادم اللذات	٥٢
الاشتغال بحب الله	٢٧	زهد ابن ملك فى الدنيا	٥٣
الفصل الثالث :	٣١	أرواح المحبين	٥٤
مكرماً بحلية الإيمان	٣١	الفصل السادس :	٥٤
حكاية ذنب داود عليه السلام	٣١	يا متعباً فى جمع المال بدنه	٥٤

الموضوع	الصفحة
شكوى رجل مذنب
لرابعة العدوية	٨٨
عواصف الأقدار	٨٨
يا من أخذ الهوى بأزمته	٨٩

الفصل العاشر :

استعد للآخرة	٩٢
حكاية ابن أدهم مع ذمي	٩٢
حكاية عبدالواحد	٩٣
حكاية	٩٣
رياح الزفرات	٩٦

الفصل الحادى عشر :

يا من طلب بالمعاش الشهوات	٩٩
حكاية جمجمة	١٠٠
حكاية فتى متعبد	١٠١
التقوى	١٠٢
حكاية ذى النون المصرى	١٠٤
بادروا قبل العوائق	١٠٥

الفصل الثانى عشر :

تفكر بالآخرة	١٠٧
موعظة لزهد الدنيا	١٠٨
أين القلق الدائم	١١٠
إلى كم هذا التسويف	١١١
حكاية إبليس لعنه الله	١١٢
حكاية زاهد وصابر	١١٥

الفصل الثالث عشر :

اعمل قبل رحيلك	١١٦
------------------------	-----

الموضوع	الصفحة
قد حام الحمام حول حمام	٥٦
تفكر فى القبر	٥٧
جبال الأمل	٥٩
فى العبادة بعد الشيب	٦٠
توبة عاص	٦١
موعظة	٦٢

الفصل السابع :

موعظة الدهر	٦٤
تحذير الموت	٦٤
شدة الخوف	٦٧
تعبد يحى فى صغره وخوفه
من ذكر جهنم	٦٨
يابعيداً عن المجاهدة	٧١

الفصل الثامن :

الدنيا معبر إلى الآخرة	٧٣
حكاية ابن خفيف	٧٧
حكاية امرأة من الأولياء	٧٨
حكاية شاب وفقه الله	٧٨
زيارة الجنيد لشقيق البلخى	٨٠

الفصل التاسع :

إلى كم تغتر بسلامتك	٨٢
رجل ندم على كثرة ذنوبة	٨٣
حكاية حرامى مع مالك	٨٥
توبة سكران	٨٥
حكاية رومى ذمى مع
أبى يعقوب	٨٧

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
في هول القيامة	١١٧	الفصل السابع عشر :	١٥٢
سلاح الجدد	١١٩	كفى بالموت واعظاً	١٥٢
حكاية محمد بن المنكدر	١٢٠	حكاية ذكوان المناصب	١٥٣
حكاية جارية حبشية	١٢٢	حكاية ذكوان البصري	١٥٦
يا من أبعده الخطايا	١٢٤	شاب مات متأسفاً على ما فعل	١٥٨
الفصل الرابع عشر :	١٢٥	يا معاشر التائبين	١٥٩
احذروا الموت	١٢٥	الفصل الثامن عشر :	١٦١
بكاء آدم عليه السلام	١٢٦	يا من شاب وما تاب	١٦١
حكاية داود عليه السلام	١٢٧	حكاية شاب منحدر من مقبرة	١٦٢
حكاية ابن شمعون	١٢٨	عمر بن عبدالعزيز في الجبانة	١٦٢
جرحي الذنوب	١٢٩	النظر في العواقب	١٦٣
حكاية مجوسي	١٣٢	حكاية شيخ سقط حاجباه	١٦٤
اللهم نور قلوبنا بنور توفيقك	١٣٢	حكاية في أقوام نادمين على	
الفصل الخامس عشر :	١٣٣	ذنوبهم	١٦٥
يا جامع المال لغيره	١٣٣	مذنب تاب فقبله الله تعالى	١٦٦
حكاية التستري	١٣٤	عجلوا بالتوبة	١٦٨
عجوز أضنتها العبادة	١٣٧	أول الطريق سهل	١٧٠
يا من هو في حديث الدنيا		عاقبة إطلاق البصر	١٧١
أنطق من سحبان	١٤٠	في رجل عاصى فعل حسنة	
الفصل السادس عشر :	١٤٣	كانت سبباً في توبته	١٧٢
يا مخدوعاً قد فتن	١٤٣	الفصل التاسع عشر :	١٧٤
احذروا الهوى	١٤٦	يا مؤخرأ توبته حتى شاب	١٧٤
أرباب الغرائم	١٤٨	تذكر القبر	١٧٦
نسيم الأسحار	١٤٩	أين أهل الوداد المصافي	١٧٧
انتبه لنفسك	١٥١	تنبيه رجل من غفلته	١٧٩
حكاية ذي النون	١٥١	الزاد على قدر السفر	١٧٩
		الأيام صحائف الأعمار	١٨٠

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
اذكروا الفناء	١٨٢	في رجل ندم على ذنبه	٢١٤
الفصل العشرون :	١٨٤	فقبله الله تعالى	٢١٤
يا من غره امتداد الأمل	١٨٤	الفصل الثالث والعشرون	٢١٦
سؤال الله تعالى لعبده	١٨٤	يا مشغولاً بأمه	٢١٦
يوم القيامة	١٨٤	أين الأطفال والشيطان	٢١٨
عفى الله عن عاص لحسن	١٨٥	في رجل لم تحرقه النار لدعوة	٢١٩
ظنه به	١٨٩	امرأة شريفة	٢١٩
حكاية أمة من أهل الله	١٩٠	الفصل الرابع والعشرون :	٢٢٢
أوصاف ذى النون في بعض	١٩٠	يا بعيد الأمل	٢٢٢
نعيم الجنة	١٩٢	حبال الآمال رثا	٢٢٣
الفصل الحادى والعشرون	١٩٢	موعظة نفيسة	٢٢٤
يا من بين يديه الأهوال	١٩٢	الإخلاص والرياء	٢٢٥
والعجائب	١٩٤	شاطيء النجاة	٢٢٨
يانائما عن صلاته	١٩٤	أتؤثرون الأرض على السماء	٢٣٠
حكاية عن عاصى مسرف	١٩٦	الفصل الخامس والعشرون :	٢٣٢
اعرفوا الدنيا	١٩٩	يا نائما في لهوه	٢٣٢
أهل الجنة وأهل النار	٢٠٢	من عامل الدنيا خسر	٢٣٤
غيم الغفلة	٢٠٣	حكاية بشرى	٢٣٥
صبي يهب نفسه لله	٢٠٤	بشرى	٢٣٦
التأثر بالقرآن	٢٠٥	حكاية	٢٣٧
الفصل الثانى والعشرون	٢٠٥	أرباب الإخلاص	٢٤١
يا مشغولاً بتلفيق ماله	٢٠٥	الفصل السادس والعشرون :	٢٤٢
قنطرة القبور	٢٠٦	عنون اللحد	٢٤٢
في أهول يوم القيامة	٢٠٩	موعظة	٢٤٣
في ميت عاتب المغسل في المنام	٢١١		
كام الكسل			

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
حكاية	٢٤٧	حكاية عابدة	٢٨٠
هذه الجادة فأين السالك	٢٥٠	حكاية	٢٨١
سكران الهوى	٢٥١	عبارات النسيم	٢٨٢
حكاية مذنب وبشر بالرحمة	٢٥٢	أسلم النصراني كرامة لبشر	٢٨٣
بشرى	٢٥٣	جهاد النفوس	٢٨٥
الفصل السابع والعشرون :		الفصل الحادى والثلاثون :	
.....	٢٥٤	٢٨٥
عقدة العهد	٢٥٤	أفق يا ساجحاً فى بحار	
بشرى	٢٥٥	الغمرات	٢٨٨
سلعة العبودية	٢٥٧	يا معروفاً بترك المعروف	٢٨٩
مقام المراقبة	٢٦٠	بداية ألى حفص النيسابورى	٢٨٩
يا تائها فى فلاة	٢٦٢	إلى كم تعصى وتتمرد	٢٩٠
الفصل الثامن والعشرون :		ريح القوم وأنت نائم	٢٩١
.....	٢٦٣	الفصل الثانى والثلاثون :	
الندم	٢٦٣	٢٩٥
التائبون	٢٦٦	يا كثير الذنوب	٢٩٥
يا مضيع الزمان فيما ينقص	٢٦٨	هاتف العبر ينادى	٢٩٦
الإيمان		شجرة المحبة	٢٩٨
الفصل التاسع والعشرون :		حكاية شاب من الأبدال	٢٩٩
.....	٢٧١	الفصل الثالث والثلاثون :	
حقيقة المصيبة	٢٧٢	٣٠١
سارعوا إلى المغفرة	٢٧٢	يا من أنفاسه محفوظة	٣٠١
لا تغتر بالسلامة	٢٧٥	العمر ينتهب	٣٠٢
الفصل الثلاثون :		يا عبيد فلسه	٣٠٣
يا من أنفاسه معدودة	٢٧٦	معنى التوحيد والمحبة والزهد	٣٠٤

صدر حديثا :

أَمْرُ صِرَ الْقُلُوبِ وَشِفَاؤُهَا

تأليف

شيخ الإسلام تقي الدين
ابن تيمية

حققه وعلق عليه

أبو عبد الله

أحمد بن أحمد العيسوي

دار الصحابة للنشر والتوزيع بطنطا

صدر حديثا :

فَضَائِلُ التَّحْمِيَةِ

بِأَحْمَدَ مُحَمَّدًا

للحافظ

أَحْسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَكِيرٍ

أَحْسَيْنُ بْنُ بَكِيرٍ

(٣١٧ هـ - ٣٨٨ هـ)

حَقَّقَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ

مَجْدِي فَتْحِي السَّيِّدُ

كَارِهُ الصَّحَابَةِ لِلتَّحْمِيَةِ بِطَبَا

رقم الإيداع بدار الكتب ٥٩٥٧ / ١٩٩٠

مطالع الوفاء - المنصورة

شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ب : ٣٤٢٧٢١ - ص.ب : ٢٣٠

تلكس : ٢٤٠٠٤ UN DWFA

صدر حديثاً :

المجالس العشرة :

الأمم المتحدة

للإمام محمد العِراق

الحسين بن علي بن محمد الجليل

(٣٥٢ - ٤٣٩ هـ)

دراسة وتحقيق

مجدى فتحى السيد

دار الصحابة للنشر والتوزيع

للنشر - والتحقيق - والتوزيع

شارع المديرية - أمام محطة بنزين القنات

ت. ٢٣١٥٨١ ص. ب. ٤٧٧